
هاشم دفتردار المدني
هواتف
دار الفكر

١ / محرم الحرام سنة ١٤٠٠ هـ
الموافق ٢٠ / تشرين ثاني سنة ١٩٧٩ م

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمـــة

بقلم الاستاذ محمد رجب

الحمد لله القائل :

« ومَن يُؤتَ الحكمةَ فقد أُوتيَ خيراً كثيراً »

والصلاة والسلام على محمـد بن عبد الله . النبي العربي أفصح من نطق بالضاد الذي امتدح سلامة الكلم . وسره عذوبة اللفظ .

فقال : « ان من البيان لسحرا »

وبعـد : لقد دفع إليّ العلامة الأديب الشيخ هاشم دفتردار . هذا الكتاب « هواتف » وطلب إليّ تقديمه لقرائه :

فلبيت طلبه . وحملت محتواه وشرعت في مطالعته .

وفي ليلة من لياليه . أدركتني التفاتة لأرى الخيط الأبيض وقـــد تميز من الخيط الأسود من الفجر .

وقد خرجت من بحوثه . كمن يخرج من بحر لجيٍّ زاخم باللآلي .

ورجعت إلى نفسي أحدثها . ماذا عساي أن أقول في « هواتف » .

وأطرقت ملياً وذهبت في فكر عميق .

أوحي إليّ بأن أرد الطلب . وهو غاية الأدب . لأن الكتاب يقدم نفسه . « ولطالما الفكرة تنافس الفكرة » .

إذ سرعان ما غيرت رأيي بعزيمة تبدد الشكوك وتمحي الريب

قوامها خاطرة ذكرتها فيما سلف من الأيام الخالية .

حينما حضرت مناقشة أدبية طريفة .

بين عميد الأدب العربي . الدكتور طه حسين . وبين الأستاذ رئيف الخوري ولا يزال صدى الحديث يراود سمعي . حين كان الأستاذ رئيف يخاطب الدكتور طه حسين . في غضون المناقشة . مرة يا عميدي وتارة يا أستاذي .

هكذا كان يخاطب الندُّ ندَّه .

فكلمتي عن « هواتف » اعادة مكرورة لتاريخ غبر بأسماء أخر .

ومن ناحية ثانية

ان قصر قلمي عن وصف « هواتف » لأن الكتاب شامخ زاخر وقمته أرفع من وصفه بقلم . فحسبي غاية

بأن أقدم كاتبه أديباً لامعاً قل مثيله . من جمـــع بين العلم المكين والأدب الرفيـع واعرفه لقرائه « وهو المعرفة » الذين لم يمر عليهم تراثه بعد .

وهنا أقول بحق أني أعرفه . معرفة جيدة « ولا بلاغة في القول » كما يعرفه أبناؤه لأنه أستاذي وقد درست عليه في الكلية الشرعية في بيروت « أزهر لبنان اليوم »

المؤلف :

هو الشيخ هاشم بن محمـــد سعيد بن الشيخ يحيى دفتردار خطيب المسجد النبوي الشريف من أسر المدينة المنورة .

وجده لوالدته . الفلكي العلامة الشيخ إبراهيم بن الشيخ حسن أسكوبي .

فهو من بيت عريق الأصالة بالعرب .

وأسرته مشهورة « بآل الدفتردار »

والدفتردار . وظيفة تركية . كانت لأجداده « فلقبوا بها »

ولد المؤلف في المدينة المنورة عام ١٩٠٩ م

ونشأ في بيت مليء بالعلم والإيمان . فشغف بهما ونهل من ينابيعهما وقد حُبب اليه العلم مذ كان صبياً .

وكان ذلك العصر . لمن أراد العلم وتحصيله . ان يعتمد على الكتاتيب التي تعلم القرآن الكريم وبعض الفقهيات .

فالتحق بكتّاب الفاضل الشيخ إبراهيم الفقيه . فحفظ قسماً من كتاب الله وسار في دروب العلوم والمعارف .

ولما آنس من نفسه « الملكة العلمية » توجه إلى مصر . والتحق بالأزهر الشريف . ونال الشهادة العالمية . ودرس في قسم التخصص . بمجموعة التاريخ والأخلاق . وحينما تخرج قدم إلى بيروت .

وعين ناظر للكلية الشرعية « أزهر لبنان اليوم » لأول عام من تأسيسها عام ١٣٥٣هـ في عهد سماحة مفتي بيروت المغفور له الشيخ توفيق خالد . وهو الذي اختاره لنظارة المعهد الشرعي. إذ كان يرى فيه الاخلاص للعلم والخلق الكريم . وكما قال أبو الطيب :

وإذا كانت النفوس كباراً تعبت في مرادها الأجسام

فإن أستاذنا الكبير لم يخلد للوظيفة التي تؤمن له العيش الكريم .

ولم يقعد مع القاعدين الذين كل آمالهم وأمانيهم نيل شهادة « ما » تخولهم التربع على أريكة الوظيفة. وبعدئذ يغطون في سبات عميق حتى يأتيهم اليقين .

بل كان كالشعلة الملتهبة ولم تأخذه سِنة من كرى تقاعساً عن المزيد من العلوم وما ثنى عزمه عن القراءة والدرس وتتبع طرق المعارف .

وكم رأيناه نحن تلامذته وكأنه صنو لنا يحمل كتاباً كمن يعد لتقديم اختبار ولا عجب فقد كان هدفه يحتذى به قول الله عز وجل « وقل ربي زدني علماً » وهكذا فإلى جانب نظارته الكلية الشرعية . كان يدرّس فيها أيضاً وقد تسلم مديريتها فيما بعد وما عبأ يوماً بمادة أو دراهم معدودات. لأنه كان يطمح إلى غاية أسمى وأجل وهي حب العلم وتعليمه .

فما من منبر من مساجد بيروت إلا ارتقاه ناشراً شرع الله من كل جمعية

وعظاً وإرشاداً وقد زاول التدريس في المدارس الرسمية . وشرع في إلقـاء المحاضرات في الإذاعة اللبنانية وتعدّتها لإذاعات عربية وعالمية .

وحاضر في النوادي الثقافية والأدبية. وجرد قلمه لنشر المقالات في الصحف والمجلات وألف كثيراً ونشر بعضها يرى القارىء على ظهر غلاف هذا الكتاب قسماً منها فالمؤلف هو علامة عن جدارة .

لأنه عميق المعرفة في اللغة العربية . يتقصى أخبـار العرب شبراً بشبر وذراعاً بذراع حتى أصبح مرجعاً من مراجع اللغة العربية وآدابها .

وقد حباه الله وأضفى عليه صفة من صفات الإيمان ميز بها « وهي الحياء » فإذا ما سئل عن مسألة يجيب بكل قوة وعلم وحزم ويفيض الكلم منه كالودق المنهمر كل هـذا وهو مطرق لا يرفع بصره خشية ورهبة من الله عز وجل سمة السلف الصالح الأبرار .

وقد وهبه الله غزارة في العلم ونفحة تذوق الأدب وسلامة العبارة بأسلوب رقيق جذاب فهو من كبار الأدباء المجيدين .

وله باع طويل الأمد في المعارف وادراك العلوم الحديثة والكونية .

وحين ينشر يراعـه في تحبير مقالة . يتخير وينتقى مجانب وحشيّ القول يلتزم بالكلم المحبب الأنيق . فبيانه طوع بنانه .

والمقال لديه « كحوليات زهير » يسبر اغواره بعمق حتى يأتي كامـلاً غير منقوص وقد حول الله من نفسه الحول إلى ساعة من زمن أو زد عليها قليلاً بما يملك من علم مكين وخيال عميق وذكاء فطري .

هذا هو الشيخ هاشم دفتردار كما عرفته .

وهواتف : ثمرة ناضجة من ثمراته .

فالكتاب ليس وحدة ذات موضوع خاص. بل هو مجموعة مواضيع متفرقة متباينة وقد سار المؤلف على نهج من سبقه من نوابغ كتاب العرب المعاصرين .

نذكر منهم على سبيل المثال : الأستاذ الرافعي ، في وحي القلم . والأستاذ الزيات في وحي الرساله ، ومن قبلهما المنفلوطي في النظرات ، رحمهم الله تعالى « وأمدّ في أجل أستاذنا الجليل » .

ولعمري انها لطريقة حديثة محببة إلى نفوس الجيل الصاعد الذي نعايش والذين أرهقتهم الحياة بصخبها فلم تعد الرغبة لديهم في أخذ كتاب ذي موضوع خاص يقرءونه ، عدا بعض الباحثين الذين جعلوا البحث من اختصاصهم وقليل ما هم .

من أجل ذلك كثرت المجلات العلمية والثقافية والأدبية وأصبحت في متناول الأيدي أكثر من الكتاب .

وهواتف : هو نخبة من الأبحاث التي تستهوي شبابنا المثنف ضمن دفتي كتاب استوعبت كل ما يحتاجه القارىء من بحوث ومواضيع :

في الدين ، والأدب ، والأخلاق ، والتربية ، والثقافة ، والعلوم الكونية المستفيضة ، فهو يحق كما قال الشاعر العربي :

تدفق منه جمال الجديد وما غاب عنه جلال القدم

هواتف : كان كنزاً مخفياً من الحب والجمال والذوق ، فاستخرج الآن وهو بين يدي القارىء ، ففيه دروس مفيدة لأبناء العرب ، وناشئة العصر ، ورجال الغد .

حينما خضت غماره خلت نفسي وكأنني في جنة وارفة الظلال .

زنبقة شرود وياسمين مكثف ، وورود مرصوفة طبقات بعضها فوق بعض لم أجد كلمة في غير موضعها ، فالكلم فيه صناعة صناع حاذق لا تأتيه الشبه من قريب أو بعيد .

فتحسب أن الكاتب ما كان يغمس قلمه بحبر بل كان مداده من عطر .

وكلما أسرعت الخطى في دروبه ترى ما لا رأيت ، ففيه من كل فاكهة زوجان ، وإذا استهواك وأغراك القطوف ، فإنك لا تخشاه

لأن الأرض خصبة تؤتى أكلها كل حين فلا يقربها جفاف ولا نضوب .

وجملة القول :

إن كاتب « هواتف » قضى عمره « أمد الله بعمره » خادماً للعلم والأدب .

فقلمه الأنيق يخلع على القطعة ثوباً جميلاً كأحلى ما ترتدي العذارى في ليلة الزفاف فكان همه الوحيد في حياته العطاء .

وإعطاء العلم محبة للعلم الذي أكرمه به الله ، الذي علم بالقلم علم الإنسان ما لم يعلم .

محمد ابراهيم رجب

بيروت في غرّة محرم الحرام سنة ١٤٠٠ هـ

الموافق في ٢١ تشرين الثاني سنة ١٩٧٩ م

المقدم الملكي الكريم

أهلا بمقدمك الكريم فإنه كالروض من كل الجوانب مورق

وأي مقدم أعظم من عودة الأسد إلى عرينه ، والصقر إلى مستقره ... بعد أن وضع على مفرق الشرق اكليل النصر ...

تطلع الشمس في كل مكان ولكن مطلعها في خط الإستواء أبداً صحو صحو ، ولا ضباب ولا قتام لأنها تطلع كل يوم في عز ضحاها وفي طلوعها الحرارة والنور .

... وهذا شأنك يا مولاي فأنت استويت على عرشك شمس إسلام وعروبة وهداية وعرشك القلوب لأنك تعطيها كل يوم الحرارة والنور .

١ – الحرارة التي تحرك العمل ، وتثمر الثمر ، وتنضج الفكر ، وتتم كل أمر ..

٢ – والنور الذي يسطع في القلوب إيماناً وفي النفوس أخلاقاً ، وفي الألسنة صدقاً ، وفي النيات نزاهة وشرفاً .

وكل ذلك نعمة الله لعباده أجراها على يديك لتكون لك حسبة ، ولاسمك خلوداً .

.... وقد طرت يا مولاى من بلاد العرب والإسلام – جزيرة العرب .. إلى بلاد العرب والإسلام بلاد المغرب – فكنت كنجمة الفجر أيان تطلع يؤذن المؤذنون وينادي المنادون .

« لقد طلع الفجر . لقد طلع الفجر وانزاح الضباب عن مطلع فجر الإسلام في بلدة الإسراء والمعراج وهل من نعمة أكبر من نعمة إزاحة الضباب عن مطلع فجر الإسلام في بلدة الإسراء والمعراج .

... يا له من عمل إنساني كبير لأن الإنسانية تنتظره ، وإسلامي عظيم لأن المسلمين يؤمنون به ويباركونه لأنه يتصل بالقبلة الأولى لهم ... وعربي خالد لأنه حق والوطن وأهله .

اجتماع الامامين :

طار امام المشرق . من محراب مهبط الوحي ، ومنطلق الإسلام والعروبة – جزيرة العرب – إلى قمة الإسلام والعروبة العليا في إفريقيا . المغرب العظيم ... وهو يحمل أمانة القبلة الأولى وشعارها المقدس الذى فرض الله أن يكون مقدساً لدى الإنسانية كافة وأن يتفانى في سبيل رعايته والحفاظ عليه والذود عنه والتضحية في سبيله المؤمنون كافة ، وكم هو مقدس وكم هو أمانة قد مجدها الله في كتابه المعجز بقوله :

(سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلاً مِنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الأَقْصَا الَّذِي بَارَكْنَا حَوْلَهُ لِنُرِيَهُ مِنْ آيَاتِنَا إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ) .

أجل اجتمع الامامان العظيمان امام المشرق الملك خالد بن عبدالعزيز بشقيقه امام المغرب الملك الحسن بن محمد الفاتح . وأقسما قسم الرعاية والعناية والحفاظ على الأمانة العظمى أمانة بيت المقدس والذود عنها والسهر من أجلها ومتابعة الجهاد .. بقدر ما يملكان من طاقات ما إيمانهما العملي النافذ .

ومن ورائهما المؤمنون أجمعون يؤيدون وينصرون في مشارق الأرض ومغاربها . أنـّى حلوا . . وفي أي مكان وُجدوا

والعرب والمسلمون الذين لم تسمح لهم إمكانية الفرص أن يفدوا بأنفسهم إلى الرباط . ليأخذوا بشرف مواثيق الإبقاء على مقدسات مدينة الإسراء والمعراج التاريخية من مؤتمرها العظيم .

وفدوا اليها بقلوبهم المؤمنة ونياتهم الصـــالحة وأمانيهم الحسان وعزائمهم المـــرهفة . وقد عقدوا عقود الحق ليكونوا نصراء الحق .

ومن أجل ذلك تجدهم في كل أوطانهم ..

١ – خفقت قلوبهم بالمودة والتقدير ..

٢ – وشخصت أبصارهم بالإكبار والإعجاب ..

٣ – وهتفت السنتهم بهتاف التأهب للتضحية ..

... كما وقف الملكان العظيمان الملك خالد بن عبد العزيز ، والملك الحسن بن محمد الفاتح على قاعدة الجهاد ، ورفعا علم القدس التاريخي العظيم .

وهنا في وسط هذا الحشد الحاشد والجماهير الملتفة حول القاعدة التفـــاف الأمواج الصاخبة بسفينة النجاة صافح جلالة الملك خالد بن عبد العزيز أخـــاه الملك الحسن الفاتح مودعاً بعد أن تم كل شيء على أحسن ما يرام . وعلى أمجـد ما يعتز به .

وفي يد كل واحد منهما همزة الوصل ..

: « ولله الأمر من قبل ومن بعد »



صحّة البصيرة في قيـــادة الأمّـة

ليس كل من قاد أمة منحه الله البصيرة ونفاذها ودقتها وتحريها وتحققهـا من ماهيات حقائق الاشياء .

فكم من بصيرة ذات غبش أو عمش أو حول أو عور أو عمى. تُريك أمراً وما هو من الواقع في شيء أو ان واقعه لم يكن في شيء من خير وهدى، فيقع الإنقسام والهـــلاك .

وما رأيت في عصرنا الحاضر من قائد أمة أتاه الله عز وجل صفـاء البصيرة ونورها وصحتها ، وصدق الحدس وصوابه بمثل ما أتاه لصقر الجزيرة العربية الملك الراحل عبد العزيز آل سعود ..

ملك أبعد الله عنه الغرور ، والغرور فتنة عمياء ، نشوة سامة قاتلة . مـــا دخلت على قيادة الا مزقتها ، وأودت بها وجعلتها أثراً بعد عين .

ملك رافقه الصواب والتوفيق وبعد النظر والحكمة والإخلاص في كل حركاته وسكناته . وهذا شأن خلفائه بعده ..

ملك أعماله وأقواله مدونه ، وكلها تدل على ما قلت ويقوله عنه مواطنوه والاجانب .. وأقواله أشبه بأعماله . لانها كجناحي الطائر ، لا ينفك أحدهما عن الآخر ، لاستمرار المسيرة . لذلك إذا سمعت قولا من أقواله فتيقن انه عمل من أعماله . اسمع منه هذا القول الآتي وتابع دراسة أعماله تجدها صورة ناطقة عنه يقول رحمه الله ..

« العرب اليوم ، أي يوم كان يعمل للنهوض بهم وتوحيد صفوفهم هم كالطفل الصغير يحتاجون إلى عناية شديدة ، فمن الواجب على من يتولى أمرهم أن ينصحهم. ويرشدهم إلى طريق الصواب » .

وهل من قائد سواه في عصرنا نصحهم في وطنهم الام بعمق الإيمان ، وصدق الإخلاص .. وبكبير التضحيات ، وأخطر المغامرات للتحليق بهم إلى شرف جمع الكلمة ورشدها .. وواضح ان ثمرة كل ذلك هي وحدة الاستقلال المتجلي في مواطن العرب المسلمين ، وبلوغهم الرشد الإجتماعي ولم الشعث والقضاء على المزّقين الخائنين.

... لان الاطفال في المدارك ، ولو كانوا طاعنين في الاعمار ، ما أسرع ما يضحكون وما أسرع ما يبكون .. وما أقرب ما يصطلحون ، وما أقرب ما يختصمون ، وما أسهل استجابتهم لكل ناعق ، وما أصعب إيقاظهم لمصالحهم .

وهم غريزيون يؤخذون بالغرائز . ينجذبون إلى مفاتنها ويخالونها حقائق دائمة . وينساقون وراء مغرياتها وتحدوهم نغمات هواتفها ، ولو إلى المسالخ وقصم الظهور .

هذه الصورة التي رسمها صقر الجزيرة المناضل منذ نصف قرن ونيف الملك عبد العزيز .

وهذه الصورة ذاتها هي التي تجعلك تلمس ما عانى من الشدائد والاهوال ، وما لاقى هو وخلفاؤه حتى استطاعوا أن يستنبتوا في تربة أجيال الاطفال الكبار هؤلاء الشبان المؤمنين المفكرين الاجتماعيين . الذين يحكمون العقل والدين في كل ما يأخذون به ، وفي كل ما يتركونه ويعرضون عنه ، والعرب أوفياء بالفطرة لا ينسون فضل صاحب هذا اليوم الوطني العظيم ويكرمونه . فما بالك إذا أضيف إلى الوفاء الفطري حكمة الثقافة وإخلاص الإيمان بما أنزل الله .

أجل أجل ... قبل نصف قرن ونيف . لم تكن ترى هذا الجم الغفير من الساسة ذوي البصائر المفكرين الذين لا ينخدعون فينا كر بعضهم بعضاً بيــد الدساسين المجرمين بعلب من الحلوى المسممة المعدة لتمزيقهم وهلاكهم . ومـــا أهولَ حقدُ الملاحدة.. !!

ولم تكن ترى هؤلاء القادة الابطال الذين يسهرون على أمن البلاد في داخلها وخارجها ويكتشفون الهدامين الدساسين البغاة الملاحدة . ولو اختفوا في القصور والاكواخ ، وتستروا بجلاليب الحرابي المتلونة المزيفة .

ولم تكن ترى هؤلاء العلماء الاعلام الرواسخ النوابغ ، والادباء العباقرة الذين تقرأ لهم وعنهم في شتى الصحف والمجلات متجاوزة الاسوار والقمم بالهدى ودين الحق .

ولم تكن ترى هذه الجامعات والمجامع ، ودور الصحافة والمجلات ، ومعاهد الهندسة والطب والالكترون والكهرباء والإختراع إلى ما هناك .. من كل جديد منيع قويم نافع بكل تاكيد .

أجل أجل جاهد صاحب اليوم الوطني الحديث وناضل جهاداً ونضالا خالدين واقتحم الاهوال والاخطار بعد الاخطار حتى افضى بشعبه الطفلي المزق ، إلى وحدة الرشد الاجتماعي المتماسك ، وصعد به إلى قمم حقائق العلم والمعرفة. وتغلغل به إلى أعماق مقومات الحضارة ...

والى والى .. أي ما نشاهده الآن ، وما تشاهده الاجيال بعد الآن .

وها نحن أولاء في عهد جلالة الملك خالد المفدى بن عبد العزيز وولي عهده الامين سمو الامير فهد بن عبد العزيز . نرى شيوخ الشعب السعودي ســاسة متحكمين وحكماء مفكرين وشبانا مثقفين ، ورياضيين أقوياء هم عدة الذود عن حمي العرب والإسلام ..

ونرى عموم الشعب السعودي مؤمنين يتسابقون لاداء الصلوات الخمس مخلصين لامتهم ودولتهم . تجمعهم روح واحدة وفكرة واحدة ومصلحة واحدة ..

أجل يجمعهم على يقين من العلم ، وعلى صـدق من الإيمان ، على نور من الله ، حقيقة اسلامهم والتفافهم حوله .

وكل ذلك مرتبط أوثق ارتباط وأمكنه ، بحياتهم الإسلامية العملية الملتزمة المخلصة وبجلال الحكمة المأثورة عن السلف الصالح . والاجتماع رحمة ، والفرقـة عـذاب .

بل الفرقة فناء وفناء ولعن الله الذين يورّثون الاحقاد بين جماعـات الشعوب وأفرادهم تمهيداً لتمزيقهم وأبادتهم . انهم ملعونون اينما ثقفوا ..

عصم الله أمتنا ، والامم الاخرى من تمزيقهم وشرورهم ..



اليوم الوطني ومثالية الإسلام

اليوم الوطني في المملكة العربية السعودية ، إهلال قبس من هدى الله في دعم وحدة الكلمة بكل الإمكانيات ...

وإنك تجد عصمة وحدة الكلمة مثالية مكينة في شخصيـة الدولة السعودية العربية ، من أول يوم في أعمال قائدها العبقري صاحب اليوم الوطني الملك عبد العزيز آل سعود وأعمال خلفائه بعده في زيادة دون نقصان .

كما تجد عصمة وحدة الكلمة عبقرياً فذاً في أعمال سلف هذه الأمة الصالح .

وإليك أعمال الأسوة الأعظم ، خاتم رسل الله سيدنا محمـــد صلوات الله وسلامه عليه .

لقد أجمع علماء الاسلام منذ مطلع فجره أن أعمال رسول الله ، وأقوالـه واقراره لأعمال الآخرين ، تشريع من الله عز وجل لعباده :

أما أنه الأسوة والقدوة فهذه آيته الكريمة:

(لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ ٱللهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِمَنْ كَانَ يَرْجُو ٱللهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلْآخِرِ وَذَكَرَ ٱللهَ كَثِيراً) ٣٣ – ٢١ .

وأما أننا مقيدون به ﷺ في أخذ ما نأخذ به من أعمال ، وفي ترك ما ترك من أعمال فالنص القرآني ظاهر في ذلك :

(... وَمَا آتَاكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ ، وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا ،

وَٱتَّقُوا ٱللهَ انَّ ٱللهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابْ) ٥٩ – ٧ .

اعماله ﷺ في توحيد الكلمة :

عانى رسول الله في توحيد كلمة العرب ، ومن ارتضى الاسلام ديناً أشق المعاناة ، ولاقى الأمرين وأهوال المآسي من اليهود والمنافقين الذين ضحكوا عليهم وسخروا لشرورهم وجرائمهم ، ومن المشركين صغار الأحلام الذين صنعوا منهم الأحزاب ليطفئوا بأفواهم نور الله الذي تألق في جزيرة العرب ليضيء العالم أجمع ..

أنى أنى لهم ذلك ، ونور الله ؟!! لا يطفئه أهل السموات والأرض ، ولو اجتمعوا له ..

أجل وحد رسول الله كلمة العرب ومن ارتضى الاسلام ديناً بأمر الله عز وجل .

إسمع يا أخي ... واخشع وتأمل وفكر ... في جلال وحي الله المبرم في تحقيق هذه الوحدة العظيمة ... دون أن تخدعك كلمة مجرم دساس يهدف من ورائها إلى تمزيق وحدة كلمة العرب والمسلمين .

(وَٱعْتَصِمُوا بِحَبْلِ ٱللهِ جَمِيعاً وَلَا تَفَرَّقُوا ، وَٱذْكُرُوا نِعْمَةَ ٱللهِ عَلَيْكُمْ ، إِذْ كُنْتُمْ أَعْـدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ ، فَأَصْبَحْتُمْ بِنِعْمَتِهِ إِخْوَاناً . وَكُنْتُمْ عَلَى شَفَا حُفْرَةٍ مِنَ النَّارِ ، فَأَنْقَذَكُمْ مِنْهَا ، كَذَلِكَ يُبَيِّنُ ٱللهُ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونْ) ٢ – ١٠٢ .

والحمد لله فقد نهض رسول الله لوحدة كلمة الأمة ، وهدايتها إلى حقيقة الايمان اليقيني والاعتصام بحبله الجامع . بكل ما آتاه الله من حزم وعزم وقوة .

وإنا نجد في أعماله الخالدة التي سد بها ذرائع شر الأشرار وخيانة الخائنين

الخفية لتمزيق الكلمة وتأريث الأحقاد بين أبناء الأمة الواحدة أمجاداً وأمجاداً وبذكريات هي إسوة الانسانية العالية المصلحة الجامعة إلى يوم القيامة .

أنظر إلى نظره البعيد الموفق وهو في طيبة المباركة كيف تسارع وأسمى قبيلتي الأوس والخزرج بالأنصار ليقطع الألسنة الدساسة الخائنة الداعية إلى التفرق.

وهكذا أصبح الانصاري أخاً للانصاري ، فلا أوس ولا خزرج .

وبفضل هذه التسمية الحكيمة الراشدة تذوق الأنصار نعمة التآخي في الله : النعمة التي لا تعد لها نعمة .

وكم حاول الأعداء دعاة التفرق والتمزيق من اليهود أن يثيروا بينهم فتنة يوم بعاث . وهي المجزرة التي وقعت بينهما في الجاهلية ، فأخفقوا وباؤا بالفشل والخسران ... لأن رسول الله ﷺ كان واقفاً لهم بالمرصاد .

وهذا السبب ذاته هو الذي جعله يواخي بين المهاجرين والأنصار إخاء إسلامياً وثيقاً ، فيه كل صلات القربى إلى حد التوارث . وفيه القضاء الحاسم على كل صغار الجاهلية ، ونعراتهم المزقة ، وبلاويها الجائحة ، وأحقادها المدمرة ، ومفاخرها الصبيانية آخاهم بوثائق وحي الله ، وأضوائه الهادية ، وحكمته العالية ، وشمائله الماجدة وإنسانيته المفكرة النابغة .

خذ مثلا موقفه الاجتماعي العظيم الخالد في غزوة بني المصطلق .. لما حاول الشيطان أن ينفث نفثات الجاهلية المزقة بين المهاجرين والأنصار .

يا لله ما أعظمه وأكرمه وأبعد نظره ؟!! أفهمهم جميعاً وهم غرقى في عمى الجاهلية الثائرة الهائجة وصغارها ورعونتها .

انّ الذي هم فيه ليس طيوب وحي الله ، ولا من سموه ، ولا من إنسانيته ، (بل هو من نتنِ الجاهلية وانحطاطها ، وأوصاهم بالوحدة الاجتماعية والانتباه لدس المزقين الأعداء . وأخيراً أفهمهم هذا ما أنزله الله لإسعادهم واعزازهم وفرضه عليهم في وحيه المقدس..

ومن أجل ذلك كان صاحب هذا اليوم الوطني العظيم الملك عبد العزيز آل سعود على رفرف مشرق من سمو الحكمة ، والاهتداء بوحي الله عز وجل ، في كل أعماله المجيدة الجامعة لكلمة أبناء الجزيرة العربية. فما ترك ساعة من ساعات حياته ، تذهب سدى دون أن يذخرها في جمع كلمة أمته الحبيبة على هدى الله دون تمييز من أبناء ناحية وناحية ، وقبيل وقبيل اقتداء برسول الله ﷺ .

اجل جمع صقر الجزيرة العظيم أبناء الجزيرة وأظلهم تحت جناحيه ، وضمهم إل حنانه دون تميز بين فقير وغني وبين كبير وصغير ، وبين سيد ومسود. الجميع اخوة في يقـين وحي الله ، والجميع مؤمنون ، والجميع ملزومون بطاعته سعداء بعدله .

ألا إن الايمان الصادق بالله الخالق العظيم ، والتزام تكاليفه الموحاة على خاتم رسله هو أمانة رب العالمين التي عرضها على السماوات والأرض ، فأبين أن يحملنها وأشفقن منها لكبير أحمالهـا ، وعظيم تكاليفها . وحملها الانسان ليعيش في الدنيا ، مؤمناً موحداً صادق النية والعمل ، ويؤثر جمع الكلمة على كل شيء ، وليكون في الآخرة من السعداء المنعمين في جنـان الخلد . ولكن كم هم الذين ظلموا أنفسهم بالتفريط في تضييع أمانة الله فكانوا من الخاسرين .

ولولا رجال أمناء أمثال قائد نهضتنا الحديثة ، الملك عبد العزيز آل سعود الذي رعاهـا حق رعايتها بالدعوة والكلمة الحسنة طوراً ، وطوراً بالشوكة والسلطان لمزق المُلك وشتت شمل الأمة وأصبحت هباء لأن الذين لا يريدون عزة أمتهم ووحدتها باليسر ، خليق أن يريدوهما بالعسر ..!!

أجل شمر صقر الجزيرة عن ساعديه ، وانتضى عزماته المغامرة ، وإراداته الصارمة. ثم هب إلى دعوة الايمان والوحدة هبوب الرخاء مرة وهبوب العاصف أخرى . ولكل أهل ومقام ..!!

ولولا ذلك لكنت ترى البشر كل البشر ، لبعدهم عن وحي الله وأمنه وسلامه ومودّاته ، يتخاطبون بالرصاص ، ويتصافحون بالقنابل ، ويتنغمون بالغازات السامة ، ويتراشقون بالرجم .

ولولا أن رسول الله ﷺ ... طمأننا أن هناك طائفة من أمته ، لا يزالون مستمسكين بالحق ، لا يبالون بمن ضل حتى يأتي أمر الله » .. لخلت بلاد العرب والمسلمين من رجال مؤمنين مخلصين ، يعملون بوقد طاقاتهم ما وسعتهم الجهود لجمع الكلمة وتوحيد الصفوف ، ويفكرون في دعم ذلك تفكيراً عبقرياً متوفقاً موفقاً ..

والحمد لله الذي جعل شعبنا السعودي في طليعة الفئة المؤمنة التي بشر بها رسول الله باستمرارها إلى يوم القيامة ، وزكاها ..

ويكفيك – يا سامعي العزيز . أن تلمس معالي الحكمة الجامعة الماثلة في اطلاق صاحب اليوم الوطني الموحد لفظة « سعودية » علماً على هذه البلاد المقدسة ، فكل أبنائها سعوديون ، فأنى يكون الاختلاف ، وأنى يكون التباين ، وأنى يكون التنازع لا يكون ، ولن يكون إلا في بقايا هوس العقول الصبيانية القاصرة المتخلفة .

وكم أتمنى على نوابغ كتابنا ، وفحول شعرائنا أن يتناولوا موضوعات جديدة فذة حول مثاليات اليوم الوطني وغاياته وأمجاده وفوائده وثماره في قصص مطولة وتمثيلات مبتكرة رائعة ، ومحاضرات فذة ، وفي قيم المؤلفات الخالدة .

وكم وكم من نعم أغدقها الله على أبناء هذه المملكة بفضل هذا الاسم الجامع ..

فلا قطيعة ولا بغضاء ، ولا صغار ، ولا تنابذ بالألقاب بعد اطلاق لفظة سعودي على كل مواطن من أبناء هذه المملكة .

وهي كلمة عظيمة جامعة مؤلفة للقلوب ، وموحدة للنفوس . وهي مقتبسة من كلمة رسول الله أنصار على قبيلتي الأوس والخزرج حفاظاً من شرور تمزيق المزقين ، ودس الدساسين سراً وعلانية .

وما أفتن مجالي اليوم الوطني في شعر شاعر طيبة، الاستاذ محمد هاشم رشيد...
إذ يقول فيه ..

أقبلت تسبق الزمن : يا أجمل الأيام في وطني
يا يوم وحدتنا وما حملت للعرب من خير ومن منن
أقبلت ذكرى أمة صمدت وشعار شعب قط لم يهن
ونشيد حب من جزيرتنا نشدو به في يومنا الوطني

ومهما يكن فليس في وسع كاتب مثلي أن يقول في ذكرى يومنا الوطني .
سوى أنه يوم الوحدة المتماسكة والجماعة المتآلفة . يوم العزة والكرامة يوم الخلود .



عكاظنا اليوم – لمستقبل أفضل

عقد العرب سوق عكاظ في جاهليتهم ، في هذه البلاد العزيزة المقدسة ، إقامة لأمجادهم ، وتوحيداً للغتهم ، وتوطيداً لمنزلتها بين اللغات ، وتشجيعاً لأدبائهم ، حتى أفضى بهم الحال إلى أن دونوا أروع ما قيل من القصائد بماء الذهب وعلقوها في جوف البيت الحرام حسب قول الرواة ، أضف إلى ذلك سمو مكانة الخطباء أمثال قس بن ساعدة الأيادي ، وأكثم بن صيفي ، وهانىء بن قبيصة الشيباني ومروان بن زنباع العبسي ، وأبي طالب ومرثد الخير .

وها هي ذي الحقب الطويله تمر متتابعة ، وأحاديث بلادنا ، ومؤتمر عكاظها الأول ، وما قدمه لها وللغتها من أمجاد ملء الأفواه والأسماع ، وها هم اليوم قادة هذه البلاد بالذات لما شاهدوا طوفان اللغات العامية ، يطغى من هنا ومن هنا ، وفي كل مكان .. على لغتها الأصلية – لغة القرآن – وقد استمراها المتآمرون الآثمون ، ونوهوا بها ، وآثروا بالدعاية المبطنة ليمزقوا أمة العرب أولا . وليهدموا الاسلام والمسلمين ثانياً .

وفيهم المتعمد الخبيث ، وفيهم المقلد الإمعة ، وفيهم محب الظهور العاجز عن حمل أثقال دراسة أصول اللغة الفصحى وتحصيلها . أجل لما شاهد قادتنا كل ذلك ، فما كان منهم الا أن أقاموا مؤتمر الأدباء السعوديين ، لأول مرة في تاريخ البلاد ليكون تكرمة اكبار للأدب والأدباء ، وحصن فولاذ مجلل بالفولاذ ، لا تستطيع نقبه الأهواء السوداء المتفجرة باللهب الأحمر .

ولا تلقى منه أحقاد العنصرية المتآمرة المخاتلة غير صفعة نار الصاعقة المحرقة المبيدة وليكون منار عرفان لانسانية الثقافة في هذه البلاد وصارى إيحاء لفعل الخيرات ، وقمة شموخ خالد لأدبها وأدبائها ، ودفق هداية سماوية منصفة للناس

كافة .. وليفاخر وطننا بأمجاد هذا المؤتمر العربي السعودي ما شاء له الفخار • إذ سطع في سمائها كوكب سعد وهاج بالأنوار الباهرة • لجيلنا الرائد ، وللأجيـال القادمة ، ولن يخبو أبداً بإذن الله وانــه لشعبنا الماجد الفيصل بين العلم والجهل والحق والباطل والهداية والنور ، والايمان والكفر ،وأثره الهادى سيبطل زاجراً عن كل الحاد ، وتخلف وبلبلة . بل هو كما يقول معالي وزير معارفنا الشيخ حسن ابن عبد الله آل الشيخ : لايجاد مزيد من الإهتمام بأدبنا وأدبائنا ، وهــــو البداية الذكية لجهود لا حصر لها ينبغي أن تبذل لرفع شأن الأدب والعناية بالعاملين في كل مجالاته والوانه » .

وهذا بلاغ في تجديد ثقافتنا العربية السعودية ذات المثل السماوية العليا ، ولا انحراف عنها قيد شعرة ، ولا قعود عن النهوض بها ، والدعوة اليها والذود عنها في حدود الأصول السماوية المنزلة في كتاب الله عز وجل ..

وكتاب الله هو الأمانة العظمى المرعية من ذوي السلطان في شعبنا السعودي الماجد ومن أجل الحفاظ بها ، وأدائها كاملة في قداستها وصفائها • أقيم هذا المؤتمر التكريمي لأدبنا وأدبائنا : مؤتمر له ما بعده ، ومــــا بعده فيه كل التكريم لهم وللبلاد ، ومن لا يكرم نفسه لا يكرم ، والتكريم بلاغ من الحق وللحق .

أجل هو بلاغ تلمسه في كلمة معالي وزير معارفنا الشيخ حسن بن عبد الله آل الشيخ : « ان يومنا هذا سيظل مشهوراً واضح الملامح في حياتنا ، وعميق الأثر في مستقبلنا .. وستظل ذكراه عالقة في نفوسنا ، مشدودة إلى مشاعرنا ، لأننا نلتقي على حقيقـــة طال انتظارنا لها . وحسبنا لشـــدة لهفتنا عليها أنها لن تأتي »

(مؤتمرنا هذا أيها الاخوة هو الانطلاقة الواضحة (والآمال أيها الاخوة حينما تتحول إلى حقائق فإنها تنسى ببهجتها وعطائهـــا كل آلام العاملين من أجلها ، وتنقلهم من التردد إلى الاقدام ، ومن الحيرة إلى اليقين) .

ويقول معاليه عن الأدباء

(هم الامناء على التراث ، والعاملون بكل طاقاتهم وجهودهم ، لكي تبلغ أمتهم ووطنهم المنزلة التي تليق بها ، والذين صارعوا كل مغريات الحياة وسلبياتها فأخضعوها للعطاء والإيجابية والانتاج . والذين قاوموا الخمول والتواكل وانطلقوا يعملون تحت الكثير من الظروف الشديدة ، والقسوة ، ومن اطار انعدام الوسائل وتلاشي الإمكانيات ، لكي يقدموا لمعاصريهم ومن بعدهم لونا واضحاً من حضارتهم الإنسانية ، وتجربة تفيض بالحكمة والمعاناة ، ورصيداً لا ينفد من الروائع والانجازات .

هؤلاء من حقهم أن يجدوا من الدنيا كلها اهتماماً بأمرهم ، وتقديراً لصنيعهم ، واعترافاً بجهودهم .

ويقول عن المؤتمر :

(هو الانطلاقة الواضحة ، لايجاد مزيد من الإهتمام بادبنا وأدبائنا . هو البداية الزكية لجهود لا حصر لها ينبغي أن تبذل لرفع شأن الأدب والعناية بالعاملين في كل مجالاته وألوانه .. وهو فوق ذلك كله يصور النظرة الحالية لهذه الفئة الكريمة من مواطنينا .. أرسلها قائد بلادنا وأملها بعد الله ، الفيصل المفدى يوم شجع اقامة هذا المؤتمر ، ووافق على عقده دون تردد ، فور تشرفنا بعرض الفكرة عليه . وما كان له – وقد شاء الله أن يضع في يديه أمانة الدعوة إلى دينه في هذا العصر المضطرب – أن يغفل شأن الأدب في بلادنا ، أو يتجاهل العاملين المخلصين . بل كان معهم يؤيدهم ويشجعهم ويعترف بجهودهم . وفقه الله وأعانه » ..

وبهذه المناسبة الماجدة ، أرجو أن لا يند عن أذهاننا ان دولتنا السعودية الكريمة ما أقامت هذه الحفلات التكريمية الماتعة ، لأدبائنا النوابغ الا تذكرة انها دولة أسست على العدل والانصاف والايثار والفداء ، لاعادة أمجاد دولة الخلفاء

الراشدين ، وانها بهذا التكريم لأدبائنا تنتدبهم ، للعمل المخلص النابه والنشاط العبقري الخـــالد .

ولم لا يكونون كذلك ؟؟ وبلادهم السعودية هي التي انطلق منهـا مؤسسو الحضارة الانسانية المثالية . فالفرد منهم ، يعدل أمة من سواها لو عرف نفسه ، أين هو : وممن هو ؟ ولو استطاع أن يكبت نزواته وملاهيه ويشمر عن ساعديه للتضحية ، للفداء ، للاعمال الشامخة الخالدة ، كما شمر أجداده الابطال المفلحون في فجر الدعوة الاسلامية الكريمة .. أجل ان الفرد منهم قادر أن ينتضى عزمات صدق الايمان ويحقق مثله الانسانية العليا ..

لأن الجواهر الكريمة تظل كريمة متألقة ، وتظل قمتها الغـالية مستكنة في صميم كيانها رغم عوادي الزمن ، إذا أنزلتها ، من أعلى شرفاتها وأفقدتها اقدارها الغالية أحيانا .

والآن وبلادنا في نهضة حضارية سعودية حديثة ، تحلق صاعدة قوية عزيزة . قد استعادت أقدارها وأوزانها الغالية ، حتى انك لتجدها من يوم إلى يوم ، اخلد وازهى واجد من ذي قبل فمثلها كمثل البدر المتألق إذا استحوذ عليه المحاق وحال دون رؤيته متألقاً . ولكن لا يلبث حتى يبدد المحاق ، ويستعيد دورته في سحر تألقه للاعين دون نقصان أو تخلف .

وهذا شأن بلادنا فإنها لن تخبو أضواء ثقافتها ، ومفاتن آدابها في العالم ، ولن تنتهي عزمات قادتها ، ونباهة أعمالهم حتى ولو انتهت الحياة نفسها . وطـارت شعاعاً ، وتفككت ذراتها .

والآن ونحن نتقلب فخراً في مواكب هذه النهضة الصاعدة التي يعود فضل تشييدها . وحراستها لجهود قادتنا البناة الساهرين .

فأهلا بهم ، ومرحباً بما شيدوا وبنوا .. والاعجاب والاكبار ملء قلوبنا ، وفيض أقلامنا . وكنوز أدبنا . وللتاريخ والحق وكبير المثوبة من الله عز وجل ما قدموا وأخروا .

طريق المعرفة الصحيحة

الايمان بوحي الله ، والتقيد بمثله العليا طريق المعرفة الصحيحة ، فمن لا إيمان له بذلك فمعرفته مدخولة معوجة فاسدة ، وحكمه على الأشياء يأتي دائماً مغلقاً بمشتهيات النفس وتقاليدها ومصالحها .

وكل معرفة متصلة بشهوات النفس وغرائزها ونزواتها وبواعثها ومصالحها ، دون أي اعتبار لمصالح الآخرين ، تظل مدخولة ملوثة فاسدة ، وتظل حرباً على يقين الحق ، وزوغانا في أسلوب المعرفة . . . والحق أن الحضارة الانسانية الصحيحة ثمرة معرفة الايمان الصحيح .

وليس من شيء أصلح ، ولا أبقى ولا أجل ولا أخلد من معرفة الايمان الصالح الذي أنزله الله على خاتم رسله سيدنا محمد ﷺ لحفظ مصالح الخلق أجمعين .

ومعرفة الايمان الصحيح لا تكون إلا بإماطة الزيف عن وحي الله ، وتحريره من الزيادة والنقصان والتأويلات المشبوهة البعيدة عن حقائقه الأصيلة .

والأمة الانسانية العظيمة هي ذات الحضارة الانسانية العظيمة ولن تكون الحضارة إنسانية عظيمة إلا بصدق إلتزاماتها العملية بوحي الله الصحيح الحق .

ومن أوجب الواجبات على الأمم كافة ، والتعرف إلى الايمان العلمي اليقيني المنزل من السماء على خاتم رسل الله ، وعزل أباطيل المادة وأساطير الوثنية عنه دون أي انخذال أو تخلف أو إمساك عن التضحية بالغالي والرخيص ، ومن أجل تحرير العلم بوحي الله الحق ينبغي أن تشيد المكاتب الاسلامية العامة في مدن

العالم وقراه بكل اللغات وتقديم الكتاب الإسلامي المصفى المشتمل على كنـه الوحي اليقيني والعلم اليقيني وابعاد الظنون والأوهـــام والاساطير والرؤى والاحلام عنه .

لان العلوم المادية في عصرنا فصلت البشر عن السماء،وطرحتهم أرضاً وجعلت ثقافتهم شطرية ، أي مادية ترابية بحته ... والثقافة المادية الشطرية محـــال ان توصل البشر إلى يقين حقائق الكائنات من كل الاوجه ويشد معارفهم اليقينيـة إلى الايمان بمكنونها العظيم الله رب العالمين .

والدول اليوم قائمة على قدم وساق من أجل محو الأمية ، لتخليص البشر من الجهل لأنها وجدت كل المؤامرات والفتن والاحقاد والاغتيالات وتغلغل الخونـة المجرمين فيأوساط الأمم مصدرهالجهل،ويرون محو الأميةهو العلاجالشافيالكافي .

والواقع غير ذلك . لأن إزالة الجهل بدون تركيز الايمان الصحيح في الانفس وبدون تدعيم وازعة الروحي المقدس في أعماق المجموعات النفسية وبدون ربط الضمائر والتبعات بوازع عقوباته الزاجرة ، وانفاذ أحكامها بجد وصرامة ...

أضراره بالغة هامة ، تنجم عن أهوال الانقسامات ، وقصد ظهور التفاهم من أجل مصالح الأمة ، وفصل الحق عن خالقهم، وعن التفكر في وقوفهم بين يديه ، وعن الايمان بالحياة الآخرة من كل الوجوه .

ومتى انفصل الانسان عن الايمان بخالقه عز وجل ، وعن الايمان بالحياةالثانية والحساب عن كل ما أسلف في هذه الحياة. فأي رجاء يمكن لن تفيد منه خيراً.. تراه يرتكب الجرائم الهدامة المرعبة وأهوال أهوال الفواحش ، ولا يحس بندم أو وجل هنا إذا لم يفخر ولم يزه .

والداهية الدهياء والمصيبة العمياء إذا لم تكن هناك دولة قويـــة قادرة على كشف أوكار المجرمين والقضاء عليهم قبل استفحال أمرهم وتكاثرهم كما هوالحال في لبنان .

حينئذ يقتل القاتل ويسرق السارق ويعتدي المعتدي على الاعراض والسابلة ويقتحم المتاجر والمصارف ويسلب ويقتل ، وهو آمن مطمئن يرى أن خنجره أو عصاه أو مسدسه أو قنبلته أو عصابته أو دافعه يحميه .

ومن أجل القضاء على هؤلاء المجرمين وملاحقتهم بالليل والنهار والاهتداء إليهم وأخذهم أخذ قوة وبطش هو بيد السلطان الحاكم وقد رُوي عن السلف قولهم « ان الله ليزع بالسلطان ما لا يزع بالقرآن » .

فوازع السلطان وعقوباته وبطشه بالمجرمين هو الذي يكف إجرام المجرمين الذين لا يكفهم وازع الايمان بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر .

وهل ينفذ دس الدساسين ومؤامرة المتآمرين ، واجرام المجرمين ولا يعلم بـه قبل انفاذه ، ولا ينكشف بعـد انفاذه إلا في الوسط المتنكر للايمـان بالله جل جلاله وباليوم الآخر ، والوسط المنافق المتهاون في أمور دينه وأمور دنياه.

وإذا عدت إلى درس جرائم البشر من أقدم الأزمان إلى زمننا هذا تجدهـا منبعثة عن طغيان الكفر بالله واليوم الآخر ، وعن طغيان أحقـاد العنصرية ، ولعل غير الأمي أخطر من الأمي في هذا المجال ..

والخلاصة المقصودة من هذه الكلمة المختصرة أن المعرفة إذا لم تشيـد على أصول الايمان بالله الخالق العظيم وأسسه وقواعده جر القطب وأفضى إلى تفاقم الشرور وانتشارها وأفضى إلى العجز عن مقاومتها . وهذه هي الفتن العمياء التي يدبرها دهاة العنصريين الملحدين الاباحيين وينفذها المجرمون المستأجرون ، ولا تستطيع السلطة الحاكمة أن تهتدى إلى مخابىء هؤلاء ولا إلى أولئك ، وان ظلموا يوحون إليهم بالاجرام ، ويرسون لهم خططه من وراء وراء لاحكامهم في إخفاء أمرهم وإسدال الستر السوداء . لانها فتن عمياء نعوذ بالله منهـا ومن مدبريها ومنفذيها .

ولا وقاية ولا عاصم ابان اشتعال نيران الفتن وهبوبها إلا باللجوء إلى صدق الايمان بالله جل جلاله وانضواء إلى رعايته والاستظلال بظل رحمته . مضافاً إلى ذلك وقاية الاعداء والانتباه والبحث والتحقيق ، وفي هذا أيضاً لجوء إلى ما أعد سبحانه من أسباب .

ومهما يكن فتعليم الاميين الذي تهتم به الدول كافـــة ، وتنفق في سبيله النفقات الباهظة جميل جداً ، ومبارك جداً من الله عز وجل ، ومن كل الناس ..

ولكن ينبغي أن يكون إلى جانبه محاضرات من علمــاء وأمناء مخلصين في العقيدة الصحيحة الرادعة الزاجرة عن ارتكاب الفواحش والكبائر .

وبذلك نكون قد جنبنا الاميين ، بعد تعليمهم وتثقيفهم ، مخاطـــر قراءة الروايات الخليعة التي تستهويهم بوصف فواحش الجنس وعريه وجرائمه ، وبدس الالحاد والاباحة الحقودة البطاشة من شيوعية وسواها . ومن الاستهانة بالاخلاق والفضيلة وأمجاد السلف الصالح ..

ولماذا لا يمقت الامي كل هاتيك المخزيات الالحادية الهدامة ويقاومها سـراً وعلانية إذا تثقف ثقافة الاسلام الماجـــدة ، ولمس معجزات السلوك القويم في قوله تعالى :

(وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ . إِنَّ ٱلسَّمْعَ وَٱلْبَصَرَ وَٱلْفُؤَادَ كُلُّ أُولَٰئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولًا) .

ولا ريب أن الامي المؤمن إذا أحسن قراءة الاية الكريمة ووعى معناها السامي وجلال تاويلها كف عن الجريمة بوازع من علمه وإيمانه ، قبل أن يكف عنهـــا بوازع من السلطان ، فوازع السلطان يمكن أن يروغ عنه المجرم ويختفـي ... ولكن وازع الايمان يستحيل الافلات منه والروغان عنه .

وكل المصلين يسمعون من خطباء المنابر يوم الجمعة قوله تعالى .

(إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَٱلْإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي ٱلْقُرْبَى : وَيَنْهَى عَنِ ٱلْفَحْشَاءِ وَٱلْمُنْكَرِ وَٱلْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ) ١٦ ـ ٩٠

ولكن سماع المثقفين لها يكون بوعي الايمان وتطبيق المغزى والتزامه . وفي كل ذلك تحقيق المقصود من الآية الكريمة وحسبك أن المثقف المؤمن الذي يدرك أن الذرة على ما يعلم من صغرها ، لا يفلت وزنها من الاعمال الخيرة أو الشريرة من تبعة المجازات ...

ان خيراً فخير ، وان شرا فشر ... ان لم نقل ما هو أصغر منها كالنواة أو الموجب أو السالب .

فهل بعد لهذا المؤمن الصادق من عذر ، إذا هو انحراف وضل وبغى .

* * *

منطلقُ دعوة الإيمـان وقاعِدتُه

١ – جزيرة العرب

أراد الله أن تكون جزيره العرب منطلق دعوة الايمان الصحيح وقاعدتـه . لما اختلطت حقائقه بأساطير الوثنية والشرك ،ويتمرد الدهريين الملاحدة العتاة، وبهوسهم المتكبر ..

ولما ضرب الظلام سرادقه على العقول والقلوب قاطبة . وذلك قبل الاسلام، اختار الله من أبناء جزيرة العرب أعلاهم نسباً ، وأنبلهم أرومة وأرجحهم عقلاً، وأبعدهم نظراً ، وأطهرهم نفساً ، وألينهم عريكة ، وأحسنهم خلقاً وأكرمهم ، وأشجعهم ... محمد صلوات الله وسلامه عليه . ليحمل دعوة الايمان الصحيـــح الأبدي الدائم دون نهاية .. وأن تكون لغته العربية لغة الوحي المنزل عليــه ، (القرآن المجيد » معجزة الأبد السماوية الصارخة المتحدية تطـور الحضارات ، ومعارفها اليقينية الصاعدة باستمرار دائم دون نهاية .

٢ – الحج إلى جزيرة العرب

وجعل الله معالم الحج ومناسكة في قلب جزيرة العرب المملكة العربيـــة السعودية ليسافر إليها أبناء الكرة الأرضية المكلفون في العمر مرة على المستطيـع ولكي يطوفوا بالبيت العتيق الذي يتوجهون إليه في صلواتهم البيت الحرام الذي أقام قواعده خليل الرحمن إبراهيم وولده إسماعيل ، ولكي يحلموا أنه أول بيت عبادة شيد في الكرة الأرضية قياماً لدعوة التوحيد الخالص، الخالي من كل شائبة شرك أو وثنية أو الحاد ... لكل الناس ..

ويَؤُمُّون طيبة المباركة ، لكي يستجلوا مطلع الايمان الصحيح ، ومنطلقه إلى المواطن كلها ، ويلمسوا بالخمس مثله العليا ، ومعجزات نبيهم العملية وجلائل مآثره في دعم قواعد وحي الله ، وتشييد منائره ، ورفع أعلامه ، وعـــدل أحكامه وسمو أمجاده ، في مسجد قباء ، وحرمه الشريف ، وروضته المطهرة ، وحجرته المكرمة ومصلاه المبارك ، ومنبره العظيم . وفي أحد والخندق وبدر وفي فتح مكة المكرمة ، ولدى كل مآثره العظيمة يستجلون حقائق تاريخ دعوة الايمان الصحيح ، طارحين الزيف ، وما دسه الدساسون من مفتريات من أساطير نحل من تأويلات بعيدة في آيات القرآن ، ما لها من سلطان من يقين العلم..

٣ ـ انتشار دعوة الايمان الصحيح

في هذه البلاد جزيرة العرب نزل الملاك جبريل عليه السلام بآيات وحـــي الله « القرآن المجيد » منجمـــاً وفق حوادث نهضة الاسلام في مطلـــع فجره ومثله العليا ، وجلائل أحكام التشريـع ...

وفي هذه البلاد تفجر ينبوعه بمعجزاته المدخرة للأجيال وتدفقـت أضواؤه إل كل الأوطان ، للنهوض بأهلها الى الكمال الممكن ..

ومن هذه البلاد انطلق دعاة الايمان الصحيح يتنادون بكلمتين مقدستين عظيمتين :

١ ـ كلمة التوحيد .

٢ ـ وتوحيد الكلمة .

وأضاءت رسالة الاسلام بهاتين الكلمتين المقدستين كل مكان ، فـإذا الامم المختلفة من قريب . تتحول إلى أمة واحدة مثالية ، لأن الذين وفدوا إليهم من جزيرة العرب ، وبلغوهم دعوة الايمان الصحيح ، كانوا مثاليين عظـماء أي كانوا مؤمنين عمليين صادقين مخلصين حملوا إليهم مفاتيح مغاليق علوم الكـون ، وحقائق تكوين الكائنات في معجزات آيات الله البينات .

إذن فدعوة الانسانية كافـــة ، إلى الايمان العلمي اليقيني . المنزل في خاتم الوحي الالهي القرآن المجيد . هي الغاية كل الغاية من إنزاله إلى الناس كافة .

(قُلْ يَا أَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنِّي رَسُولُ ٱللهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعاً ٱلَّذِي لَهُ مُلْكُ ٱلسَّمَوَاتِ وَٱلْأَرْضِ ، لَا إِلَهَ إِلاَّ هُوَ يُحْيِي وَيُمِيتُ ، فَآمِنُوا بِاللهِ وَرَسُولِهِ ٱلنَّبِيِّ ٱلْأُمِّيِّ ٱلَّذِي يُؤْمِنُ بِاللهِ وَكَلِمَاتِهِ وَٱتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ) ٧ ـ ١٥٨ .

ولا بد لكي تدرك الاجيال المثقفة الحديثة قيمة هذه الدعوة ، وما تحمل من كنوز لاسعادها .. من تحقق أمرين أساسين ..

الاول

ترجمة العقيدة الاسلامية ومثلها العليا المنزلة في القرآن المجيد إلى معظـــم اللغات الغربية والشرقية ترجمة علمية يقينية دون زيادة أو نقصان .. بأسلوب قصصي ممتـــع سهـــل قريب للغاية ، يكشف للقارىء كل المقصود كالمرأة الصافية ..

لكي يدرك كل قارىء أنه اطلع على ما أنزله رب العالمين ـ حقاً وصدقاً ـ القويم لإصلاح الحياة ، ومن نور لإزالة ظلام العمى ، ومن خير لازاحـــة الشر ، الذي هـــو سبب الأحزان والآلام . ومن عدل واستقامة للقضـــاء على الظلم والإعوجاج بين الناس ..

وصنع هذه الترجمة العانية يمكن ان تحققها رابطة العالم الاسلامي والجامعـة الاسلامية في المدينة المنورة فالعلـــماء الراسخون في بلدنا وفي شتى بلدان العالم الاسلامي موفورون كثر .

وما من ظرف العزائم فيه متجهة لكل عمل عظيم نافع لوحدة الانسانيـة

وسلامها ومعارفها وكف المؤامرات الهدامة عن قاراتها .

مثل هذا الظرف القلق الحرج . لأن ملكينا المعظم خالد بن عبد العزيز وولي عهده الأمين ، وسائر رجال الحكم يؤيدون خدمة الاسلام وتوعية العالم ليفهم ما يحمل من حقائق العلم والسلام والانسانية والهدى ، وأبطال الأحقاد والمفتريات والأساطير التي دسها العنصريون الصهاينة حوله ويحمونها قديماً وحديثاً . .

وها نحن أولاء نشاهد شباب العالم في حيرة وفي لهفة معاً . . وفي انتظار المنقذ

الأول: في حيرة من هذه النحل والملل والمذاهب التي تربو يوماً فيوماً ، كأنها ركام السحب الداهمة ولا براهين علمية يقينية تؤيدها ولا حق ولا صدق . وماذا يفعل الشباب وليس لديه الملكات العلمية المحررة التي بها يستطيع أن يميز العلم من الجهل والوحي من الاسطورة ، والحق من الباطل ، والصدق من الكذب ، والدس من غير الدس . .

وقد يأخذ بريق الذهب في حلا النحاس المطلي أعينهم وعقولهم وقلوبهم بعض الوقت .. وعلى كل حال تجدهم على أتم الاستعداد للأخذ بيقين العلم إذا تجلى لهم في أمر من الأمور وتأكد لعقولهم ، والعلم نور ، والنور دائماً محبوب ومنصور ومزيح لظلام الجهل ... وهو لا يعدم الانصار والمؤيدين في كل عصر ومصر ...

الثاني :

إعداد فئة من شباب السعودية من الذين يحملون وعياً إسلامياً عالياً نيراً متحمساً مخلصاً ، إعدادهم يكون بتثقيفهم ثقافة الإيمان العلمي اليقيني الذي جاء به خاتم الوحي الالهي . أي يثقفوهم ثقافة إسلامية رحبة مستوعبة ، جامعة مع إحسان اللغة التي يدعو بها أهلها إلى حقائق الايمان العلمي اليقيني مع التزام الحكمة والسماحة واللطف ، وتحمل الأذى وكف الأذى لدى المناقشة ، ولدى عملية كشف الحقائق . لتكون الافادة من إرسالهم مضمونة منه في المئة .

... وهنا لا بد لي من كلمة أوجهها إلى اخوتي المسلمين المثقفين الذين يفدون إلى بلادنا المقدسة لأداء فريضة الحج .. أن يدرسوا المثل الاسلامية العليـــا التي أوحاها الله على خاتم رسله لإسعاد الانسانية كافة دراسة عملية قبل عودتهم إلى أوطانهم ، ويجتمعوا بمواطنيهم . إذ في ذلك وسيلة أن يفهموا الاسلام بـــذات الطريقة العملية الفذة . فالاسلام كله علم ويقين وواقع وتشريع وخلق وحـــق وصدق وحضارة وصعود إنساني عال ..

وهكـــذا إذا تم تحقق هذين الأمرين العظيمين (١) الكتاب القيم الممتاز (٢) والداعية المثقف الراقي . فإن نور وحي الله سيدخـل في كل مكان يدخل فيه نور الشمس ...

ما دام الاسلام هو الاسلام ، وما دامت الديار هي الديار ، وما دام المسلمون هم المسلمين .. وما دام مانح النعم والتوفيق هو الله الأزلي الدائم ، وما دامت أمة الدعوة مفتقرة إلى الدعوة .



الزمنُ ودَعوة التجْـديد

١ - الزمن محيط ممتد متصل ماضيه بمستقبله.. والفاصل بينهما الزمن الحاضر.. الذي هو سفينة حياتنا الدنيا التي تظل تمخر من شط إلى شط .

٢ - أو قل الزمن ميزان كبير كفـتّاه الماضي والمستقبل.. والحاضر هو القطب الذي يفصل بينهما ، ويقدر الأوزان بالقسط . ويحكم عليها بالعدل ، ويقدمها للتاريخ خالصة صريحة .

٣ - أو قل . الزمن صحراء كبرى مترامية الأطراف ، والحاضر هو عربة الحياة التي تفصل بين ماضيه ومستقبله . وهي تجري أبداً من الماضي الى المستقبل بكل حشده فيها الانسان . من خير أو شر ..

ونبذة القلم هنا ان الزمن هو استمرار بقاء الوجود من الأزل إلى الأبد ، وليس لمخلوق عليه من حكم . ان الحكم إلا لله وحده .

واطلالة البشرية على ماضي الزمن ومستقبله وهي على قمة الحاضر ، كاطلالة أبي الهول وهو جاثم على قاعدته .

يطـــل على عـــالم يستهل	ويوفي على عـــالم يحتضــــر
فمين إلى من بنــا للوجـــو	د وأخرى مشيعـــة من عبر

حمولة عربة الزمن الحاضر

الزمن الحاضر بالنسبة لحياة الانسان عربة محملة تجري من الماضي إلى الحاضر باستمرار وهي ...

١ - تحمل مرة . أغلى التحف . وأنبل البشر ، وأسمى العبقريات ، وأمثل

القيم ، من علم يقيني ، وإيمان صادق ، وخلق مثالي كريم ، وبســـالة نادرة ، وتضحيات فذة ..

٢ – وتحمل أخرى الجيف المنتنة ، والوحوش الكاسرة ، وقمامات الانفس، وأحط النزعات علماً يتفجر بالنزوات ، والحاداً يتنزى بالانحرافات ، ومؤامرات تنذر الانسانية بالحريق المستطير الوبيل ..

على من تقع مسؤولية الافساد

ومسؤولية الافســـاد لا تقع على الزمن ، لان الزمن ظرف ، وإنما تقع على مظروفه من الناس ألم تقل شاعرة عكاظ الفذة السيدة تماضر الخنساء .

إن الجديدين في طول اختلافهما لا يفسدان ولكن يفسد الناس

والجديدان الليل والنهار هما أيضاً القديمان إذهما الزمن بكل ماضيه وحاضره ومستقبله ولكن ما دخل الزمن في فساد الناس وقبح أعمالهم ما دام الناس هم محل الايمان والكفر ، والصلاح والطلاح ، والخير والشر ، بملء ارادتهم الحرة المطلقة ...

ومن أجل ذلك كانوا هم أهل المثوبة والعقوبة ،

« ووجدوا ما عملوا حاضراً ولا يظلم ربك أحداً »

أي وجدوا أعمالهم وتبعاتها حاضرة بين أيديهم ، يوم الحساب دون ازمانهم، إذ كل أمر ازمانهم انها كانت حقائب أعمالهم .

ولا خسران أخسر من قول المفسدين المنبوذين .

« الذنب ذنب الزمان ، لا ذنبنا » .

ما يقطع من الماضي وما يوصل ..

ما يقطع من الماضي

الذي يقطع من الماضي هو كفر الكافرين واشراك المشركين ووثنيات الوثنيين،

والحاد الملحدين ، وفساد المفسدين ، وتخلف المتخلفين، وعنصريات المتحاقدين ودسائس مؤامرات المتآمرين ..

هذا هو الذي يقطعه الاسلام من الماضي ويمنع وصوله الينا ، وهذا القطع والمنـــع صريح في قول رسول الله صلوات الله وسلامه عليه « الاسلام يجب ما قبله » .

أي يقطع الصلة بكل انحطاطات الماضي الوحشية الكافرة، وتخلفاته الغابية الحاقدة المتربصة .

ألا ترى أبا سفيان قائد المعارك المريدة ، والفتن اللعينة ضد مثل وحي الله العليا وإصلاحاته المجيدة . كيف اسدل رسول الله ﷺ الستار على سوء أعماله المتخلفة لما أسلم يوم فتح مكة وهو يقول.

« من دخل دار أبي سفيان فهو آمن ..

أي حجز رسول الله ظلمات الماضي الوحشي الكافر عن أضــواء المستقبل الحضاري المؤمن الصاعد بحتمية من وحي الله إلى قمم الحضارة الانسانية الكريمة .

وإذا تحقق قطع الصلة بمآسي الماضي المتخلف ، وانهدمت بواعثـــه الكافرة الظالمة من الأنفس فلن يكون عمران المستقبل بمظالم نيرون وجنكيزخان وقارون ومن كانوا على شواكلهم ..

والحمد لله فإن الاسلام لا يقبل من أحد إلا بعد الانسلاخ من الماضي الوحشي الكافر . وكان رسول الله ﷺ يحارب بقايا تخلفات المـــاضي المنحط ، في أنفس اتباعه كل المحاربة ، ويغسل بواعث نزعاتها الطاغية من أدمغتهم خشية الانتكاس ..

ألا ترون لما عير أبو ذر غلامه بسواده . بقوله يا ابن السوداء ... كيف ثارت ثائرة رسول الله ﷺ وزجره زجراً عنيفاً بقوله .. « انك امرؤ فيك جاهلية » .. ومقصود الرسول انك – يا أبا ذر لا تزال ملوثا ببعض أوبئة الجاهلية التي قضى على كل نزعاتها الخبيثة الاسلام واجتثها من جذورها . هذا وأبو ذر رضي الله عنه

من خيرة أصحابه الكرام ، لذلك لم يسعه لكبير ندمه لما أفلت منه لما غضب إلا أن يضع رقبته على الأرض، ويطلب إلى غلامه أن يطأها بقدمه.. زجراً لنفسه.

وغسل الأنفس من مواريث الانحطاط المخيف ، لايتم في غمضة عين وانتباهتها. بل يفتقر إلى معالجة رياضية نفسية شـــاقة .. ليتسنى انتزاع مواريثها الماردة المضللة . المتغلغلة في أعماق المجموعة النفسية. المواريث التي تستجيب عفواً لكل بادرة شر وفتنة وتخلف وتمرد ..

انظر فهذا جهجاه بن مسعود الغفاري اجير عمر بن الخطـــاب . يختصم مع سنان بن وبر حليف بني عوف الخزرجيين ، ويضربه ضربة قاسية يسيل على أثرها دمه .. فيستصرخ قومه الخزرج ويستصرخ جهجاه الغفاري المهـاجرين . فيقبل الفريقان غضابا ونار الفتنة تشتعل في أعينهم حتى كادوا يقتتلون دون أن يستبصروا الحكمـــة ..

ولكن كان أسبق منهم إلى تبصرهم بالحكمة والسمو وغسل بقايا خبـــائث الجاهلية . من أنفسهم هو رسول الله ﷺ إسمعه إذ يقول لهم « مــــا بال دعوة الجاهلية » .

يقصد صرخـــة الفتنة ... « يا لفلان » .. فذكروا السبب فسفَّهه وهو يقـــول .

« دعوا هذه الكلمة ، فانها منتنة » ، واراهم الحسنى في علاج هذه الأمراض النفسية المزمنة طلب بكريم القول إلى المضروب أن يسقط حقه سداً لذرائع الشر قبل أن تشتعل نيرانه . فيعجزوا عن اطفائها فاسقطه استجابة للافضل الذي دل عليه رسول الهدى والرحمة والاحسان والعلم وحكمة الانسانية العالية..

وهكذا أطفأ رسول الله الفتنة وهي عود ثقاب شاعل على طرف أكوام من القش الجاف . وكان هذا شـــأنه في تربية الجيل المسلم الأول في جزيرة العرب انتزعهم من مغارز جاهليتهم انتزاعاً أشد ما كانوا انقياداً لها وعنفوانا ليكونوا

أسمى دعاة الانسانية والايمان والسلام والمودة والرحمة والنجدة في الأرض.

وليكونوا أمثلة حية دالة عيانا على جلال مثل وحي الله . وسموهابالجماعات والأفراد السمو الحضاري العالي الممكن .

فلا يترك للاحقاد والعنصرية ، ولا للشر ولا للوحشية من منافذ تنفذ منها اليهم .. ولاجل وقاية البشرية من الماضي المتخلف الممزق أسمى قبيلتي الخزرج والأوس ، الانصار لتسموا بهم أحاسيس مثاليات الاسلام الجامعة المهذبة . كما آخى بين المهاجرين والانصار ليفهموا انهم اخوة في الله على السراء والضراء . وكما أنهم كل من آمنوا بوحي الله ، انهم تجمعهم القرابة الروحية العالية قرابة الايمان وإخوته المثالية الابدية الموحاة من السماء. الاخوة التي لا تبلى ولا تزول. مادام في الارض بشر من بني آدم يفهمون ويعلمون وهم أحرار يعنون بالاصلاح الانساني العام المتمثل في قوله تعالى .

(إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ ، فَأَصْلِحُوا بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ) .

والاصلاح الحضاري الطامح السامي هو هدف الاجيال الانسانية كافة على مدى الازمان وفي كل الاحوال .

والقصد كل القصد أن يعيش البشر كافة ما عاشوا سعداء أولى قلوب وثيقة ، ومودات نزيهه وضمائر عامرة .

لا مؤامرات لا أحقاد لا صغار لا فساد لا الحاد لا انحراف يداخلها بتاتا بتاتا .

والقصد أيضاً أن ينفصل البشر كافة كل الانفصال عن جحيم الماضي إلى جنة المستقبل . وعمل الفكر ، وروعة القلم .

لاجل أن يعيش كل واحد من أية أمة ، ومن أي بلد نهار حياته في دنياه انسانا بناء أميناً لا انسانا هداماً خائناً ..

إن الحياة نهار أو سحابته   فعش نهارك من دنياك انسانا

رسالة المسجد الإعلامية

عالم الاعلام في الخارج

كل أمة في العالم ، لها إعلامها الذي تحرص عليه . وما أوسع أبواب الإعلام، وما أكثرها ، وما أهول تصارعها ومناقضاتها وأحقادها .

والحق ان الاعلام في واقع مجموعة خليط من الخير والشر ،والصدق والكذب ، والامانة والخيانة ، والنباهة والخمول ، والتهويل والتضئيل ،والتحويل والتوهيم .

والعلم والظن والجهل أي هو مجموعة من المتناقضات تحشد في ثوب باسم الواقع للتأثير والتوجيه والدعاية .

ومن أجل ذلك .

١ ـ كان الاعلام برهاناً صارخاً على صعود الفكر الحضاري من ناحية ،وعلى هبوطه من الناحية الاخرى .

٢ ـ وكان في اعتبار الاعلاميين محاماة ، لا قضاء .

٣ ـ وكان معظمه في أظهر ظواهره التلون ، وفي أخفى خوافيه الدس والحقد ، ولن تجد اعلاماً صرفاً لله والعلم والحق والانسانية إلا لدى المؤمنين الملتزمين بالآية الكريمة المعجزة .

(وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ ، إِنَّ ٱلسَّمْعَ وَٱلْبَصَرَ وَٱلْفُؤَادَ كُلُّ أُولَئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْؤُولَا) ١٧ ـ ٣٦ .

رسالة المسجد الاعلامية

وأجل رسالات الاعلام قدراً ، وأسماها إنسانية ، وأعمها نفعاً ، وأحفلها هداية وأصفاها مودة ، وأظهرها وأصدقها وأرضاهـــا – على الاطلاق – هي رسالة المسجد الاعلامية .

ولم لا تكون كذلك ؟ وهي رسالة اعلام ملتزم بحقائق الايمان اليقيني الايمان بالله الخالق العظيم ، وبأضواء التوحيد المتألقة ، وبمعالم الاخلاص والاستقـامة والمروءة والنجدة والايثار والعفاف .

حسب رسالة المسجد الاعلامية مكانة وسمواً أنها اعلام مقيد بوحي الله اليقيني المعجز المتحدي كما أنزل من السماء صافياً . لم يختلط بأقذار أتربة الأرض وصغارهم وعنصرياتهم ومباذلهم وأحقادهم وأنانياتهم .. !!

يا لله ما أعظمه من إعلام: إنه إعلام المثُل العليا الداعية إلى الخير المطلق لكل الناس على اختلاف مواطنهم وأجناسهم ولغاتهم دون تمييز إلا بالتقوى .

١ – إنه إعلام كشاف للحضارة التي يصح أن تسمى حضـــارة لبشر ، لا لوحوش مفترسين .

٢ – إنه إعلام من يقين القدر موثوقاً بطاقة الروح المشرقة بأضواء وحي الله دون زيادة أو نقصان ، وموثوقاً بقسطاس موازين العلم والحق ، وصدق الإيمـان الازامي العملي العالي ... !!

وفي الوقت نفسة يستنهض البشر إلى سعادة السلام وأسماها عملاً وتضحية . وهنا يسعدني أن أصرخ في أذني مجموعتك النفسية الهامدة . وأقول . إنه إعلام السماء يا انسان . إنه إعلام الايمان والاسلام والاحسان ...

أما تاقت نفسك الظامئة إلى الرأي من هذه الأنوار الثلاثة . لا بد لا بد أنها تاقت . .

١ – اذن فانطلق من أسر نزوات غرازك قبل أن يسحبك منها على وجهك

من هو شاخص اليك متجهماً لانحرافك ، وأنت غير مكترث بل أنت عنه في غفله غافلة ..

٢ – واتجه إلى صحيح البخاري وأنعم نظرك فيه فإنك تشاهد رسول الله ﷺ بارزاً للناس فأتاه رجل فقال .

س : ما الايمان ؟!

ج : الايمان أن تؤمن بالله وملائكته وبلقائه ورسله وتؤمن بالبعث .

قال

س : ما الاسلام ؟ !!

ج : الاسلام أن تعبد الله ، ولا تشرك به أحداً ، وتقيم الصلاة ، وتؤدي الزكاة المفروضة ، وتصوم رمضان ..

س : ما الاحسان ؟ .. !!

ج : الاحسان أن تعبد الله كأنك تراه ، فإن لم تكن تراه فإنه يراك .

هذه هي رسالة المسجد الاعلامية ، أيا كان المسجد في مدينة أو قرية، في ريف أو صحراء ، في سهل أو جبل . في الشرق . أو في الغرب .

هو أعلام فذ ، وعظيم عظيم ، ويعجز كل العجز لو حاول مجمع علمي كبير أن يستقصي تاريخ هذا الاعلام في كل مساجد الدنيا أو يحصى كل مساجد الدنيا أو يحصى كل ما قدم للانسانية من حضارة وعلم وخير وهدى .

وما يجهل من كان إنساناً من البشر العلماء أن أول مسجد انفجرت فيه أضواء هذا الاعلام المقدس في الاسلام بكماله وتمامه ، وانتظمت فيه صفوف الدعوة إلى الله إعلاناً . هو مسجد رسول الله ﷺ في طيبة المباركة انتظمته في كل يوم خمساً .

ولا ريب أن لكل مسجد من مساجد الدنيا كبر أو صغر . له تاريخه الاعلامي .

١ – كبر كالمسجد الحرام ، وناهيك بتاريخ المسجد الحرام الاعلامي . إنه

أول بيت وضع للناس ، إنه أذان ابراهيم للناس للحج إليه ، والأذان إعلام . قل والمسجد الأقصى ثالث الحرمين الشريفين ، ومسجدا عمرو والأزهر ، ومسجد دمشق ، ومسجد فاس ومسجد القيروان ومسجد الزيتونة ، وأمثالها كثير وكثير .

٢ - أو صغر كمساجد القرى والمحطات والأرياف والاكفار والعُزب .

أجل إن لكل مسجد تاريخه الاعلامي الاسلامي وتاريخ أمجاده الانسانية المباركة الماثلة في الدعوة الخالصة إلى الله عز وجل . منذ يوم تأسيسه ...

وفي جزيرة العرب أول بيوت الله على العموم هو المسجد الحرام . وكم كنت أتمنى ، وأنا ألقي المحاضرات والخطب في المساجد التي أرتادها في شبابي ، وأدعو لكي ينهض أهل كل مسجد أينما كان ويجعلوا له تاريخاً إعلامياً يتناول كل الأعمال التي تمت على يد رواده وائمته وخطبائه ومحاضريه ومدرسيه ونظاره .

أي يجعلوا له مذكرة عن تاريخ تأسيسه على تداول الأزمان . وأني أعجب كل العجب حين أدخل بيتاً أثرياً لشاعر أو كاتب أو فنان ، أوحين أدخل مكتبة أو متحفاً أو مجمعاً أو جامعة وأجد من يقدم لي سجلاً خاصاً لكي أدون كلمة أو سطراً أو أسمى على أدنى اعتبار .

ولا أجد مثل هذا السجل الخاص لدت محراب كل مسجد يعرض فيه على رواده تاريخ تشييده وعلمائه والمثقفين الذين زاروه . بله خطباء وأئمته ومؤذنيه والقيمين عليه .

ولو فعلوا ذلك لأخرجوا للدنيا أكبر موسوعات تاريخ التشريع الاسلامي ، وأفسح شروحه الصاعدة المطردة . وأدق اجتهادات مجتهديه ، وسيرهم الكريمة حسب مجاري الأزمان الاعلامية .

وهذا شأن العلماء والفقهاء والمدرسين والدراسين في المساجد ، أي لو سجلوا ما أعطوه فيها وما أخذوه منها : من علوم وخبرات ونشاطات تأثروا بها أو أثروا

فيها ، لتوفر بين يدي المكاتب الاسلامية مؤلفات قيمة وبحوث طريفة وحقائق جد نافعة حول إعلام الدعوة الاسلامية وكم يؤسفني أن تخلو المكتبة الاسلامية من كل ذلك بسبب التفريط فيما يمكن صنعه بمنتهى السهولة ، والتفريط أبداً مهدم ومحطم ..

وإني ككل مسلم ، لي أدوار إعلامية في بعض المساجد متأثراً ومؤثراً

والخلاصة أن رسالة المسجد الاعلامية : هي رسالة الدعوة إلى الله تعالى وإلى السلام والايمان والانسانية والحق . رسالة رفع الظلم والبطش والأذى والكيد ، رسالة نور الله وهداه .

ولله الأمر من قبل ومن بعد .



أمجاد مسجد رسول الله الإعلامية

يا صلاة الله أهطلي حناناً على مسجد رسول الله الذي تشد إليه الرحـــال ، واهتفي بامجاده الاعلامية الخالدة .

إنه مسجد طهرته السماء بآيات الله ، وغمرته بأضوائها بمعارفها بشرائعهـــا بتحديات معجزاتها ، بوفود ملائكتها ، بنفحات جناتها بانتصاراتها الساحقة على كل ظلمات الشرك والوثنية والالحاد والعنصرية وقطيعة الرحم الانساني .

وإعلام مسجد رسول الله – ﷺ – في التاريخ كبير جداً إنه أضخم إعلام في الدنيا وحصره في قلم بعيد جداً وامتداده في الزمن متسع جداً .

أليس هو حشد علم يقيني ، وحق قطعي . وفيض من هدى الله ، وامتداده في الزمان أبدي منذ الجيل الإسلامي الأول إلى آخر أجيــال الدنيا ... وليس حصره في قلم أي قلم بسهل ومن يحاول ذلك يدركه الحسر والاعيـاء . ولو كان قلم عبقري عباقرة الدنيا . ربما يتخيل شطريّ المعرفة الغر أني أبالغ .. لا والله – يا غري الفطن – لا أبالغ .. !!

وأنى تكون المبالغة ... وهذه خزائن مكتبات الدنيا تزاحم فيها أنفـاس إعلام مؤلفي السلف الشوامخ الخالدين الذين نفخوا في موات أتربة الأرض الغابية روح وحي الله المخصبة فأنبتت انسانية صحيحة . أقوالاً وأعمالاً .

وهكذا يرى المؤلف العبقري نفسه حيال لجج من مجلدات ضخـــام في شق مكتبات الدنيا تذخر بإعلام مسجد رسول الله وسيرته ﷺ . فما بالك يا قارئي العزيز بما يذخر به الإعلام من سير خلفائه وأصحابه وعلمائه وقرائه ومجتهديـــه التابعين الذين عاشوا فيه أو الذين رحلوا إليه . مدرسين ودارسين و كتبوا عنـــه وعن سلفهم فيه ، و كتب عنهم خلـَفهم .

هذا بحر لجي من الإعلام الصارخ تبصر سعة شاطئه الأول في أضواء فجر الاسلام ولكن لا تبصر شاطئه المقابل ، لأنه ممتد إلى آخر ساعات الدنيا ...!!

وبكلمة مختصرة أن حصر إعلام مسجد رسول الله ﷺ منذ توسعات دولة الخلفاء الراشدين إلى توسعة المرحوم الملك عبد العزيز آل سعود . لا يدخل أبداً في طاقة عبقري واحد لا لا يا أخي ..

وأي عبقري فذ يخطر في باله أن يتطاول بقلمه ويعلن أنه في مقدوره أن يحصي أمجاد إعلام مسجد رسول الله الاعلامية . وحده يا صلاة الله باركي إعلام مسجد رسول الله باركيه ..

ما دام لكل مسجد رسالته الاعلامية الخيرة من استقامة خلق ، ونور علم ، وسمو عبادة وصفا، ذكر ، وكبير إيثار ، ورفد عوز ، وحماسة نجدة ، ونصرة مظلوم ، وإسعاف ملهوف ، وإيواء ضال ... فما بالك برسالة مسجد رسول الله الاعلامية . التي هي خاتمة رسالات السماء وحققت كل ذلك بكل ما للسماء من صدق إيمان ، وبكل ما لها من سمو تشريع ، وبكل ما لها من صعود علم وبكل ما لها من تضحية بالنفس والمال للجهاد في سبيل الله . وبكل ما لها من التزامات في اجتهادات المجتهدين من رحمة بالضعفاء ، وانصاف للمظلومين وإحقاق للحق ، وأبطال للباطل ، وزجر للاجرام والمجرمين .

والحق أن اعلام علماء سلف هذه الأمة العظيمة لم يترك شاردة ولا واردة إلا دونتها ولكن كل ذلك مبعثر في مجلدات مكتبات العالم .

عسى أن ينهض لجمعه عباقرة علمائنا الأبرار وما أكثرهم .. وما يسره الله لي من دراسة ماضي إعلامه ، وما كتبته عنه في مؤلفي - ذكريات طيبة - وفي بعض محاضرتي نقطة من رشفة بحر عميق متلاطم من المعرفة . يا إلهي زدني علماً ..

مشاهداتي عن إعلامه في طفولتي

إذا عدت إلى صفحة دراستي الأولى في مسجد رسول الله ﷺ . أجدها فجراً من هدى الله ، وذخراً من آياته البينات .

أي أجدها صفحة مباركة من صفحات الإعلام في مسجد رسول الله ﷺ ...
كنت أشاهد الإعلام في المسجد النبوي وأنا طفل . أشاهده حلقات حلقات متألقات كهالات الأقمار .

العلماء والقراء

هنا في مسجد رسول الله ﷺ عرفت وسمعت عن علماء أفاضل كانوا يقومون بالاعلام والتدريس . وكذلك عن قراء متعمقين نبهاء . كان ذلك انطباعات التميز في طليعة العمر ..

العلماء

وأهم العلماء الذين عرفتهم وأخذت عن بعضهم .

السيد محمد بن جعفر الكتاني ، إبراهيم اسكوبي ، إبراهيم بري ، محمد الطيب الأنصارى ، محمد زاهد السيد سالم أحمد خليفة ، وكان ينوب عن الشيخ عبد الباقي الأيوبي الانصاري محمد أبو خضر ، الشريف محمد العربي ، عمر حمدان ، محمد علي تركي ، أحمد برزنجي وولده زكي برزنجي ، رفاقت علي ، محمد الخضر ، أحمد مرشد ، عمر بري ، أحمد البساطي ، والذين تأثر بهم درساً هم أحمد بساطي محمد العربي عمر بري . عمر حمدان ...

والاعتراف بفضلهم أقل ما يفرضه واجب الوفاء .. وجزاهم الله عن الاسلام والعلم أكرم الجزاء .

القراء

قراء القرآن المجيد الذين كانوا يملكون كتابيب رسمية في مدن الاسلام ، وفي مساجدها كثير جداً جداً .

وفي طليعة جيلنا في المدينة المنورة كانت الكتاتيب جمة ، وبالحري في المسجد النبوي فكان الداخل للحرم الشريف من باب المجيدي يجد عن يمينه كتّابين :

١ – كتّاب الطرودي .

٢ – وكتّاب الشيخ بشير

ويجد عن يساره كتّابين أيضاً .

١ – كتّاب إبراهيم الفقيه

٢ – وكتّاب الشيخ محمد سالم

وكذلك كانت الطبقة العليا تشتمل على كتاتيب . وشرفني الله وأنا في دور التمييز أن ألحق بكتاب الشيخ إبراهيم الفقيه برأي جدي الشيخ يحي دفتر دار وكان الشيخ إبراهيم ليس بالشديد العاسف كما يفعل الشيخ الطرودي ، ولا بالمهل المتهاون كما يفعل سواه ..

وكان – رحمه الله – إلى جانب ذلك يدرس أغوات الحرم الشريف – بفرمان – وراتب وكان عريفنا الموكول إليه أمر الطلاب هو ولده الكريم الفاضل الشيخ مصطفى ، وكان يدير أمر الطلاب . ومراجعة ما يستظهرونه من القرآن المجيد والسير بهم قدماً إلى النهاية بمساعدة عريف من آل ينبع نسيت اسمه .

وكان الشيخ إبراهيم الفقيه ذا نعمة له أملاك كثيرة في زقاق الطوال وفي صيادة من باب المجيدي بستانه والمنزل الذى يسكن فيه الآن السيد جعفر وله ، بجوار الخزنة أمام مكتبة شيخ الإسلام .

وقد كان كريماً عفيفاً . والنهاية إن لهفضلا كبيراً على فئة من الجيل الناشىء في المدينة المنورة في زمانه الذي حشده بذكاء وصدق ونشاط لخدمة العلم والدين ..

وما أنا إلا واحد منهم . ورأيت من الوفاء أن أنوه بفضله وعلمه وكريم شمائله لأني واحد من تلامذته . رحمه الله رحمه الله ...

الإفـادة من أمجـاد الماضي

الافادة من أمجاد الماضي الباذخة لأجل بناء المستقبل العزيز الكريم . هو من خصائص المؤمنين المفكرين الحكماء ..

ولماذا لا تكون الافادة من أمجاد الماضي كذلك وهي لبناءالمستقبل الحضاري الباذخ وفيها كل حوافز الصعود العلمي والشرعي والاخلاقي والاقتصـادي واللغـوي .

وفيها العصمة من الانحرافات الوثنية ، ومن التخلفات البدائية ومن الأخطاء التقليدية ومن تاويلات الوثنية والاشراك والالحاد .

أجل إن الافادة من أمجاد الماضي لبناءالمستقبل عمران وحضارة وعزة و كرامة ومعرفة ، ولا يجافيه ولا يناكره ولا يعرض عنه إلا أغرار الملاحدة المخدوعون وسخفاء الاحلام المفتونون بمظاهر الحضارة المادية الحديثة ، ونزواتها الشـاعلة ومباذلها المفضوحة والعجيب انهم يزعمون ان الامة التي تملك أمجاداً ماضية تفتتن بها وتنخدع وتتكل عليها وتطير بهوس الغرور ، وتحلم بها ليلها ونهارها وتستكبر بها على مهانة وعبودية بخلاف الأمة التي لا مواريث لها من أمجاد تجدها في صحة من كل ذلك ..

ويستدلون على زعمهم قائلين « هذه إرادة شعوب افريقا متقـدة من أجل النهضة الحاضرة الحديثة القائمة على قدم وساق . ليل نهار .

ولو ان لهذه الشعوب أمجاداً ماضية تصلح لاعتزازهم بها ويفاخر أعلامهم بها

لما كانت كل إراداتهم متوجهة إلى بناء المستقبل فقط بكل حماسة وثقة ومفادات وبطولة وثبات وصعود ..

لذلك تجدهم لا يفكرون ولا يعملون إلا في بناء الامجاد الحديثة فلايصرفون وقتهم ولا يضحون به على مذبح الغرور والاوهام والاحلام ...

وتوجه الزعماء الافارقة إلى بناء مستقبل إفريقيـا ، وتجمعهم من أجل ذلك بايمان ونشاط ومفادات هو الذي جعل الزعيم الهندي نهرو يقول .

« ان أمجاد المستقبل لافريقيا » أي أمجادها في بناءوحدتهاوحضارتهاوتاريخها الحديـــث .

وتوجه الزعماء الافارقة إلى بناء كل ذلك بانتضـاء العزائم وشحذ الارادات وصدق النيات ، والضرب على أيدي الدساسين المزقين الآثمين الخائنين هو الذي جعل الزعيم الهندي نهرو يقول « ان المستقبل لافريقيا »

ولعل الذي حدى بالزعيم « نهرو » أن يقول ما قال ..

هو ما شاهده من اهتمام زعماء افريقيا ، في تدعيم وحدتها ، ودعم كيانهـــا وتطهيرها من كل بقايا الاستعمار والثبات والتخلف ومن دس الدساسين ومؤامرات المتآمرين .

ولعل الذي جعلهم يقصرون دعوتهم إلى بناء وحدة مستقبلهم دون التفاف إلى ماضيهم هو علمهم بان ماضيهم كان ممزقاً وضعيفاً وبدائياً ، وهو خال من أية أسوة ترفع الرأس .

ومهما يكن فعمل الزعماء الافارقة الاجتماعي الكبير لبناء المستقبل فقط دون أي نظر أو إطراء للماضي هو الذي جعل سخفاء الاحلام المهاويس منا يقصرون دعوتهم إلى بناء المستقبل فقط ، وهم يوقظون شعبهم للامجاد ، دون أن يلفتوا نظرهم إلى الماضي ويسمون ذلك تجـــدداً وان كان عين التخلف والتعسف في الظلمات .

وباعثهم إلى ذلك هو سوء فهمهم وانحطاط أنفسهم وقصر نظرهم عن إدراك ماضيهم وعن عبقرياته وأمجاده المتفوقة التي لا تطالها عبقريات ولا أمجاد . أليس من العقوق ومن خبث الطوية ان يعرض المواطنون عن أمجاد ماضيهم وهي كنوز ثمينة مفعمة بمعالي المعالي ، من حكم التشريع العادل ومن تاريخ الفتوحات الحضارية الانسانية المثالية ومن ابتكار مخترعاتها ، ومن جدة علومها ، وابداع صناعاتها ، ومن سلامة آدابها من شتائت الاخطاء اللغوية ، ومن سلامة فنونها من الاسفاف والانحطاط ...

أليس الاقبال إلى تجديد كل هاتيك المفاخر التي كانت لسلفهم أولى بمضاعفة سمك البناء، وموالات الجهود في تعبيد السبل ودعم الحصون والدعوة إلى صعود القمم ، ورفع الاعلام والتلويح بها للتائهين والاضاءة بالمصابيح الكبار .

لان الهمم العالية لا تلد إلا الهمم العالية ، والمواريث العبقرية لا تنبت إلا المواريث العبقرية ...

تنبتها وتلدها في الابناء . اعتزازاً بنباله الاصيل ، ولتكون همم الابناء موازية لهمم الآباء في تحقيق مكارم الاخلاق وسمو أفعالهم . لان آية نبالة الاصل العظيم أن يكون ماضيه عظيما وثابا ، وأن يكون أهله في حاضرهم ومستقبلهم عظماء لامعين ، غرر معارف ومطالع شموس وأقمار مجلين مجلين ..

أجل إن الماضي العظيم يظل في حاضر الابناء الأصلاء عظيما، يظل وقد حماسة وخفقة طموح وعزيمة تحليق ورقي إلى قمم الحضارة ، وشوكة سيادة الدولة ، وعروة جمع الشمل ، وعزة وحدة الكلمة وآية التنافس الكريم في تحقيق الغد الشامخ العزيز الحر .

الا ان عزة ورفعة معالي الآباء يجب ..

١ – أن تكون موطدة لسمو حضارة الابناء وعزتهم .

٢ ـ وأن تكون صحائف تاريخهم الخالد العظيم .

٣ ـ وأن تكون تصميم أعمالهم العبقرية الفذة .

٤ ـ وتكون منطلق آدابهم الجديدة ذات الطاقات العجيبة المتحدية التي قوامها كبير التأسي على أرفع الوجوه ، واخلد الوجوه .

والتأسي بامجاد الآباء يجب أن لا تغيب لفتاته عن خواطر الابناء . لان فيه كسب مواريث العبقرية المبدعة باعتزاز وفخر ...

وإذا فاتك التفــات إلى الماضي ... فقــد غاب عنك وجه التآسي



الماضي الحضاري الصاعد

هو ماضي جد خصيب ، يتفجر معرفـة ، ويسطـع إيماناً ، وينضر آداباً ، ويرف فنوناً ويفيض نماء ويزدهي عزة ، وكرامة وحرية .

وهذا الماضي الحضاري الصاعد هو الذي يظل جديداً طريفاً ، ويتخذ نموذج أمجاد لكل بناة الأمجاد على مدى الأزمان .

وهذا الماضي الراقي هو الذي يحتفى به ويحتذى ، وإن كان ميلاده مواكباً لميلاد الطوفان .

وجدة معارف هذا الماضي الراقي ومنافعها وحوافزها لا تنتهي من كل ظلال الحيـــاة حتى ينتهي الانسان ولا يبقى في الدنيا من تأويه الا لكع ابن لكع .

ووعي الفكر الحر أن هذا الماضي الصاعد قد شيد قواعده ، ورفـع بنيانه وحي الله الذي نوه بمكثه الأبدي في الأرض :

(فَأَمَّا ٱلزَّبَدُ فَيَذْهَبُ جُفَاءً ، وَأَمَّا مَا يَنْفَعُ ٱلنَّاسَ فَيَمْكُثُ فِي ٱلْأَرْضِ) ١٣ ـ ١٧ .

وكبير لهفة أهل الأوطان هو تحقيق عبقريات الماضي الخالد في أوطانهم ، سمو بسمو ان لم يكن أسمى ، ورقي برقي إن لم يكن أرقى .

ولا ريب أن في تحقيق ذلك تحقيقاً لأفراح السلام وأناشيده المطربة وأغانيه السحرية الناعمة في عصر قمري لهيبه الوحشي مشحون في ظلمة قنابل الـــذرة والهيدروجين ، يوشك أنذاره الصارخ المدمر المرعب ينفجر بالشر الذي لا شر

بعده ، وبالدمار الذي لا دمار بعده ، وبالويلات التي لا ويلات بعدها .

والعنصرية الطاغية هي التي تهوى بها إلى هوة انفجارها بوقد أطماعها التي لا تبالي بهلاك من في الغرب والشرق من جرائها .

وتحقيق أفراح السلام بمُثل الاسلام العليا لا ينصرف عنه ولا يتنكر له ولا يشاكسه ، من أهـــل الاوطان إلا العنصريون الملاحدة جاحدوا يوم الدين الهدامون الذين يفقدون العلم والعقل معاً ، ويفقدون الايمان ...

ويتجاهلون التطورات العلمية الالكترونية التى جدت أهوالها المتفاقمـة في العالم . يتجاهلونها بحكم إيحاءات العنصرية المهيمنة على مجموعاتهم النفسية .

ومن حيث رقاعتهم العنصرية هتافهم المتعمد ضد كل قديم ، ولو كان مثل هدى الله المعجزة المتحدية التي ازدهرت بها الدنيا إنسانية دون أن تلطخ بوحشية وعدلا دون أن يلوث بظلم ، وحكمة دون أن تخالطها هوشة ووحـدة دون أن تمزق برعونة التخلف ، ودينا دون أن تغشاه غاشية الاسطورة وبياناً دون أن تغمه عجمة .

وانك تجد هؤلاء العنصريين الذين يمقتون كل قديم يحملون كل أوبئة ماضيهم المنحط من أحقاد هدامة ، وصلابة رقاب عصية ودس لمؤامرات مبيدة محرقة ، وتدبير لاغتيالات نذيلة وضيعة .

وتجد أكثرهم من الصهاينة أو من الذين نُشئوا على أيديهم ، ودُربوا لانقـاذ مؤمراتهم واغتيالاتهم ضد أممهم ومصايرها .

وانك لن تجد بين أمم الارض أمة منطوية على أقدار ماضيها ، وخبائثـــه المجرمة المتآمرة الهدامة ضد الامم كافة ، كأمة الصهاينة ...

إنها أمة أقذار عنصرية نتنة بغيضة نقلت كل أحقادها وأنانياتها واستباحاتها إفكاً إلى حرم جلال الله في عهده القديم ، وإلى كتاب التلمود ، تلمس كل ذلك في صواعق شروحه ، وزلازله ورجمه وعواصفه ...

وفي التفافاتهم السرية المدونة الملقنة التي لا تدون لهول الاهوال التي تحمله ضد الامم كافة بصورة عامة وضد ماضي الاسلام الانساني الكريم الموحد في كل قطر من أقطاره بصفة خاصة .

ولكي يحققوا كل ذلك بدهاء تزول منه الجبال تجدهم يتسربون في شرايين كل أمة إلى دست الحكم في كل عاصمة . ويهيمنون على توجيه السياسة والاقتصاد والدعاية والطاقة الحربية ويحولون ذلك إلى مصالحهم الخاصة وكم اغتالوا كبار الساسة التي وقفوا ضدها وفي ذلك آية وعبرة ، وخفيفوا الاحلام الطائرة يحسبونهم لما تغلغلوا في عواصم الدول الاوروبية والاميركية كانوا دعاة انسانية ومودة بين جميعاً وسلام .

ولكن دارسوا تاريخهم الحديث والقديم ، والمتتبعون آثارهم الظاهرة والخفية في العواصم كافة والذين فحصوا بصمات أصابعهم الحمراء في الحربين الماضيين الكبيرين وما تلتها من الفتن والثورات والمؤتمرات والاغتيالات وأعمالهم الوحشية في فلسطين وفي الحبشة ولبنان والفلبين وفي تركيا وفي إيران وروسيا وافغانستان وقبرص وسواها بالاضافة إلى المذاهب الالحادية التي دسوها في ناشئة الامم من شيوعية وقومية وعنصرية وسواها حديثاً ... وما دسوه قديما من نحل وبدع واباحيات في العواصم التي اندسوا فيها ، وما تجده في نفس العهد القديم في سفر استير وهوديت وما دونه شراح التلمود فيه ألف كفاية وكفاية وألف اعتبار واعتبار .

وإذا رأيت أناساً يثيرون خبائث أحقاد الماضي واحنه ومحنه وفتنه وحروبه التي نسيت وأكل الدهر عليها وشرب بين الشعوب الحاضرة من أجل تأريث الاحقاد . ولكي يظلوا أرصاداً فيما بينهم ولكي يظلوا متربصين فيما بينهم يتعاملون بألسنة بيضاء وقلوب سوداء ويتعاقدون على نية النكس ، ويتصافحون

بحذر في الصباح وفي والمساء يواصلون الاعداد للانقضاض والانتقام فاعلم أنهم من الصهاينة المندسين بين الامم بحجة أنهم منهم ويعينهم أمرهم ، أو ممـــن غذوا بلبانهم وسقوا من اباحياتهم وانك تعرفهم في اشعال فتائل الخلـف لدى كل محاولة اجتماع وتفاهم وانك تعرفهم في الايحاء السياسي المركز ليظل التنابـــذ والشقاق قائماً ، وليمتنع الوفاق ولو على قشرة بصلة .

ويا أرباب الأقلام المفكرين ابحثوا بوعي بعمق بدقـة بامانة في الذين أسسوا المذاهب الالحادية الهدامة قديماً ، وابحثوا في الذين أسسوا الشيوعية والماسونية والوجودية وشهود يهوى والقديانية والبابية فانك تجدهم جماعة الصهاينة قديـماً وإنك تجد جماعة الصهاينة حديثاً. فمصدر الشر واحد هم شياطين الانس. ونعوذ بالله منهم أولاً وأخيراً . . يا رب سلم .



من وحي كتاب تاريخ جدّة

المعرفة غذاء العقل ونور البصيرة وقوام التوجيه بالاضـــافة إلى الغرائز . والعواطف والصحب والتربية ، ولا شيء أغلى في موازين المعرفة من معرفـــة الإنسان حقيقة نفسه التي بين جنبيه وما يتصل بها من أسرة وأمة ومسقط رأس ووطن ولغـــة . وقديماً قالوا من عرف نفسه فقد عرف ربه .

ومن الإغراق في التنكر أن يجهد منا كاتبون ليعرفونا إلى أنفس الآخرين وأممهم وأوطانهم ولغاتهم وآدابهم ولا يجهدون بسبيل لمثل هذه المعرفة في حق أنفسهم وما يتصل بها . وإني أحس أفدح الأسف لتنكرهم هذا أحسه أورا مشتعلا في نفسي ، كلما سمعت لهم كلمة أو قرأت مؤلفاً أو نظرت صحيفة . .

كما أحس مشاعري تكاد تتواثب بشراً إذا لقيت من كتابنا ، من يتوفرون لدراسة أنفسهم ولغتهم وآدابها وكل ما يتصل بهم ، وباعث هذا البشر هو إيماننا أن المواطن الصالح الباعث الأمجاد المضحى ، لن يكون إلا من مواليد هؤلاء الكتبة. أي لن يكون غريباً عن نفسه وأمته وبلاده ولغته وآدابها .

وهؤلاء الكتبة الوطنيون الأوفياء هم الذين يحسوننا نحن — المواطنين — لكى نجعل كل قيام في أمتنا العربية المجيدة أغنية نحدوا بها ركب حضارتنا المفتقرة في كل ناحية من نواحيها الانسانية الكريمة السامية إلى ألف قيام وقيام ، وبالتالي إلى ألف كاتب وكاتب . لكي نستعيد أمجادنا السالفة ومكاننا المرموق العالي بين الأمم.

على هذا الاعتبار تلقيت كتاب – تاريخ مدينة جدة – و « جده» بين اخواتها الثغور العربية : الإسكندرية بيروت تونس الجزائر الدار البيضاء عدن ... المنار المقدس الذي يأمه الحجاج في طريقهم إلى البلد الحرام . بلدمكانها المرموق من الناحية السياسية والإقتصادية والإجتماعية .... فأهتمام بلديتها في إخراج مؤلف مخصص لتاريخها هو من عيون أعمال النهضة العربية الحديثة وهو بحق أول مؤلف شامل كل ما يتصل بهذا الثغر الكريم ، لأنه جـــاء على أحدث التحقيقات العلمية وأجمل المحاسن الفنية في أسلوب رشيق شفاف قريب مـــألوف هو أسلوب الأنصاري المطبوع بطابعه المعروف .

وانه ليحدوني الاخلاص أن أقول : إن أول ما وقع نظري على هذا المؤلف ذكرت حادثة قديمة جرت حيال قبر أمنا حواء في جدة شاهدتها ، لذلك أحببت أن أقف على حقيقة هذا القبر المتعارف بين الناس انه قبر أمنا حواء وكيف كان ، وعلى أي اعتبار تم بناؤه المفرق في الطول والعرض !!! .. فتناولته وأسرعت أقلب نظري في صفحاته فإذا أنا أستغرق هنا وهناك وقد أخذتني روعة البنـاء الجديد في هذا المؤلف وفتنني سمو الأدب وعمق التحقيق وحسن التخلص وسعة الاطلاع ووفرة المراجع . كما سحرني تنوع التبويب وجمال العرض حتى نسيت قبر حواء وما حققه المؤلف في شأنه نسيته حين تمثلت لي جدة في «مرآة التاريخ» لأول مرة في عالم الأدب وقد راعتني لما أبصرتها بين « عوامل الحرب والسياسة » وسرني أن أتعرف إلى «السكان» وإلى «الحالة الصحية » .

وبكيت أصدقاء كثيرين قضوا نحبهم لما شاهدت رسومهم . وسررت بآخرين لا يزالون يعملون جاهدين من أجل الحضارة والعلم والصناعة والتجـــارة واللغة والأدب . كما خف قلبي طرباً لما شاهدت رسوم النهضة الحديثة العمرانية وقد حمدت الله حين نجوت من الظمأ المحرق أو الماء الرنق الاسن لما قرأت « قصة الماء » . وكم

أكبرت التعليم الحديث لأني اعتقدت أن الأمة يستحيل أن تستعيد أمجادها ويرهب مكانها وهي جـاهلة وبالحري في عصر ركبت فيه الأمم الحديثة أعراف الرياح وطفقت تنتقل من قطر إلى قطر في سرعة الصوت وتكاد تنتقل في سرعة الضوء. وهكذا ما زلت اترنح ثملا في بحوث هذا الكتاب حتى أفضيت إلى مناظر الاسماك ولم يدر في خلد أبنائي أن مدينة جدة تشتمل على كل هذه الأنواع المختلفة من شتى الأسماك الملونة، حتى انهم حين تراءت لهم الألوان الفتانة الساحرة والمؤلف في يدي نسوا الاحتشام فكادوا يختطفوه من يدي ولكن طلبت اليهم برفق أن يدعوا الآن الكتاب لي وسوف أدعه لهم في فرصة أخرى .

وهنا ذكرت قبر أمنا حواء وأدركت اني نأيت عنه كثيراً فعـدت اليه في صفحة « ٣٧ » وأخذت أطالع النصوص ونقدها وجمعها واستخلاص الحقيقة منها حتى انتهيت منه في صفحة « ٤٠ » وقلت في نفسي بعد هذه الدراسة ، فلو كنت أعلم حقيقة هذا القبر بالأمس كما علمته اليوم لأرحت نفسي مما حملتهـا من القلق والخوف أياماً ...

وخلاصة الحادثة انني كنت في جدة قبل أن يزال قبر أمنا حواء وفي الدار الذي كنت أنزله نفر من الحجاج ذهب بهم الوكيل ليزيرهم قبر أمنا حواء تفاديا من العقوق ... فصحبتهم ... وقد راع الحجاج طول القـبر وعرضه وقبابه الثلاث المتابعة على الرأس والصرة والقدمين فالتفت الوكيل إلى أحد الحجاج ، وكان عملاقاً ظريفاً يداعبه : « لا أحسبك تزيد – وأنت على ما أنت عليه من طول وعرض على الخنصر أو البنصر في قـدم أمنا حواء فلا تفخر بنفسك » !!

فنظر الحاج إلى نفسه وإلى القبر فرأى الحجة ناطقة في ضآلته بالنسبة لهذا القبر الذي يراه أمامه في طوله وعرضه فسكت .

وكان بجوارنا ابن بار من الحجاج مكباً يقبل القدمين قد غاظه ما سمع ... فاعترض زاجراً .

: « ويل لك اكنت تريد أن تكون أمنا ؟ !! بمثابة ماقلت–بالنسبةلابنائها وفيهم من كان يخرج الحوت من قاع البحر ويشويه في قرص الشمس !! » .
فرد عليه الوكيل وقد كظم سخرية الاسطورة في نفسه – أسطورة عــــوج ابن عنق –: « إذا فما الذي مسخ أحجام أجيالنا إلى ما ترى » .فأشاح الرجل بوجهه عن الوكيل امتهانا لجهله وردد وهو منصرف : ملوحاً بيده : « الذنوب ، الذنوب».

وهنا انتهت الحادثة ولم يبق في غمره من الفكر والحيرة والخوف سواي لأن تخيلات الحداثة مثلت لي البشر وقد تضاءلت أحجامهم إلى حجم الاجنة لكثرة ما يرتكبون من المآثم وترادف الوهم على والحيرة والقلق حتى قلت في نفسي وما يكون من أمر البشر بعد ذلك إذا هم استمروا يذنبون ويذنبون ...

* * *

الحقّ وريب الباطل

— ١ —

لا شيء يقتل يقين المعرفة الإنسانية في الجماعة الغافلة قتلا ، مثل ريب الباطل الذي يشيعه المتنكرون لواقع العلم هنا وهناك . انه يعمق الالحاد والتلون والدس وحب الذات والمصلحة الخاصة .. ويجر على المودات الانسانية الصالحة ، وصلات رحمها وتعارفها وسلامها وصدق معاملاتها : دواهي الدواهي .

والمصيبة في الجماعة الغافلة قلة من يفرزون ريب الباطل من الحق ، وما أهول الخطب إذا فقد الفارزون .. ومصفاة ريب الباطل هي الريب العلمي الذي يحرر المعرفة اليقينية ، ويصفيها من كل زيف وأسطورة وزيادة ونقصان .

وسوى الريب العلمي باطل لأنه عامل افساد ليقين العلم في كل شيء وأنواعه شتى .. أهمها ..

١ — الريب الظني

الظن أرض صالحة لبذر بذور ريب الباطل .

والظن يمطر الريب أمطاراً ، وينمي أغراسها وينضج أثمارها ويكثفها بالمآثم والاحقاد والفتن والاخذ والرد .

وهو لا يغني من الحق شيئاً ، لانه من واد غير وادي العلم ...

(وَمَا لَهُمْ بِـــهِ مِنْ عِلْمٍ ، إِنْ يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ ، وَإِنَّ الظَّنَّ ، لَا يُغْنِي مِنَ ٱلْحَقِّ شَيْئاً) ـ النجم ٢٨ .

وإن أكثر مقالات الكاتبين تجدها محشودة بالمظنون والاوهام ، وتجد أقل ما فيها حقائق العلم اليقيني .. إن لم تفقده من كل وجه .

انظر كتابة أكثر الذين يزعمون انهم أحاطوا علماً بحقيقة الاسلام مثلا . ألا تجدها تنضج بالظنون ، وأمنيات مرضاهـا من المرتابين العنصريين . وتجد العلم اليقيني أندر ما تشتمل عليه ..

وهكذا تجد هوى النفس أوسع مجالات الظنون في عالمنا ... !

أي زاد سوى الظنون حملنا   وتركنـا إلى هواهـا العنانا

وريب الظنون المحشورة في حقائق الاشياء . لا تخفى إلا على الغفل الهمل من الدارسين ..

أما شوامخ العلماء ، فإنهم ينتزعونها من معالم الحق ، ويطرحونهـا تحت الاقدام زجراً وإهانة لحاشريها .

٢ - الريب العاطفي

العاطفة إحساس نفسي تخطط فيه اتجاهات بعينها ، حتى تنطبع فيها ، ويعسر اقتلاعها ، أو الحياد عنها بعد ذلك .

وتخطط الإتجاهات بأسلوب العلم وبأسلوب التقليد ، وبـأسلوب المنفعة وبأسلوب الشر .

والعاطفة المركزة بالدعاية ، إذا اشتعل لهيبها ، وتتطاير شررها فإن باطل ريبها يحرق الواقع ، ويبطش به بلا مبالاة لإساءته قلامة ظفر .

والريب العاطفي تلمسه في عاطفة الملحد مارجا من نار .

الا يعتصره من أمراض نفسه اعتصاراً ، وينفثه سمومـاً من يقين دلائل وجود الخالق العظيم العلمية .. وتراه يسيء إلى يقين العلم أبلغ الاساءة .

ولا يرى أنه فعل هجنا ..

وكم يريب .. وهو يتلقف بإيمان أعمى أباطيل الملحدين الخرقاء ..

وكم يريب وهو يحسب أنه يحسن لنفسه ولامته إحسانا لا يقدر على تقديم مثله إلا العباقرة .

ولو تعهد المربون عواطف الناشئة بالتربية الصالحة في كل حضارة على حقائق العلم لكان تعارف الإنسانية بعضها لبعض ومعارفها على غير هذا الوضع .

ولكان مركز الاديان العالمية بين الحقائق العلمية اليقينية في غير هذا المركز المخيف من التغيير والتبديل ..

ولابصرت انطلاق كلمات السلام من القلوب الصادقة قبل انطلاقها من الالسنة الكاذبة حتى لا تكون مصايره هذه المصاير العابثة التي لا قيمة لها ولا وزن حتى لدى أصغر الدول وأحقرها.

٣ ـ الريب التقليدي

التقليد هو لفافات أكفان سوداء من أساطير الوثنيات والإشراك ، ومن عنصريات المظالم ، ومفاسد الالحاد ، وغدراته وفتكاته .

نعم هي أكفان أدرجت فيها مجموعات المقلدين النفسية قبل يقظه وعي التفكير .

ولا انفلات منها إلا بالموت ، ولا يمزقها ويخلص منها إلا كل عليم .

وقيد الفكر عملاق

والمقلدون جيف أموات نتنة تظل روائح الريب الخبيثة تفوح منهم .

فهل من عجب إن أفسد هؤلاء المقلدون حقائق الاشياء الكريهة ؟ !

وما دامت التقاليد الشاذة مسيطرة على أمة ، فإن ريب الباطل يظل فيها مسيطراً على حقائق العلم .

ولا تنتظر من المقلدين أن تكون معارفهم عن الآخرين عين الواقع اليقيني ، أو قريباً منه ، ما دامت أغشية التقليد تحول دون الرؤية الصحيحة .

وكم من أناس درسوا القرآن المجيد مراراً وتكراراً ، ولكنهم لم يؤمنوا ..

ولولا تقاليدهم التي تنفث الريب الباطلة حول معجزاته ، لآمنوا بما يكون من علم وفكر وحق .. وفي الوقت نفسه تجدهم مؤمنين بتقاليدهم التي ورثوها عن آبائهم على علاتها وأباطيلها ، وتجدهم ثابتين عليها ثبوت الجلامد . وهل برر مشركوا العرب سوء مواقفهم ضـــد رسول الله – ﷺ – وما أنزل الله عليه من وحي معجز متحد الا بعصبية تقاليدهم الموروثة عن آبائهم ، والتي لم تكن سوى مجموعة من الاباطيل والخرافات ..

(وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا إِلَى مَا أَنْزَلَ ٱللهُ ، وَإِلَى ٱلرَّسُولِ . قَالُوا حَسْبُنَا مَا وَجَدْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا ، وَلَوْ كَانَ آبَاؤُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ شَيْئاً وَلَا يَهْتَدُونَ) ٥٢ ـ ١٠٤

وهكذا تجد أضخم مصنع للريب الباطلة هو مصنع التقاليد الشاذة تفكر !! يا أخي .. ؟

أما نحن في عصر العلوم التي انطلقت بنا إلى سطح القمر .. ؟

أما تجد في هذا العصر نفسه صنع ريب الباطل كيف يجعل المصلح الإنساني الفـــذ لدى فئة مرفوعاً ، فوق الملائكة ، ولدى فئة أخرى مخفوضاً تحت الشياطين ..

والمصلح هو هو في يقين سيرته الشريفة ، وفي طهر أعمـــاله الكريمة المنبثقة لم تزد ولم تنقص شيئاً ولكن الزيادة والنقصان من شأن البشر المتخلفين ، وشأن البشر المتخلفين : انتكاس في انتكاس ..

وإذا قلبت فاحصاً دلائل هذه الفئة أودلائل تلك ، فإنك لا تجد ســـوى خصومه التقاليد وتشاكسها .

ولا ريب انك تسخط من خصومة التقاليد وتشاكسها ، لأنها خصومة عصبيات ، وتشاكس حماقات !!

وإياك يا أخي أن تقول : التقليد غرض والاذعان له مرض .. بل قل كلمة واحدة — التقليد موت — وكفى .

— ٢ —

قد يدرك الدارس من البنود الثلاثة التي سلفت من أنواع ريب الباطل «جانباً» من الأهوال التي ينفثها ضد الحق اليقيني .. فإذا أمكن للدارس أن يتعمق سائر بنود ريب الباطل الآتية فإنه يكون قد أحاط علماً بكل أهواله وزلازله وبراكينه المتفجرة باللهب ..

في حقائق المعرفة الانسانية ..

وإليك بقية البنود ..

الريب التلقيني :

التلقين مجموع التوجيه المركز في طفولة المجموعة النفسية .

أي لا تبذر بذوره إلا في الفترة الأولى في مطلع الحياة .. ولكن انفعالاته المتخلفة لا تنفك عاملة مهيمنة في توجيه أعمال الانسان حتى بعد صحو الفكر ، وقدرته على صحة النية ، وتحرير الحق اليقيني .

وأسلوب الكاتب المدنف بالتلقين لا يخلو من باطل الريب ، حتى ولو عولج في مصح العلم اليقيني — بالتثقيف العالي الصافي في شبابه ..

وقليل جداً الذين تظهر مؤلفاتهم وأحاديثهم من مآثم الريب التلقيني .

هذا دانتي الذي هو أكبر شعراء إيطاليا وأوسعهم ثقافة ، لم يستطع أن يفلت

من أغلال الريب التلقيني المركز بعد صحو الفكر بالعلم ، وبعـد امتلاك مجموعته النفسية الحرية .

حتى أن شباب العرب الذين يتخصصون في الفنون الحديثة في إيطاليـا حين يذكرون لزملائهم الطليان أبيات دانتي التي نظمها في كوميديته ـ الالهية ، عن مكان خاتم الرسل ـ صلوات الله وسلامه عليه ـ في العـالم الثاني ، يخجلون من سماعها ، ويحسون أنها ملوثة بباطـل الريب التلقيني المتغلغل في مجموعته النفسية ..

وأخيراً يعتذرون عنه أنه لم يكن من مثقفي هذا العصر المحرر من أوباء هذه الأمراض النفسية وخبائثها .

أي لم يكن من المثقفين الذين يقومون على كل بحث مقام المنار الهادي في الليلة العاصفة الظلماء ..

هذا هو وضع المصابين بخبائث التلقين في نبوة خاتم أنبياء الله سيدنا محمد ﷺ دون سواه من الانبياء ..

فإنك لن تجـد من سبب باعث غير مرض التلقين المركز في مطلع العمر . ولسان حالهم ينادي :

ـ ما لقـنّاه في الصغر ظل عقيدتنا في الكبر ..

وهذا ما أشار إليه رسول الله ﷺ :

« كل مولود يولد على الفطرة ، وإنما أبواه يهودانه أو ينصرانه أو يمجسانه » .

والفطرة هي عقيدة السماء التي أوحاها الله إلى رسله كافة ، وهي مطبوعة في نفسية كل مولود ..

ريب العنصرية :

العنصرية مرض وهمي يجعل المصاب به ، يتصور أنه خلق من عنصر ممتـاز دونه عناصر البشر ..

ومن أجل ذلك كان ريب العنصرية أخطر أنواع الريب الباطلة ..

ولا يربو عليه إلا مرضان : مرض ريب المصلحة الخاصة ، ومرض ريب الثقافة ..

ومرض العنصرية من الأمراض السلوكية السارية ، وليس لها من طب إلا بالموت ..

والشخص العنصري حقود وحقده لدى الضعف رصاد متآمر ، ومفسد ختال ومتلون دساس جموع ، وحقده لدى القوة بطاش فتاك وطاغ سلاب ، وشرير خداع ..

وإذا أبصرت الحقائق اليقينية في أية ناحية من نواحي الحياة مغشاة بريب الباطل ، فاعلم أن النزعة العنصرية هي المجرمة الفاعلة ..

فكم من أمم مزقت، وكم من أديان أُفسدت، وكم من نحل دست وكم من حروب أشعلت ، وكم من مصالح هدمت وكم من اصلاحيات انسانية ومثل عليا زيفت وأضاعت على أهلها أكرم العيش ، وأورف ظلال الحرية الناعمه .. من جرائها ..

والنزعة العنصرية تجعل أهلها بارعين في الدس والافتراء على الحقائق اليقينية وبارعين بالتظاهر بالمودة الانسانية والانسجام ، وصدق النوايا .. واخفاء ما تطويه أنفسهم من حقد على الشعوب، وتآمر عليها وعلى عقائدها .. ودس للقضاء عليها .. وقنص لمقدراتها الاقتصادية من دون أبنائها ، وتسرب إلى أروقتها الثقافية ، وانتساب إلى قومياتها إلى اهتمام بالذود عنها ، ظاهراً ظاهراً .. !!

وتبصرهم بارعين في الاستيلاء على غرائز قادتها، والتحكم في قيادهم، والتصرف بهم وفق ما يرغبون .

وما أسرع ما ينقاد الانسان بغريزتي الجنس والتملك ، ولو كان على بصيرة نيرة من العلم والحكمة والوعي ، إلا من رحمة الله بالاستقامة والصدق والذكاء ..

ولولا ما يدسه الريب العنصري من يقين الحق ، لما شاهدت كتاب الله الذي

أنزله الله على سيدنا موسى عليه السلام – ليكون اماماً ورحمة وهدى قد حوله العنصريون من الإسرائيليين الى تحقير للشعوب ، والانحطاط بها إلى الحيوانية ، وتسفيه لاديانها وتشويه لحقائقها ، وتواطؤ على حيازة أموالها واتخاذ عواصمها مخابيء لنسج المكائد ونصب الاشراك ضد مصالحها ، بأسلوب العلم والدهاء واصطناع من بيدهم الحل والعقد ..

سوى من عرف ما وراء الاكمة وكان عريق المحتد شريفاً خيراً .

وذووا الريب العنصري يسمكون سدوداً من الفولاذ ، لا تنفذ منها الرحمة وتأنيب الضمير ، وخشية الادانة ..

وان دمروا حياة الآخرين وأهلكوا الحرث والنسل .

والذي تدهش له أن نصوص الكتاب الذي بين أيديهم يتضح بالقطيعة الانعزالية العنصرية العارمة .

حتى يخيل إليك أن القرآن المجيد الذي يمجد كتاب سيدنا موسى ، يعني موسى آخر ولا يعني كليم الله لوفرة ما حرفوا في جلال كتاب الله كقوله تعالى :

(وَمِنْ قَبْلِهِ كِتَابُ مُوسَى إِمَاماً وَرَحْمَةً) ١١ ـ ١٧

وقوله :

(ثُمَّ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ تَمَاماً عَلَى الَّذِي أَحْسَنَ وَتَفْصِيلاً لِكُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً لَعَلَّهُمْ بِلِقَاءِ رَبِّهِمْ يُؤْمِنُونْ) ٦٥ ـ ١٥٤

وقوله :

(وَمِنْ قَبْلِهِ كِتَابُ مُوسَى إِمَاماً وَرَحْمَةً ، وَهَذَا كِتَابٌ مُصَدِّقٌ لِسَاناً عَرَبِيًّا لِيُنْذِرَ الَّذِينَ ظَلَمُوا وَبُشْرَى لِلْمُحْسِنِينَ) ٤٦ ـ ١٢

وقولة :

(وَلَقَــدْ آتَيْنَـا مُوسَى ٱلْهُدَى وَأَوْرَثْنَا بَنِي إِسْرَائِيـلَ ٱلْكِتَابَ) ٠ ـ ٥٣

وقوله :

(هُدَى وَذِكْرَى لِأُولِي ٱلْأَلْبَابِ) ٤ ـ ٥٤

ولولا باطل الريب العنصري الذي تغلغل مفسداً حقائق الأديان قديماوحديثاً افساده لحقائق المعارف الانسانية ، لما رأيت هذه الاحقـاد المتحجرة في قلوب أهل الأديان بعضهم ضد بعض .

وكم حاول العنصريون الشعوبيون أن يفسدوا حقائق الشريعة الاسلاميـة ولكنهم باءوا بالفشل لأن وحي الله مؤكد حفظه إلى يوم القيامة .

(إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ) ١٥ ـ ٩

ولا بد أن ذكرك الساخط الملتهب يظل واعياً أن الريب العنصري هو ريب انعزالي حقود هدام متآمر مدمر .

ولا بد أنك بعد اليوم تمقت العنصريين وتناضلهم بكل امكانياتك .

وهذا أقل مـــا يجب على الانسان « الانسان » الذي يذود عن شرف يقين العلم والحق والخلق .

ريب العنزية :

العنزية اصرار مرور فج صلد لأن صاحبها صـاحب المثل المهووس : «عنزة ولو طارت » ..

والريب العنزي لا أمل في العدول عنه ، حق في غور النية وثرثرة القول ..

فهو عناد في عناد في عناد.. ومن أجل ذلك لا واقع له ولاشبه واقع في سجل الحق والعلم اليقيني •

وإذا عرفت الريب العنزي بأنه طرح لحجج القاطعة والبراهين العلمية اليقينية تحت الاقدام •

والريب العنزي ، ليس له أي أعتبار في موازين العلماء ••

بل ليس له أي اعتبار في نفوس أربابه ، وان طغى عرام عناده ما طغى لأنه شعبة من الجنون ، ولن تجد من كفر أكفر من عرام العناد .

ولن تجد أكفر من مصر على باطل الريب ، دون أدنى مبرر ..

اذن فالريب الاصراري العنزي في القرآن المجيد وفي حقائق العلم اليقينية ، قيمته قيمة النعل البالية ، لا تنال منك أو من سواك الا أن تطرح في القمامة .

— ٣ —

ما دام الحق هو الواقع واليقيني الثابت ، فلن يكون باطل الريب ، سوى ظنون وأوهام وانحرافات متعمدة وغير متعمدة ، تعدل بصاحبها عن مناهج البحث العلمي ووثوقه • وأولى قضايا الانسانية العليا في هذا الوجود واسمي كفاح يكافحه علماؤها ويضحون من أجله ما يضحون • ويبذلون ما يبذلون .. هو تحقيق صريح الحق واعلانه للناس جميعاً وسحق ريب الباطل في أي ناحية بدأ ، وفي أي لون ظهر ..

ولولا تضحية كفاح العلماء ، وبذل سخاء الاسخاء لظلت البشرية عارية في وحشية كهوفها وختل ادغالها ، يفترس بعضها بعضاً إلى اليوم .

والحقيق اليقيني : هو مادة التطهير ، من كل ما يلوثه المرتابون المبطلون ، مما هو يقيني من حقائق الاشياء ..

ولا نفع أنفع ولا أخلد مما يجاهد له العلماء: لتحقيق دعوتهم بالحجة والبرهان وليكون الايمان قائماً على يقين العلم .. أي صحيحاً مسلماً ..

وصحة الايمان تجعل المؤمنين يضحون بالمصالح الخاصة في سبيل المصالح العامة وتجعل أعمالهم أعمال الحق .. والحق دائماً منتصر ، والباطل دائماًمنهزم.. وقديماً قالوا :

إن للباطل جولة .. وللحق جولات ..

ولن تنتصر جولة الباطل في عصر ما .

الا بتواطؤ المرتابين المبطلين.. وتآمرهم ضد الحق . ولولا ذلك لما كان للباطل ، أية جولة منتصرة .. والحق حي وحياته دائمة ، ولا يقضي عليه،وان تفاقم الأعداء .. والباطل له صحوة الموت .. وما أسرع ما تنقضي صحوة الموت .. ودعوة الحق عالية ، وقواعدها تشيد على يقين العلم ، فهي صحيحة نافعة . ودعوة الباطل منخفضه ، وقواعدها تشيد على الظن وهوى النفس فهي فاسدة ضارة . ونهايتها مجرحة ومهلكة .

ودعوة الحق هي دعوة المثل العليا ، والمثل العليا لا تحققها إلا أمة إنسانية عالية يفرض عليها دستورها تحقيقها.

(وَمِمَّنْ خَلَقْنَا أُمَّةً يَهْدُونَ بِالْحَقِّ ، وَبِهِ يَعْدِلُون) ٧ ـ ١٨١

والحق أبدى وزاهر . وهو الأصل الأصيل ، وظلاله لا تنفك ندية وارفة ، والأجيال لدى الازمات تتقي به لفح سموم الباطل ..

والحق لن يعدم الانصار المناضلين من شوامخ العلماء الذين لا يحجمون جبنا عن الذود عنه ، والتضحية من أجله وان قست الظروف ، وتنمر المبطلون

(وَقُلْ جَاءَ ٱلْحَقُّ وَزَهَقَ ٱلْبَاطِلُ إِنَّ ٱلْبَاطِلَ كَانَ زَهُوقاً) ..

والقرآن حق ، لانه وحي الله وريب الباطل لن يدانيه..

ووظيفته أن يقيم موازين الحق للانسانية في كل ما تأخذ به أو تدع ونهضته بها إلى الامجاد والمثل العليا لن تنتهي . والذين يكفرون بالقرآن هم فريقـان :

١ – اما بسطاء مقلدون جامدون يفقدون ملكة التمييز بين العلم والجهـل والحق والباطل والوحي والاسطورة والصعود إلى القمم ، والهوى في الأغوار .

وهؤلاء المقلدون : الحق في عقيدتهم ما نشئوا عليه ولُقّنوه في حداثتهم !

والباطل ما لم ينشأوا عليه ، ولم يلقنوه في صغرهم .

٢ – وأما مثقفون اصراريون نفعيون، يعلمون الحق العلمي اليقيني في وحي الله ، وقادرون على التمييز العلمي قدرة فائقة ولكنهم لا يعنـــون بالتمييز ، ويرفضونه لاصرارهم على الكفر والالحاد . !

(وَإِذْ قَالُوا : ٱللَّهُمَّ إِنْ كَانَ هَذَا هُوَ ٱلْحَقُّ مِنْ عِنْدِكَ ، فَأَمْطِرْ عَلَيْنَا حِجَارَةً مِنَ السَّمَاءِ ، أَوِ ٱئْتِنَا بِعَذَابٍ أَلِيمٍ) ٧ – ٣٢

والقرآن المجيد كتاب محفوظ مخلد ، وصل إلينا بالطريق العلمي القطعي – أي بالتواتر الجماعي المتصل ..

والمثقفون الاصراريون لا يضر كفرهم الظالم قلامة ظفر .

(إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا بِالذِّكْرِ لَمَّا جَاءَهُمْ وَإِنَّهُ لَكِتَابٌ عَزِيزٌ) ٤١

(لَا يَأْتِيهِ ٱلْبَاطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ ، وَلَا مِنْ خَلْفِـــهِ تَنْزِيلٌ مِنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ) ٤١ – ٤٢

ومفكرو العالم الأحرار يفخرون كل الفخر بالقرآن المجيد .. لأنهم يجدونه إذا أنعموا النظر في دراسته – لا يعتمد في الايمان به ، إلا على دلائل النظر الحـر المتفتح ودلائل العلم اليقيني .

ولا اعتبار بالايمان التقليدي الاعمي القائم على أحاجي الظنون والأوهـام ،

والرؤى ، والخوارق المصنوعة ، وأساطير الوثنية والاشراك .. كل ذلك عمى في عمى .. !!

(أَفَمَنْ يَعْلَمُ أَنَّمَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ الْحَقُّ . كَمَنْ هُوَ أَعْمَى . إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُوا الْأَلْبَاب) ١٣ ـ ١٨

ودراسة القرآن المجيد بدلائل العلم اليقيني تجعلك تلمس وراء باطل الريب اغلاله الموصدة للتفكير ، وتخلفه الرجعي للثقافة وتحجره الأسطوري للتقاليد ، وانعزاله العنصري للشخصيات .

تلمس أمراضه المستعصية النفسية مستحكمة كل الاستحكام .

ولعل حياة البشر تنهي من الكرة الأرضية وأوباؤها والامها وأوجاعها لما تنته .

اذن فلا اعتبار لريب الباطل المندس في وحي الله : لان كل ذي معرفة حرة ـ وان ضؤلت ـ يفهم انه يستحيل أن يكون في كلام الله عز وجل لمحة علم من الريب ، ولو كان فيه لمحة علم من الريب لما صحت نسبته إليه عز وجل .

(ذَلِكَ الْكِتَابُ ، لَا رَيْبَ فِيهِ) ..

أجل .. كتاب الله، لا ريب فيه ، لأن الريب إنما يكون من الإفتراء على الله ـ جل جلاله .

والمفتري على الله ـ جل جلاله ـ مهما يكن قادراً عالماً بليغاً ، فانه يستحيل عليه أن يأتي بكتاب كالقرآن المجيد .

« يحوي المعارف اليقينية الثابتة والعقائد السماوية الصافية » . « وقواعد التشريع الأبدية العادلة والأنباء الصحيحة الواقعة » « والمعجزات المتحدية الصارخة » ..

أي يستحيل أن يأتي بكتاب كالقرآن المجيد . لا ريب فيه..

(وَمَا كَانَ هَـٰذَا ٱلْقُرْآنُ أَنْ يُفْتَرَىٰ مِنْ دُونِ ٱللَّهِ ، وَلَـٰكِنْ تَصْدِيقُ ٱلَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ .. وَتَفْصِيلُ ٱلْكِتَابِ لَارَيْبَ فِيهِ . مِنْ رَبِّ ٱلْعَالَمِينَ) ١٠ ـ ٢٧

وكل ريب سوى الريب العلمي الاصيل ، هو تقليد متخلفة مزمنة يركزها المربون المرضى في مناطق المجموعة النفسية ويعمقون أبعادها من قبل اشراقها بالوعي الثقافي الامين ومن قبل يقظتها بالفكر الارادي الحر ..

ويكفي الريب العلمي قيمة وقدراً أو منطلقة من صميم الدراسة العلمية إذ هو محرر العلوم من الظنون والاوهام، ومشيد معالمها الهادية بين الأمم ..

ولولاه لظلت الأمم ضالة في متاهات المتناقضات ، وأدغال الخرافات ، وكهوف الوثنيات ..

وبالريب العلمي اليقيني اكتشف الراسخون من العلماء ريب الباطل المدسوس في وحي الله اليقيني ..

وريب الباطل هدام وليس له من مستقر في منطق الفكر ، إنما مستقرة في العاطفة أو التقليد أو في الظن أو التلقين ، أو العنصرية أو العنزية أو الحواس الخمس ، أو الاسطورة ، أو النكاية ، أو الاختراع ، أو الثقافة ، أو المصلحة الخاصة أو الجهل أو التلفيق .

وان كان الواقع لا مصلحة خاصة لاحد فوق مصلحة يقين العلم الذي هو مصلحة كل الأفراد والجماعات على السواء ..

ولن تجد في الدنيا أفسد من الريب المنبعث من المصلحة الخاصة . إذ هو أبشع الجرائم ومصدرها المرذول . ومثيروه المصرون عليه يستحقون الاعدام .

لما ينزلونه على إنسانية الانسان ، وحقائق العلم اليقيني من التمزيق والمنية .

والحق أن كل ريب سوى الريب العلمي .. الذي هو يد لتحرير المعرفة ودعامة دعائمها ومنارة منائرها .. له بلاياه وأفداحه ..

ولا أمان من ريب الباطل وبالغ أضرارة الا بيد الصفوة الامناء من شوامخ العلماء القادرين على كبحه وطرحه تحت الاقدام .

وانك تجد في الكلمات الاتية مناطق ريب الباطل مفصلة فيالمجموعة النفسية وانطباعاتها .. ومفصلة في كتابة الكاتبين ، وتأليف المؤلفين الذين لم يستكملوا أهبة الذود عن حقائق العلم اليقيني .

هذا هو الحق ، وهل بعد الحق إلا الضلال .

* * *

حقائق أضلتها الظنون ووجدها العلم

(وَمَا لَهُمْ بِهِ مِنْ عِلْمٍ . إِنْ يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَإِنَّ الظَّنَّ لَا يُغْنِي مِنَ ٱلْحَقِّ شَيْئاً) ٥٣ ـ ٢٩

سمع بعض دارسي الفلسفة اليونانية ـ وكانت العلوم معتبرة من الفلسفة ، لانها كانت في دور الملاحظة والنظريات ـ أن الذرة هي أصغر جزء مادي لا يقبل التجزأة والانقسام ، وكان هذا معروفاً لدى العرب حتى أنهم أطلقوا على ما يرى متطايراً في أشعة الشمس في الهواء إذا دخل من كـوة : ذرات ، وكذلك على صغار النمل الذي لا يكاد يرى . . .

وسمع ذلك البعض الحائر أن آيات خاتم الوحي الإلهي تعلن ان الله يحاسب على مثقال الذرة ، وعلى ما هو أصغر منها . فأنكروا ذلك وقـالوا : الذرة لا تتجزأ وليس ثمة في عوالم المادة أصغر منها .. « والمثقال الوزن » . . .

ومن الآيات المعجزة التي تعلن هذه الحقيقة أي ـ وجود مـا هو أصغر من الذرة ـ هذه الآية الكريمة الواردة في سورة سبأ ٣٤ ـ ٣

(لَا يَعْزُبُ عَنْهُ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ فِي السَّمَاوَاتِ وَلَا فِي ٱلْأَرْضِ وَلَا أَصْغَرُ مِنْ ذَلِكَ وَلَا أَكْبَرُ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ) ..

وقد بنوا اعتقادهم أن لا شيء أصغر من الذرة ، على ما وصل اليه علم اليونان في فلسفتهم .

ومن أجل ذلك أوّلوا الآيات، وقالوا المراد من ذكر الجزء الذي هو أصغر من الذرة في القرآن التخويف بدقة وزن الاعمال ، وإنها معصية مهما بلغت من الصغر والتنويه بسعة علم الله وشموله لكل ما كان ويكون على ما هو عليه ...

والحق أن انكار المنكرين كفر ، وتأويل المؤولين فسوق .

لانهم أنكروا وأوّلوا اعتماداً على علم اليونان ، وما كان متعارفاً لدى عرب الجاهلية ولم يعتمدوا على علم الخالق العظيم

(أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلْخَبِيرُ) .

والآن لا يفتقر أحد إلى التأويل ، لان العلم اليقيني المشاهد فلق الذرة وتبين أنها عالم كعالم المجموعة الشمسية ،مشتمل على أجزاء ، وإن كل جزء هو أصغر من الذرة حتما ...

وقد صدق عليهم قول الله عز وجل :

(وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَنْ يَشْتَرِي لَهْوَ ٱلْحَدِيثِ لِيُضِلَّ عَنْ سَبِيلِ ٱللهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ ، وَيَتَّخِذَهَا هُزُواً . أُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مُهِينٌ) ٣٤ ـ ٧ .

ومن بعد هذا البيان الذي كشف لنا الذرة ، وما أصغر منها و كشف لنا أن الطاقة هي الخالية من الذرات كالضوء والجاذبية ، نستطيع أن نلمس سطحية علم القائلين :

« كيف يمكن أن تفهم أن الجبال لدى نهاية العالم تستحيل إلى سراب . كما هو مذكور في سورة النبأ

(وَسُيِّرَتِ ٱلْجِبَالُ فَكَانَتْ سَرَاباً) .

وحقيقة السراب ضوء يعكس صورة ماء البحر . في الصحـراء في الظهيرة . وهو عكس الآل الذي يعكسه ليلا ، ومصدر السراب الشمس ، ومصدر الآل القمر ...

ومناط الاستفهام السطحي هو قولهم « فالضوء طاقـة ، وذرات عناصر الجبال مادة . والمادة غير الطاقة حتماً ، فتكون الآية غير محكمة » .

وواضح أن الآية غير المحكمة مفتقره إلى تأويل ....

والواقع أن الله عز وجل ، هو أعلم بكيفية بدء خلقه للكائنات التي ألـف عناصرها من الذرات . فما ذكره في وحيه المعجز عنها هو عين الحق الذي ندين به ، ولا نقيم وزناً لمن يقول سواه .

فالجبال لدى نهاية الكائنات تفكك ذراتها وتستحيل إلى طاقـة كالسراب تماماً . من غير تأويل ..

ولئن ظهر بعد انفلاق الذرة أن الآية تشتمل على إعجاز علـمي كبير ، فإنا نظل مؤمنين أن ما قاله الله هو الحق الذي هو الحق الذي كان والذي سيكون ولو لم يفلك العلم الذرة ويكشف أنها يستحيل إلى طاقة .

والفضل لله على ذلك ...

وسمعت من يوسوس في مجلس لزمرة من الشباب المثقفين ثقافة وسطى ، بقوله : « ما دام المقصود من الكفات الضم والشد : في آيتي المرسلات ٢٥ و ٢٦ »

(أَلَمْ نَجْعَلِ ٱلْأَرْضَ كِفَاتاً) ـ ٢٥ (أَحْيَاءً وَأَمْوَاتاً) ـ ٢٦ .

فإن ضم الأرض وشدها للاموات في قبورهم ظاهر . لأنهـم لا يستطيعون فكاكاً منها... أما الأحياء فكيف تضمهم الارض وتشدهم وهم مطلقون يروحون ويغدون ، بل ويطيرون في الهواء ..

هذا هو الواقع المشاهد ...

والآيتان تخالفان هذا الواقع المشاهد ...

ونفث في صدور الحاضرين الريبة المفتراة باسم العلم ، وشد قدميه وانصرف مستعجلاً . بحجة أن وقت العمل أدركه ..

وحين انصرف ساد الهرج والمرج بين الحاضرين في مدلول الآيتين: وهنا قلت :

(إن الآيتين الكريمتين، هما من معجزات العلم وإن شد الأرض وضمها للاحياء والاموات سواء . وإن كان الظاهر يخيل لنا أن الأرض أشد ضماً للأموات ، لأنهم محجوزون في قبورهم ولا يستطيعون الانفلات منها .

ولو كان هذا القائل من أهل العلم لأدرك أن أيدي شد الارض لهم ممتدة إلى آفاق سحيقة في الفضاء ، وان العلماء حين وصلوا إلى نهاية شدها لهم ، وحاولوا الانفلات منه في عربة الفضاء اخترعوا الآلات القوية الدافعة التي في قدرتها أن تفلتها من قبضة شد الأرض لها .

وهذا شاهد عياناً لسكان الارض كلهم بواسطة محطات الإرسال الفضائية .

وهو برهان عملي علمي يقيني على اعجاز القرآن العلمي ، وعلى صدق آياته ، لا على الريبة فيها .

على أن الأموات لو تناثرت ذرات أجسادهم في الهواء أو جرفتها مياه البحار ، فإنها تظل في قبضة كفات الارض وجذبها إلى يوم جمعها للبعث والنشور .

ولعنة الله على من يثير الشك في واقع العلم اليقيني الشاهد ليقلب الحقائق بالافتراء والدس ...

وسمعت من يتحدث بجهالة وسوء نية عن سورة الفلق :

« ما دام الفلق هو الصبح ، فأي شر في الصبح حتى يستعاذ بالله من شره ... وبركة الأعمال في البكور » .

وتلمس العجب من جهالته ، إذا علمت أن الفلق عام ، وهو مظهر القدرة الإلهية وبرهانها التكويني المشاهد وهو كما يدل على الصبح الذي هو آية دوران

الارض اليومية . يدل على انفلاق النوى الذي ينجم عنه اختلاف تكوين النباتات ، وتباين منافعها في الحياة مما لا يدخل تحت حصر .

وكذلك يدل على انفلاق خلايا الاحياء الحيوانية على وفرة الاشكال والالوان والاحجام المشاهدة وغير المشاهدة .

وظاهر أن كل فلق يشتمل على خير وشر . ولكن قد يكون الشر في فلق أربى منه في فلق آخر ..

ومن اعجاز الآية أل للجنس ، وان الاستعاذة عامة .

ومن أجل ذلك كان انفلاق الذرة من جملة أنواع الانفلاقات التي تناولتها مدلولات الآية وفي ذلك الاعجاز العلمي الكبير لأن شر انفلاق الذرة لا يعدله شر ، وهو أفدح الشرور وأهولها .. إذ به يتحقق تدمير المدنية ويتم هلاك البشرية الشامل ، إلا ما ندر .

قل يا صديقي انه شر أكبر من شر إنفلاق ألف ألف صبح ..

وأيضاً تدل الآية الكريمة على أن الله وحده هو الرب الذي تعهد خلقه بالتربية والخلق والحفظ ، وإنه هو الذي يستعاذ به لا بسواه ، في ذلك تحرير البشرية الموثوقة بسلاسل ترهات الاجيال وخرافاتهم ، الذين يطلبون الاستعاذة والاعتصام من مخلوقات أمثالهم ، أو أقل منهم قوة ومعرفة .

والآية بعد تدل على مدلولات كثيرة ليس هنا محل ذكرها .

ولو فطن إلى أن أل للجنس وانها تتناول كل أنواع الفلق الدكتور شوقي صنيف من تفسيره لسورة الفلق . ولو أن هذا المتحدث كان على شيء من العلم بلغة العرب ، لما ابتعد عن واقع العلم اليقيني من مدلول الآية . كل هذا الابتعاد وحصره في شيء واحد ، كما أحب ، واعترض .

ولو كان على شيء من العلم وتابع المدلولات التي تحملها الآية لما اعترض .

أجل هناك مدلولات موضوعة مدسوسة أشار إليها العلا أحمد بن تيمية وحذر منها وباب الدس واسع ، وباب الجهل أوسع . والحمد لله على صحة القول ، وصدق النية والسلام .

جهل في ثوب العلم
من مثاليات التشريع في الإسلام

لم يفهم محاضر سطحي مثالية التشريع الإسلامي في اباحة زواج المسلم من اليهودية والنصرانية دون العكس ، واعترض أن هذا التشريع خال من العدل الاجتماعي المثالي الذي يفرض المساواة بين الناس ، واعتراضه هذا جهل في ثوب العلم ، لأن التشريع الإسلامي يحمل في صميم نصوصه الدينية مثالية العدل الاجتماعي المطلق في كل مسألة من مسائله .

ومن الحسرة أن فتاة مسيحية مثقفة علمت مثالية العدل الاجتماعي في هذه المسألة بالذات في حوار جرى بينها وبين فتاة مسلمة وجهلها المحاضر وهو يزعم أنه درس المسألة في إعماق نصوصها اليقينية ، وانه عرضها على تلاميذه تبتلا لوجه العلم .

ولما كان عمله هذا اجراماً مكشوفاً في حق العلم ، ذكرت النصوص اليقينية للحوار الذي جرى حولها بين الفتاتين انتصاراً للحق ، وتنويهاً بتسامح الإسلام، لا إيثاراً أن تكون أم الجيل الناشيء الحديث غير مسلمة . والأم كما يقولون هي حاضنة الجيل الناشيء ومدرسته الأولى التي تتركز فيها ميوله وأهدافه . وهو في غضون السبع ، عهد التركيز ودعم الأسس

وإليك الحوار الذي جرى بين الفتاتين وسندلي بعده بالنصوص التي تدعم هذا الحوار وتدحض قول المحاضر الجاهل .

الحـــوار :

قالت فتاة مسيحية لزميلة لها مسلمة :

« ما كنت أحسب أن في الإسلام كل هذا السمو ، وكل هـــذا الانتصار لعاطفة المرأة .. »

وكان ما عنته هو قول الزميلة المسلمة لها :

« ومهما يكن فزوج وزوج يقترب من الابهـام في عرف الحاسبين ، ولكنه لن يتجاوز الخنصر حين يصدق على الرجل والمرأة بعد عقد الزواج ، وهـــذا سموّ في لغتنا العربية ، لا يعدله سموّ ، لأنـــه يدل على وعي إنساني مهذب في تفكير الواضع العربي .

وكم من مثقفين لم تَـع أفكارهم ، وهم في أرقى عواصم الحضـارة الحديثة ، ما وعاه فكر الواضع العربي القديم ، من أن المرأة ما خلقت بجانب الرجـل إلا لتكون شريكة تبعات وتكاليف من أجل بناء أسرة صالحة سعيدة ، ولم تخلق لتكون خلسة شوارع يعيث بها المارة الهاربون من أحمال بناء الأسرة . أي وعى أن الغاية من عقد الزواج هو مزج أحاسيس الرجـــل والمرأة ومصالحهما ومسؤولياتهما ليذوب أحدهما في الآخر،ذوباناً كلياً من أجل الابقاء على استمرار الحياة ، وتحمل أوزارها الشاقة في تربية الجيل الناشيء ، فأطلق لفظة زوج على كل منهما لتدل على كل ذلك دلالة لغوية صريحة .

وهذا أسمى ما يمكن أن يصل اليه الوعي الإنساني المهذب في أصل وضع اللغة .

وجاء الوحي مؤيداً مثاليات هـذا الوضع الكريم : « هن لباس لكم وأنتم لباس لهن » . وبديهي أن الشخص وألبسته لن يكون اثنين . ومعنى هـذا أن الوحي أيد مثاليات اللغة فجعل الاثنين واحداً . بـــل ضاعف تأييده فجعل أيضاً أحدهما زينـــة للآخر ، ومظهر حرمته وســاتر عوراته ، ومكمّله في أعين الناس .

ولكن جميع هذا التأييد لن يأخذ مكانه المقدس في محراب الوحي ، إلا إذا أوثق عقدة الزواج رضا الطرفين ، فإذا لم يكن رضا ، فإن لفظة زوج تصبح ، ولا مثاليات لها . ولأجل أن تظل لفظة زوج حافظة لكل مثالياتها في صميم عواطف الزوجين وسلوكهما ، حرمت الشريعة الإسلامية أن يقترن المسلم من إمرأة لا يؤمن بأصول دينها ، حتى لا يجرحها فيه لدى المحاق ، فإن تبدل حال المرأة من البدار إلى المحاق ، في أحضان العشرة الطويلة لا تدوم معه شعلة غريزة الاشتهاء التي يسميها ـ الأوادم ـ حباً .

وحينئذ ـ لأوهن الذنوب ـ تنطلق عقارب اللسان من مكامنها ، تنبش قدس عواطف المرأة ، عن عمد ، وعن غير عمد ، تبرماً وملاماً ..

هذا إذا لم يكن في صميم عقيدة الرجل حارس أمين يحول دون ذلك ، كالمسلم بالنسبة لزوجه إذا كانت يهودية أو نصرانية ، ولهذا الغرض عينه حرّم الإسلام على رجاله أن يقترنوا بنساء ، لا يؤمنون بأصول عقائدهن الدينية . كالمشركات اللائي لا كتب سماوية ، لعقائدهن . كما حرّم على نسائه أن يقترن ـ هن بدورهن ـ من رجال لا يؤمنون بأصول الإسلام :

(لَا هُنَّ حِلٌّ لَهُمْ ، وَلَا هُمْ يَحِلُّونَ لَهُنَّ) ٦٠ ـ ١٠

ومن هنا نتبين مثالية التشريع الإسلامي ، وعدله الاجتماعي المطلق ، حيث أباح للمرأة اليهودية أو النصرانية ، أن تقترن بالمسلم ـ ما دامت راضية ـ وإن كانت هي لا تؤمن بأصول دينه ـ وسبب الاباحة هو الاكتفاء بإيمانه هو بأصول دينها ..

هذا هو شرط اباحة زواج المسلم بغير المسلمة . وهذا الشرط هو أبعد ما يسمو اليه التسامح في احترام عاطفة المرأة .

وهذا حق ، فإن الإسلام ما أسقط هذا الشرط في جانب المرأة وحدها إلا اعتماداً على طريقته في التسامح معها ، وانتصاره لها ، في مسائله الشرعية كافة .

والأصل في ذلك أن الرجل يصبر على أذى امرأته عادة ، لأن ثورته يسودها العقل . أما المرأة فثورتها شواظ من نار ، لأن العاطفة وقودها ، والعاطفة مزدوجة في نفسية المرأة ازدواج حاجة المواليد اليها ..

وهنا جمعت الفتاة المسيحية نفسها للانصراف وهي تقول :

« ولكن لا أكاد أتصور أن رجلا مهذباً يسمح لنفسه أن ينال من عاطفة زوجه في أصول دينها ـ ولو لم يكن مؤمناً بها ـ ما داما قد استظلا معاً بأفنان شجرة المودة المتصلة اعراقها باعراق القلب ، ردحاً من الزمان ، وإن لفحها سموم الهلاك ، وأسقط أوراقها الخضراء . اللهم إلا إذا كان وحشاً ، فأجابتها الزميلة المسلمة وهي تصافحها إلى اللقاء .

« الوحوش في هذه الدنيا كثير يا أختاه .

والشرائع لا تسنّ الأفراد أبداً ، ولو لم يشرع منع الاختلاس للحاجة ، لتذرع بها المختلسون : « محترفوا الكسب الآثم » .

* * *

« النصوص اليقينية »

(وَتِلْكَ حُجَّتُنَا آتَيْنَاهَا إِبْرَاهِيمَ عَلَى قَوْمِهِ نَرْفَعُ دَرَجَاتٍ مَنْ نَشَاءُ إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ) ٨٣ . (وَوَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ كُلاًّ هَدَيْنَا وَنُوحاً هَدَيْنَا مِنْ قَبْلُ وَمِنْ ذُرِّيَّتِهِ دَاوُدَ وَسُلَيْمَانَ وَأَيُّوبَ وَيُوسُفَ وَمُوسَى وَهَارُونَ ،وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ) ٨٤ .

وَزَكَرِيَّا وَيَحْيَى وَعِيسَى وَإِلْيَاسَ كُلٌّ مِنَ ٱلصَّالِحِينَ) ٨٥ .

(وَإِسْمَاعِيلَ وَإِلْيَسَعَ وَيُونُسَ وَلُوطاً وَكُلاًّ فَضَّلْنَا عَلَى ٱلْعَالَمِينَ) ٨٦

(وَمِنْ آبَائِهِمْ وَذُرِّيَّاتِهِمْ وَإِخْوَانِهِمْ وَٱجْتَبَيْنَاهُمْ وَهَدَيْنَاهُمْ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ) ٨٧ . سورة الأنعام ـ ٦ ـ

فالإسلام يفرض علينا أن نؤمن بكل رسل الله سواء من ذكرهم في القرآن المجيد أو من لم يذكرهم

(مِنْهُمْ مَنْ قَصَصْنَا عَلَيْكَ وَمِنْهُمْ مَنْ لَمْ نَقْصُصْ) .

(نَزَّلَ عَلَيْكَ ٱلْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقاً لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ ، وَأَنْزَلَ ٱلتَّوْرَاةَ وَٱلْإِنْجِيلَ مِنْ قَبْلُ هُدًى لِلنَّاسِ ..) ٣ ـ ٤

كما يجب الإيمان بكل رسل الله يجب الإيمان بكل كتبه المنزلة .

(وَلَا تَنْكِحُوا ٱلْمُشْرِكَاتِ حَتَّى يُؤْمِنَّ ، وَلَأَمَةٌ مُؤْمِنَةٌ خَيْرٌ مِنْ مُشْرِكَةٍ وَلَوْ أَعْجَبَتْكُمْ . وَلَا تُنْكِحُوا ٱلْمُشْرِكِينَ حَتَّى يُؤْمِنُوا ، وَلَعَبْدٌ مُؤْمِنٌ خَيْرٌ مِنْ مُشْرِكٍ وَلَوْ أَعْجَبَكُمْ) ٢ ـ ٢٢٢

المشركون في عرف الوحي الإلهي هم الذين لا يرجعون في أصول عقائدهم إلى وحي الله ..

(لَا هُنَّ حِلٌّ لَهُمْ ، وَلَا هُمْ يَحِلُّونَ لَهُنَّ وَآتُوهُمْ مَا أَنْفَقُوا وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ أَنْ تَنْكِحُوهُنَّ إِذَا آتَيْتُمُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ . وَلَا

تَمَسِّكُوا بِعِصَمِ ٱلْكَوَافِرِ . وَسْأَلُوا مَا أَنْفَقْتُمْ وَلْيَسْأَلُوا مَا أَنْفَقُوا ذَلِكُمْ حُكْمُ ٱللهِ يَحْكُمُ بَيْنَكُمْ وَٱللهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ) ٦٠ ـ ١٠

وهذه الآية أظهرت أن التزاوج محرّم بين المسلمين والمشركين مطلقاً .. والحقوق تدفع لأصحابها لدى إسلام المشركة أو إشراك المسلمة ..

(وَطَعَامُ ٱلَّذِينَ أُوتُوا ٱلْكِتَابَ حِلٌّ لَكُمْ وَطَعَامُكُمْ حِلٌّ لَهُمْ . وَٱلْمُحْصَنَاتُ مِنَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا ٱلْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ إِذَا آتَيْتُمُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ مُحْصِنِينَ غَيْرَ مُسَافِحِينَ وَلَا مُتَّخِذِي أَخْدَانٍ) ٥ ـ ٥

هذه الآية أظهرت ان الكتابية يجوز التزوج منها ما دامت عفيفة والإحصان العفة لأن الإسلام يحرص على العفة ليعرف الولد لمن ينسب .

(وَمَرْيَمَ ٱبْنَةَ عِمْرَانَ ٱلَّتِي أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا فَنَفَخْنَا فِيهِ مِنْ رُوحِنَا وَصَدَّقَتْ بِكَلِمَاتِ رَبِّهَا وَكُتُبِهِ وَكَانَتْ مِنَ ٱلْقَانِتِينَ) ٦٦ ـ ١٢ .

وهذه الآية أظهرت عفة مريم رضوان الله عليها خلاف ما أذاعه اليهود .

(وَإِذْ قَالَتِ ٱلْمَلَائِكَةُ يَا مَرْيَمُ إِنَّ ٱللهَ ٱصْطَفَاكِ وَطَهَّرَكِ وَٱصْطَفَاكِ عَلَى نِسَاءِ ٱلْعَالَمِينَ) ٣ ـ ٤٣ .

هذه الآية أظهرت مكانة السيدة مريم في الإسلام .

حديث شريف :

« من قال أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وأن محمــــداً عبده ورسوله ، وان عيسى عبد الله وابن أمته وكلمته ألقاها إلى مريم ، وروح منه ، وان الجنة حق ، وان النار حق ، أدخله الله من أيّ أبواب الجنة الثمانية شاء » .

ـ رواه مسلم عن عبادة بن الصامت ـ .

هذا الحديث الشريف بيّن ما يجب على المسلم اعتقاده في سيدنا عيسى المسيح . .

★ ★ ★

التعليل المادي والتعليل الرّوحي

إذا كان انبثاق الكائنات نفسها ، لا يمكن أن يعلل تعليلاً مادياً ، فإن كثيراً من أحداث الكائنات ستظل بعيدة عن العلل المادية . والعناصر ـ مهما كانت بسيطة ـ فلن تخلو من القوى لأن القوى ، هي التي تشكل بأشكالها المختلفة وتعين أعمالها وتطوراتها وامكانتها في الفضاء ، وفق سنن الله عز وجل . أما القوى فقد تكون مجردة عن العناصر . وكل أعمال القوى المنظمة بمنتهى الدقة هي لاستمرار الوجود العام وهي ما يسميها العلماء سنة كونية . وهنا نقطة الخلاف الدقيقة بين الإلهيين والماديين . فالإلهيون يقولون ، ان أعمال السنن الكونية مقصودة والقصد لا يكون إلا عن إدراك ، والسنن ليست مدركة . إذن فلا بد من وجود قوة مدركة مهيمنة على كل السنن هي القاصد ، وهو الله عز وجل . والماديون يقولون ان أعمال السنن غير مقصودة لشيء ما ، بل ليس في الوجود شيء مقصود لشيء ، وما يخاله الناس مقصوداً هو اتفاقات ويأبون أن يسألوا عن الوجود من أوجد ، لأنهم يعتقدون أنه إله نفسه ، ولكن فاتهم ، أنه إله أصم لا يعقل أفعاله ولا يعلم بها وإن كانت تدهش الفطن وتحير العقول . وكون القوى مختلفة ، ولكل قوة سنتها الخاصة أمر لا يحتاج إلى كبير برهان . خذ أي عالم من العوالم المادية، التي تعرفنا اليها في أرضنا ، خذ مثلاً عالم النبات ، واختر بيئته يكون ماؤها وسمادها وشمسها وجوّها واحد ، أي جميع العناصر التغذية وألق فيها بذوراً مختلفة فإنها تخرج بعددها نباتات مختلفة الأشكال

والألوان والطعوم والروائح . وهنا نقول لو كانت قوى النبات متماثلة أي سننها واحدة ، لأدت تلكم البذور وظيفة واحدة . قال الله تعالى :

(وَفِي ٱلْأَرْضِ قِطَعٌ مُتَجَاوِرَاتٌ وَجَنَّاتٌ مِنْ أَعْنَابٍ وَزَرْعٌ وَنَخِيلٌ صِنْوَانٌ وَغَيْرُ صِنْوَانٍ . يُسْقَى بِمَاءٍ وَاحِدٍ وَنُفَضِّلُ بَعْضَهَا عَلَى بَعْضٍ فِي ٱلْأُكُلِ ، إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ) ١٢ ـ ٤

ونهاية القول ، ليس في الامكان أبداً أن نعلل وجود القوى المختلفة ، وسننها المختلفة ، بغير وجود الله . وغريب جداً أن يعلن بعض الماديين الباحثين ، عدم وجود الله في كتاب ضخم ، ويعتبر النظر خارج الكرة الأرضية ضرباً من الشعر كأن الأرض عنده هي الحقيقة وكما عداها خيالات وأوهام ويتخذ من نفس قوى الكائنات التي تؤدي أعمالها لبقاء الوجود العام بكل تنسيق ودقة دليلاً على دعواه كأن قوى الكائنات هي التي وضعت لنفسها تلك السنن المرادة لبقاء الوجود العام . وليس لها صانع مريد هو الذي وضعها لذلك .

وهذه رجعية منكرة إلى العقيدة اليونانية القديمة القائلة بالعقول الكامنة في قوى الطبيعة ، فقط جعلها اليونان عشرة وهذا جعلها بعدد السنن . وأقرب مثل لهذا المادي الباحث ، ما حكى أن عالماً من عوالم الحشرات ، كان يقطن ثقبة صغيرة في جزع شجرة وكانت الحشرات تتحدث عن روادها القدامى ، بأن هذه الثقبة حقيرة بالنسبة للشقوق الكبرى الموجودة في الأرض . بل يوجد من الشقوق ما هو أكبر منها بالملايين وفيها من الحشرات ما لو تناولت الواحدة منها جميع ما في الثقبة لما سد فجوة صغيرة من بطنها . وكان يوجد بينهن حشرة متمردة تجحد ذلك وتعلن جحودها قائلة نحن كل شيء في العالم ، وثقبتنا هي الحقيقة وحدها والحديث عن غيرها هو من خيال شعرائنا . قالوا ومرت حشرة كبيرة بالثقبة ، فسمعت ضجة الحشرات فوقفت ومدت إليهن لسانها .

أما الحشرات فهربن إلى أعماق الثقبة ، وأمامهن الحشرة الباحثة وهي تقول : صدقتن صدقتن .

وإذا كنا نشاهد أحياناً بعض الأحداث الخارقة للسنن المعروفة لنا ، فهي تدل انها خاضعة لسنن أخرى نحن نجهلها إلى اليوم ، والحكم عليها بغير سنتها هو اغراق في التحكم . ولا غرابة إذا عجز العلم المادي عن معرفة القوى المجردة ومعرفة سننها بل الغرابة أن لا يعجز لأنه اعتاد أن يلمس الحقيقة بالآلات ، والحقيقة هنا محال أن تلمس بالآلات . والأمل كبير أن يكشف تقدم العلوم النفسية سنن القوى المجردة وقد توفر على دراستها علماء اخصائيون عباقرة .

وافتراء فاحش على العلم ، أن يحمله بعض صغار المنتسبين اليه ، نكران وجود القوى المجردة العاقلة وغيرها ، ودعواه أن العلم ما وجد آثار هذه القوى ، والحال أن العلم ما يزال مسجوناً بين جدران المادة ، وقليل جداً ما اكتشفه من سنتها بالنسبة لما يجهله منها . مهما علمت عنه فالذي جهلت أكثر ومن السهل أن نعلل الأحداث البعيدة عن سنن المادة تعليلاً مادياً صرفاً ولكن هل يكون تعليلنا هو عين الحقيقة . هذه هي المسألة كما يقولون . ولعل الذين يجحدون أن تكون لعوالم القوى العاقلة وغير العاقلة سنناً أيضاً ينسبون الخوارق التي تصدر عن عوالم القوى الروحية بواسطة رسل الله أو اتباعهم إلى الخرافات أو مبالغات الأجيال أو إلى السحر والشعوذة أي يعللونها بعلل مادية صرفة . وإذا أرادوا أن يحسّنوا الظن بمصدر الخوارق نسبوها إلى قوة الإرادة أو إلى شذوذ قوى الجسم التي صدرت عنه .

ومن رفضهم للسنن الروحية تراهم يعمدون لجميع المعجزات المروية عن رسل الله فيعطونها عللا مادية . فاجتياز سيدنا موسى وقومه البحر ، في زعمهم صادف

آخر جزر البحرين وغرق فرعون وجنوده وافق أول مدّهما ، وقديمـــاً كان البحران البحر الابيض المتوسط والبحر الاحمر يلتقيان في المد ويفترقان في الجزر قريباً من موطن القناة الان .

ويجعلون نهوض المرضى بين يدي سيدنا المسيح والموتى أحياناً ، من أثـــر اشعاع قوى الجسم اشعاعاً غامراً يوقظ قوى الأجسام الخامدة في المرضى ويعطي للموتى الذين لا تزال أجسامهم مستعدة لقبولها . إذا اتجه إليها بعناية خاصة ، الحياة مرة ثانية هذا إذا لم يعللوا الموت نفسه بالاغماء الشديد . كما جعلوا اشباع الطعام القليل لاصحاب سيدنا محمد الكثرين من تأثير شخصيته العظيمة فيهـم . وعزوا إلى تخدير الحواس بالايمان الغامر رؤية المسلمين رجال قريش قليلين وهـم اضعافهم في غزوة بدر . وهكذا يعللون الوحي والملائكة والجن والارواح وجميع الأشياء التي نسميها قوة مجردة وخوارق ببعض السنن المادية المعروفة ولكن يجب أن لا ننسى أن أحداً يسمع هذه العلل وهو مرتاب في صحتها لانها تزيل دهشـة الجهل بالاسباب الصحيحة في نفسه ولا تكشف الحقيقة أبداً . وإنما تزيدنا جهلا على جهلنا وتدل على غرورنا الفاضح بمعارفنا المحدودة ، وهذه غير العلل العلميـة الصحيحة التي تلمسك الحقيقة . ولا يختلف فيهـا إثنان على أن تكذيب تلك الخوارق جمله ، فيه استهانة بالعلم وإعراض عن الحقيقة واغفال لاكبر مشاغـل الانسانية قديماً وحديثاً . ومن المحال أن يلتف الناس حول إنسان ويطيعونـــه الطاعة الصادقة سراً وعلانية ويسخرون لمرضاته المجموعة النفسية التي لا تسخـر بالهين . ويعتنقون تعاليمه ولا ينحرفون عنها قيد شعرة . ويستهينون بالحياة في سبيلها . كل ذلك لانه إنسان تحكمه كل السنن التي تحكمهم وليس له تأيد من وراء المادة. هذا كثير . نعم هذا كثير . وما يقولون اليوم وقد أشرف العلماء على العتبة الأولى من عالم القوى المجردة بعد أن حطموا الذرة والغوها تتحول إلى قوة محض وماذا يقولون وقد أخذ العلم يستفيد من القوى المحضة الشيء الكثير . لا ريب انهم يخجلون ولا ريب أن خجلهم سوف يرد ذوي الضمائر الحية منهم إلى الايمان الصحيح .

نظرة في الكتاب الذي أخرجته إدارة العين العزيزية

كانت جزيرة العرب مروجاً وأنهاراً : وستعود !!

كانت : اما بسبب تداول الخصب والجفاف ، بين القارات ، على تطـاول الحقب . وهذا قول.

واما بسبب التقدم العمراني البصير .. وهذا قول .

ولئن كان قول هؤلاء ، أو قول أولئك ، هو المقدم .. فما يجحد ذو علم ان جزيرة العرب ، كانت في ماضيها مروجاً وأنهاراً ، ومـا يجحد ذو إيمان انها ستعود .. بهذا أنبأنا الصادق الأمين رسول الله ﷺ .

وفي اعتقادي أن جزيرة العرب عمهـا الخصب بنضرة وامراع مرتين . — والثالثة آن أوانها :

١ — مرة حين كانت معطيات الثلوج مغدقة في ربوعها، قبل أن تنقلها دورات الفلك السحيقة إلى الغرب .

٢ — ومرة بيد التقدم العمراني . لأن العلم والعمل والايمان والأمن ، أجنحة الحضارة الصاعدة : —

الأوطان بها تخصب وتزدهر وتتحد وتقوى .

والعمران بها يربو ويتعالى ويمتد .

والجزيرة العربية حين كانت غنية بالعلم والعمل والايمان والأمن . أقامت

السدود وحجزت السيول،وأجرت العيون والأنهار. فشملها الخصب،وازدهرت بها المروج وترعرعت وازدحم العمران وامتد في طولها والعرض، وقدر فيها السير بالأميال والفراسخ. حتى صافح البلاد التي باركها الله عز وجل بالأنبياء. بلاد الشام، وحتى استحقوا أن يتوجهم الله بقوله.

(وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ ٱلْقُرَى ٱلَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا قُرًى ظَاهِرَةً وَقَدَّرْنَا فِيهَا ٱلسَّيْرَ: سِيرُوا فِيهَا لَيَالِيَ وَأَيَّاماً آمِنِين) ٢٤ ـ ١٨

وحين افتقرت من العلم والعمل والايمان والامن، مزقها الجهل أيدي سبا، وانتابها التواني والاهمال. بالاعسار والمحن والفتن وسوء التفاهم حتى التوت عليها لقمة العيش وعسرت وحشنت، وتعطلت وسائل حبس الماء، وصردت جرعاته، فساد الجدب وعم الخراب،وطغى الظلام والكفر، واستبيحت الدماءوالأموال؛ حتى استحقت أن يقول الله فيها:

(فَأَعْرَضُوا فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ سَيْلَ ٱلْعَرِم، وَبَدَّلْنَاهُم بِجَنَّتَيْهِمْ جَنَّتَيْنِ ذَوَاتَيْ أُكُلٍ خَمْطٍ وَأَثْلٍ وَشَيْءٍ مِنْ سِدْرٍ قَلِيل، ذَلِكَ جَزَيْنَاهُمْ بِمَا كَفَرُوا وَهَلْ نُجَازِي إِلَّا ٱلْكَفُور).

إذن فحصر الخصب والجدب في غزارة الماء، أو نضوبه، هو جهل بالواقع: ما دامت يد العلم تجمع الماء القليل فيصبح كثيراً، ويد الجهل تبدد الماء الكثير فيصبح قليلا.

وأكبر شاهد جزيرتنا العربية فقد كانت إلى أيام قريبة جداً، إذا تنقل المسافر بين مدنها فليس له من ماء وزاد وأمن إلا ما يحمله في زاويته وجرابه وسلاحه.

وهذه كانت حال بلادنا قبل أن تسعفها عناية الله، وتسعدهابشمول التوفيق،

في نهضة صقر الجزيرة العربية الملك البطل اليقظ عبد العزيز آل سعود .

اما كانت ممزقة أوزاعاً ، وظمأى ماحلة ، لا ماء بها ولا نبات إلا ما كان ينزح من بقايا ما تمسكه من أمطارها لامساك الرمق .

والان بعزائم البطل الخالد ، وابنه الملك الساهر اليقظان ، واخوته الصيد ، طلعت بشائر النبوة بأضوائها الغامرة ، فقد أخذت هذه الجزيرة العربية تعـود مروجاً وأنهاراً يوماً فيوماً .

وقل لطلاب يقين العلم ، أنتم بين حالين — :

فإن كنتم من ذوي اليسار والفرص المؤاتية فطيروا إلى السعودية ، وشاهدوا ماجد من معالم النهضة الفتية بأعينكم .

وإن كنتم من ذوي الاعسار ، فطالعوا مؤلف : « تاريخ معين العزيزيـة » . وما يكتبه الكاتبون فإنكم تحصون كل ذلك مشاهدة !! ولا تعجبوا إذا قلـت بعيداً عن إدراك النظر .

وهذا مؤلف « تاريخ العين العزيزية » يقدم لكم « جدة » مثلا مشاهـداً في حالتيها : ظامئة من قبل جلب الماء إليها ، وزياً من بعد .. فيقول في حـــال ظمئها ص ١٤ .

« كثير من الاحياء المعاصرين من أدركوا ما كان عليه هذا البلد .

فقد كان

صغير الحجم محصوراً في نطاق سوره « المتداعى » القديم .. الذي يحجـز الهواء ويحول بينه وبين النسمات العذاب .. ويحصر الرطوبة الهابطة من الجو ، والزاحفة عليه من البحر الأحمر — في منازله وشوارعه ، حتى أن المرء ليتبرم من هذه الرطوبة ، ومع صغر البلد ، فقد كان يعاني من استحكام أزمة الماء ، قبل إنجاز مشروع العين .

ولقد كان الناس قلقين حيال مصيرهم بالنسبة لهذه الأزمة الخانقة ، فالأمطار التي تملأ صهاريجهم قد نضبت والكنداسة التي تقطر لهم ما قل من الماء العذب

قد خربت وتعطلت .. ثم يذكر مؤرخ العين أن الناس قد اضطروا أن يجلبوا الماء من مكة إلى جدة في ذلك الوقت .

ويستشهد بقصيدة فكاهية مرحة ، تصور الواقع المحزن الذي كانت عليه جدة ، تصويراً ناطقاً ضاحكاً من نظم الأديب محمد سعيد العتيبي .

يا ذوي الرأي والحجى والكياسة   خلصونا من دوشة الكنداسة
كلكم تأخذون – بالدس – ماءاً   ويجينا البلا من أجل كأسه
لو عطشتم كما عطشنا زعقتم   وهرجتم بشدة وحماسة
رحمة بالفقير فهو ضعيف   يهول الفقر عقله وحواسه
يشترى الماء زفته بريال   بعد أن باع قشه ونحاسه

ويقول في حال ريها وتقدمها الحديث ص ٩

« ... فإن مدينة جدة الرحبة الارجاء ، ذات الحدائق الغناء ، والميادين النضرة الفيحاء ، ذات الشوارع المسفلته المزدانة بأضواء الكهرباء ، وذات العمارات السكنية الشاخة الشبيهة بالمدن الصغيرة ،والدارات – الفلات – المكيفة الهواء المنسقة ، العصرية الطراز. تقوم على أطراف الشوارع المشجرة ، كالعرائس الحسناء ، وذات المعارض المتوهجة بأنوار « النيون » الملون الرائع الجذاب هذه المدينة الكبيرة اليوم والصغيرة بالأمس القريب .. هي في واقعها الحاضر الزاهر مدينة في نموها ، وفي تطورها – بعد الله تعالى للملك المغفور له « عبد العزيز آل سعود » الذي وهبها هذا الكيان المرموق المشرق ، وأخرجها من هوة القلق إلى ميادين البهجة والحبور والسعادة والاطمئنان . وذلك حينما وهبها « العين العزيزية » التي أدخلت إليها روح الحياة وأنقذتها من حرمان مزمن مرير . من الماء العذب النمير ، شريان الحياة ، ومصدر النمو والازدهار والجمال .

مدينة جدة الحديثة باذن هي هبة العين العزيزية . والعين العزيزية هبة الملك الراحل إلى الامة الاسلامية وإلى وطنه وشعبه الوفي الامين والملك الراحل هبة

الانعام الالهي لهذه البلاد ، لكي يجتمع شملها بعد تفرق ، ولكي تتحد بعد تمزق ولكي تتجدد بعد تداع .

فمن هذين المنظرين المتباينين ، تلمس بالخمس مدى الاصلاح الصاعد الذي حققه الملك الراحل ، والملك الحالي واخوته الناهضون الاماجد : من عمران وثقافة وأمن ومودة ووئام وازدهار وشوكة وعزة لهذه البلاد :

وقليل حقاً على ما قدموا ويقدمون من كل ذلك : أن يطلق عليها في المصطلحات الحديثة : « البلاد السعودية » .

وأن يفاخر باعتزاز كل مواطن أصيل من أبنائها، بأنه سعودي كريم شجاع ، يفتدي الدولة والوطن بالمال والنفس .

وهناك جوانب شتى من الخصب ، لها أمجادها ، وتاريخها الحديث ، وهي جد مفتقرة إلى كتبة ماهرين من ذوي الدراية والمعرفة وسعة الاطلاع ، والتمكن من الأدب ، ليخرجوها في مثل هذه الروعة والمعرفة والجدة والبيان الذي أخرجت به مؤلفها « إدارة العين العزيزية بجده » ...

لتكون لشعبهم وللناس جميعاً ، نبراس إيمان وهداية ، وبناء أخلاق ومكارم ، وباعث بطولات وتضحيات وتخطيط أعمال بما أوحى الله للتقدم المطرد من آيات بينات .

وقصر الكتابة والتأليف في مثل هذه الأمجاد الخالدة تشيع في أنفس شبابنا نزعات الخلود والإستقامة والطموح الذي هو مطلب تضحيات البشر الأحياء وأمجادهم ..

ذلك لأن الأيام والليالي لن تخلد البشر الأموات الذين يمرون بالدنيا ، وهم أحلاس نزوات ، وعشراء غواة .. نفقاتهم قاصرة على أجسادهم ، وإنما تخلد المغامرين الاحياء ذوي المرؤة والشرف والعناية والنهوض بامنهم ..

لذلك سيظل الكتاب والمؤرخون يتابعون الكتابة حول أعمال الملك الراحل ما وسعهم البيان ، وأسعفهم الحظ المواتي ..

وقل مفاخراً ان الاعمال التاريخية الكبرى التي صنعها الملك الراحل بكلتا يديه في جزيرة العرب .. لم يحملها زورق لزورق الخليفة ابن المعتز:

صنعه من الفضة ، وحمولته من العنبر ، بل طراد عظيم يشق عباب الازمان شقاً وصنعه من عبقريات الخلود ، وحمولته من الإيمان العميق المركز ، والفكر النير المتعة ، والاخلاق العالية البناءة .

ولئن كان التاريخ يرفع إلى محرابه الخالدين الذين يشيدون صروح الحضارة والإيمان والعلم في أوطانهم ..

فان الملك الراحل سيظل أبداً غار مزدهر لهذه الامة ولا فخر..

وإني لا أزال أذكر كلمة خالدة قالها الزعيم الهندي ، حين زار مصر ،وساله عن أحسن شيء رآه .. فأجاب بحماسة واكبار رأيت النيل وطلعت حرب ..

وإني لو سئلت مثل هذا السؤال عن أحسن ما رأيته في جزيرتنا العربية... لاجبت بمثل هاتيك الحماسة والإكبار ..

« الملك الراحل عبد العزيز آل سعود »

١ : رأيته في شخص ابنه الملك الحالي العبقري « فيصل »وفي أشخاص اخوته طلائع النهضة الحديثة ...

٢ : ورأيته في وثبتها الزراعية والصناعية والثقافية ..

٣ : ورأيته ـ قبل كل شيء من صدق إسلامه العملي ،وإقامته لحدوده المشروعة وأخذه الصارم المقتدر لاعداء الله ،ولكل من يحاول العبث والإفساد والانحراف...

ومن أراد التعرف إلى هذه الحقائق بتوسعة ، فليعد إلى الكتاب الذي أخرجته إدارة العين العزيزية .. وبالحرى في أرقام الصفحات المدونة .

في فهرس الاعلام حول اسم عبد المزيز :

٩ ، ١٠ ، ١١ ، ٢٠ ، ٣٧ ، ٤٧ ، ٥٠ ، ٥٥ ، ٦٧ ، ٧٣ ، ٧٧ ، ١٢٠
١٢٢ ، ١٢٤ ، ١٢٦ ، ١٢٨ ، ١٣٠ ، ١٣٣ ، ١٣٨ ، ١٤٠ ، ١٦٩ ، ١٨٢
١٨، ١٩٨ ، ٢٢٧ ، ٢٦٩ ، ٢٨١ ، ٢٩٦ ، ٣١١ ، ٣٣٣ ، ٣٣٤ ، ٤٤٣ ..

ومهما يكن فهذا نموذج قبسته من موضوعات هذا الكتاب الموفق أعرضه على المطالعين ليحفزهم إلى اقتنائه واستيعاب دراسته لكي ينتشوا بدقة البحث وتمحيص الحقائق . وعمق الاستقصاء ، وتكوينها بريشة الفن السحرية ، في رسوم ناطقة شاهدة بالامانة العلمية وتحري الصدق ..

أما ما لمسته في منظره الخارجي من روعة وإبداع فني عبقري طريف .. فيكفي أن أذكر المطالعين انهم يشاهدون في كل يوم أجد ما تخرجه المؤسسات العلمية والشركات الكبرى في أميركا وأوروبا . من مؤلفات قيمة مبتكرة .

وهؤلاء ، عم الآن يشاهدون كتاب « تاريخ العين العزيزية يجده » الذي أخرجته ادارتها فهل في نظرهم يقل عن هاتيك المؤلفات الغربية الحديثة تنسيقاً ، وتنميقاً وتبويبا ، وسهولة جذابة وفهارس موضوعات واعلام وأماكن ومراجع ...

وأمسك القلم عما وراء المجره من بدائع الصنع ، وغمر الاشراق مما لايزال بكراً .. عن هذا المؤلف البكر ..

وإذا انا لم أحكم كتاب إدارة العين العزيزية بجده خشية ان يظن ذلك من سقطات نعرة العصبية الوطنية ، فإن سواي من النقاد الاجانب ، إذا قارنوا بينه وبين ما يصدر لديهم ، بنزاهة وأمانة وصدق فحتما يحكمون ..

وإنه لا يسعني بعد القيام بكل هاتيك المنجزات التقدمية العظيمة ، الا أن أزهو واعتز برجالها الملتزمين ، بما التزم به نفس المؤسس الاول .. وعلى رأسهم جلالة الملك فيصل ..

وإني أهتف على كل بقاع « آن أوان أن تعود جزيرة العرب مروجاً وأنهـــاراً » .

ولا يسعني قبل أن أطوي الصحيفة إلا أن أكبر السيد عثمان باعثمان الذي هو أبر منتخب لابر منتخب . للنهوض بهذه الوقفية إلى القمة ...

* * *

كلمة حول كتاب
حصاد العيد

حين قدم إليّ الكاتب الرائد المفكر الصديق عبد القدوس الانصاري مؤلفه الادبي الجديد « حصاد العيد » .

كان أول طيف جميل من أطياف الادب الخالد ، أومأ لي وابتسم وهتف ، بيت أمير الشعراء :

حسن أوانـــه كل شـــيء وجمال القريض بعـــد أوانه

هتف أنا هنا في شعر الكاظمي ..

وهذا حق فان الشعر الفني ، جماله خالد في أوانه وبعد أوانه ها هـــو شعر الكاظي وافانا ، يختال اختيال الغادة الحسناء اللعوب ، في رفارف الخلدالنضرة ، وهواة الادب وشداته .

حولها نشاوى مستغرقين يعبون من فجر اشعاعها وسلاف حلاوتها ما طاب من متعها الرائعة الخالدة ...

ويزيد جمالها روعة على روعة سحر اللمحات الساحقة من عينيهـا الدافقتين أمواجاً مكهربة خاطفة للقلوب والالباب ...

ورأيتني ــ وقد خطفني عن أحاسيس المادة الصماء ــ بيان هذا الحصاد المتسلسل من ينبوعيه الغزيرين شعر الكاظمي ونثر الانصارى .

وأحسست كأني استويت به منطاداً ، دقيق الصنعة رائعاً ، وبديع الفن صافياً ، أذرعه طولا وعرضاً ..

وأطل من نوافذ الفاظه ، إلى عوالم مزدهرة وهاجة . من النظم والنثر ،تمور فيها الاطياف السارحة البارحة .

حيث تبتعد وتقترب أفنان الخمائل الباسقة المائدة ...

وحيث تلتقي وتفترق ، وتعلو وتسف أسراب الطيور الصادحة ، ذات الالوان والاشكال ..

وحيث تبدو وتختفي شتى المناظر الملونة هنا وهناك .

وهكذا الشعر الفني الرفيع الخالد ، ألوان وألوان من الجمال والإبداع والسحر وراء الالفاظ والمعاني ...

١ ـ فمنه المعتق الفواح المسكر على تداول الحقب ..

٢ ـ ومنه الطريف الملحق بين مطالع النجوم والضارب بقواربه في لجج الدماء بين المد والجزر بمجدافى الهوى والشباب .

٣ ـ ومنه الوطني الحساس المتفجر بالحنين والذكرات ، ومرابع الصبا ، الخافقة بالظلال النابضة بافراح القلب ، والمنتشية باغاريد العواطف .

٤ ـ ومنه الحر الابي المناضل دون الامجاد، والمعبر عن اصالة، وكبير طموحه السباق ..

٥ ـ ومنه المتنزى آلاما ، والعاتب على نكس الخلان ، وترادف الحرمان...

٦ ـ ومنه الناعت القصور الشماء ، والحدائق الغناء ، والروابي الخضراء وشواطىء البحار ، ومفاتن الليل والنهار والمحلق في الاجواء ، والغازى البروج والافلاك ..

٧ ـ ومنه القاص حوادث الأجيال ، وأخلاق الناس ، ومشارب مداخلهم ومخارجهم وتبادلهم أسباب الوداد والجفاء ، ومناسبات الأفراح والأتراح . في الرواية والملحمة والتمثيل .

هذه عيون الفنون الشعرية التي فاضت بها مواهب شعرائنا المحدثين إلى جانب الاختصاص والامتياز .

وفي شرفة القمة مكان شاعر العرب الكبير ، وشلال شاعريته غامر ويام ويروى على ظماء وظماء .

وهذا عين ما كان منا ، ونحن في بدء دراسة أدبنا العربي العالي ، فقد كنا ننتهز كل فرصة فراغ .

فنجمع وجهتنا إلى المنزل الكريم منزل الكاظمي في مصر الجديدة ، لنعب الشعر العربي الصحيح من مصدره الدافق الهدار ، على حرقة من الأوام.

وكم ازدهتنا قوافيه الرائعة ، وتفوق أسلوبه العذب السلس .

وكم فتنتنا أحلام متعه الزاهية الخافقة ، وراعتنا أعراس قوافيه الراقصة الشادية .

وما اعظم ما ادخر الله من حسنات لكاتبنا الانصاري، حيث قرب لناشئتنا العربية ما بعد عن ألسنتهم وقلوبهم من بيان هذا الشاعر العلم الفذ الذي يصدق عليه بحق ما قاله أمير الشعراء .

رب سلمي البيان نبه شاني ... أنا أسمو إلى نباهة شانه

كان بالسبق والميادين أولى ... لو جرى الحظ في سواء عنانه

وماذا أقول في نثر كاتبنا وهو السهل الممتنع القريب المألوف ، وما أذكر اني هممت في يوم أن أفسر منه مغلقاً ، أو أكشف مبهماً ، مما يمتعنا به من علم وأدب، فبيانه كالجام من البلور الصافي يشف عما يحويه ويدل عليه .

وكلما حاولت أن أتناول فصلا من مؤلفاته ، بالتوضيح ، ألفيته قد كفاني ذلك ، بما وضح هو وابان .

وأولى بنا إذا آثرنا الافادة لشبابنا، أن نهيب بهم أن يلتمسوا ذلك بأنفسهم: فما دونه من غموض ولا ابهام .

وأدباؤنا المواطنون.. يعلمون ذلك مما يكتبه كل يوم ، ولا يرون اسرافاً فيما قلت ، معاذ الله !! أنى يكون الاسراف ؟!! ودلائل الابانة قائمة باسطع ما يكون النور .

وإليك كشاهد مما كتب حول شعر الكاظمي في حنينه إلى وطنه .

« يقول الكاظمي :

هل الدار بعدي كعهدي بها	يباكرها العارض المغدق ؟
أم البين اسلمها للبلى ؟	وعاث بها الذئب والخرنق ؟
احباي هل كلف شيق	يناشده الكلف الشيق ؟
وان خفق البدر ينجو الحمى	نزت كبدي نحوكم تخفق
على حرق أضلعي تلتوى	ومن علق أدمعي تدفق
متى تنجلي طبقات الكرو	ب وينجاب سدف العنا المطبق
ومما رماني بكسر الجفو	ن ولم يخطني سهمه الافوق
فتاة ترجرج في زورق	جرى بدموعي بها الزورق

يقول المؤلف تعليقاً على هذه الأبيات :

« فأنت ترى من الابيات المتقدمة روح الشاعر الرفافه ، تحوم من بعيد حول وطنه الاول ، ويتذكر ، ويذكر أيام شبابه فيه ، وتلك الفتاة التي فتنته ، وهي في زورق من زوارق دجلة يترجرج بها ، وتترجرج فيه ، في نعومتها وجمالها والقها الجذاب .

وكانت اهتزازات الزورق بفعل أمواج النهر الدفاق ، وهذا النهر الدفاق المترجرج مكون من ذرات دموع الشاعر فأمواجه من أمواجها .

هذا تصوير شعري بديع ، وخيال خصب مطيع .

وان ننسى لا ننسى قوله :

« وعاث بها الذئب والخرنق » .

فالخرنق هو الارنب . وهو بهذا يكشف عن نظراته وعبراته . وهو غريب عن دياره العزيزة عليه ، والأثيرة لديه .

وأقول :

« ان في نسبة الافساد إلى الارنب ، بجانب الذئب المفسد بطبعه تأكيد في

شمول الفساد ، وحصوله حتى من الذى لافساد له من طبعه ، وفساده على وزنه .

وذكر الكاتب من قصائد الذكرات هذه الابيات .

ولقـــد حسبت أحبتي	فوجدتهم كثروا وقلوا
وذكرتهم في حين قـــد	نسي الوداد أخ وخـل
والليل شاب قذالـــه	والفجر في الحجرات طفل
تجري الدموع على الصهيل	ومـا لخيل الدمع صهل

وهذه القصيدة من قصائد الذكرات العميقة إلى الوطن الاول ، للشاعـــر « بغداد » عاصمة العراق ودليلنا على ذلك قوله فيها قبل الابيات المتقدمة .

قالوا : سلا أوطانه وأخو الصبابة ليس يسلو

وقوله من ختامها :

ذكراك يا وطن الصبا ذكراي أرحل أم أحل

ويعلق الكاتب على ما استشهد من شعر الكاظمي بهذه الكلمة الجامعة التـي تجعلك تنظر إلى شعره من واقعة ، كما لو كنت تنظر إلى ذاته في صورة .

« وظاهرة الانسجام والسهولة والامتناع واضحة في أبيات الكاظمي السابقة.

وهي سهولة محببة يمتاز بها عن سواه من شعراء عصره كل الامتياز.

... لقد بلغ فيها الذروة ، وفاق البهاء زهيراً ، ولم يصل إلى مستواه فيها ، لا محمد حافظ إبراهيم ، ولا خليل مطران ، ولا الاخطل الصغير أيضاً.

ان شعره في الاغلب الاعم – خال – على وضوحه وجزالته من التعقيد، فهو كالماء الزلال النمير، يكشف لك عما في باطنه بكل جلاء ، أو كالزجاج الشفيف النظيف يريك ما وراءه من داخل نفسه بكل وضوح ، ومع أن أبا العتاهية من الشعراء القدامى الممتازين بهذه السهولة فإنه لم يصل فيها إلى مستوى الكاظمي . والسبب في ذلك أن الكاظمي جمع إلى السهولة السهلة ، الجزالة الجذلة ، وطـول النفس فكان شعره مطلقاً .

وفي شعر أبي العتاهية بعض الاحيان ، شيء من الركالة .. ولم يكن طويل النفس كالكاظمي وكلاهما عراقي ، ومن أجمل قوله في هذه القصيدة وأسهله وأجزله :

يا عين طلك وابل أبداً ووبل سواك طل

وهذا الذي ذكرت من شعر الكاظمي ، ونثر الانصاري . أشعل في أضلعي الحنين إلى الوطن الغالى ، وأمجاده الغابرة التي يفاخر بها ، وينافس الامجاد .

ناهيك باستهلال أمانينا الحسان في طلائع نهضته الحديثة التي تحيط بها البشائر ، ويرفع أعلامها أبطاله الخالدون الذين تمجدهم أعمالهم العظيمة ويبار كهم كبير بإخلاصهم وسامي تضحياتهم .

والذي أحشو له نفسي ، بين يدي هذه الماثر العلمية والادبية التي يشيدها في وطننا الغالي ، كاتبنا الرائد الفذ بإخلاصه وسهره وجهاده .

هو الشكر والتقدير والاعتراف بالجميل .

وهذا كل ما يملكه العلم ، حين تحفزه حوافز الوفاء ، والمروءة والانسانية . لايفاء العاملين المخلصين بعض ما يستحقون .

* * *

المقدّمة لديوان الأنصاريان

١ – العقيقيات

ما هذا ؟!!!

سيل هادر دفاق ، يحتضنه الوادي الخصب الفسيح : « وادي العقيق » .

وما تلك ؟!!!

قصور شماء ، تنعم برغد العيش ، وبالنسيم العبق ، بين الحدائق الغناء ، والمروج الزاهية بالطيف وبألوانه وبجماله وسحره ، وبالسكينة الوادعة الناطقة ،

وما هؤلاء ؟!!!

سلائل المهاجرين والانصار والابطال ، يروحون ويغدون ، نشاوى بمفاتن الطبيعة الضاحكة المرحة ، بين الخمائل الفينانة والنخيل المصطفّة ، كأنها جنود العمالقة ، تومىء إلى تلكم الزمر وتهتف بهم :

« هنا يستريح الانسان ساعة من متاعب الحياة ، وهنا يغتسل من أدرانها ، وهنا ينتشي بأغاريد الطيور ، وهمسات النسائم التي تهب رخاء بين فترة وفترة ، وهنا الجمال يلقاك عرياناً ، يسبح في عباب هذا السيل الدافق ، وهنا الأشواق السحرية تعرج بالقلوب إلى عالم الصفاء ، إلى عالم الأحلام ، إلى عالم المتعة والسعادة » .

انهم قوة بررة أطهار ، لا ريبة في شمائلهم العربية الأبية الكريمة ، وما زلت

أقتفي آثارهم مترنحاً مفتوناً ، تجللهم أفياء النخيل والأشجار الضافيــة الذبول ؛ وتغشاهم نسماتها المختلفة الطيوب .

بعد ألف وثلاثمائة عام ، هناك التقيت بالشاعر الانصاري وهـــو مكتظ بالاحلام ، يرمق السماء طوراً وطوراً يناجي الغمام المنسكب على هــذا الوادي .

أيها الغيم يا ابن مــاء البحار ... لم تبكــي بدمعك المدرار
لم تذق في حياتك البؤس حتى ... تمـلأ الأرض بالدموع الغزارا
لم تذق في حياتك الحب حتى ... يعصف البرح بالفؤاد المطار

فسلم وسلمت .

ثم يلتفت الى اصطخاب عباب العقيق الهادر ، والصخور تتقلب بين يديــه كأنها الاكر ، وهو طلق المحيا غير مكترث ، والحرار الظامئة الوامقة تعانقــه متهللة فرحة بمقدمه شاكية إليه ما أصابها من شحوب ومحل من جــراء هجره .

هذا العقيق وقد همى مترنماً ... يشدو لنا بقطينه وقصوره
هذا العقيق وقد همى متأرجاً ... يشدو لنا بحياته وشعوره
يتوارد الزوار يـــوم وروده ... مستبشرين بفيضه وصدوره
وتراهمو زمراً على حافاته ... يشدو لهم بنظيمـــه ونثيره
هزجـــاً يغنيهم على أوتاره ... وحي الحياة على عروض بحوره
يجلو لهم في وحيــه وغنائه ... معنى السعادة هادئـــاً بهديره
ويعيد في ألحانــه سيراً لمن ... اخنت عليهم سالفات دهوره
ويجيش بالآلام ، كامنة بـــه ... فيصوغها عقداً على مهجوره
يرثى لماضيــه الجميل بشعره ... ويسجل المأساة في تكريره

ويفتن الشاعر ما يوحي العقيق من ذكريات شجية فاتنة ، ومـــا يزيح عن الانفس المكدودة من أشجان ، ويلذ له خريره ، ويحس به بسبب ذلك كأن النشاط يكاد يطير به إلى عوالم جديدة من السحر فيقول :

وانظره يوحي للشجي مباهجاً ويزيح عنه شجونه بخريره
ويعيد للجسم النضيب رواءه ويزيل عن عطفيه عبء فتوره

وما زلت أصحب الشاعر وهو يتجول بين قصور زعماء العرب وبساتينهم ، فطوراً تراه في قصر عروة بن الزبير ، وطورا في بستان والده الزبير بن العوام وأولهما في جنوب الوادي وثانيهما في شماله .

كانت هذه سنة حلوة وساعة إستجمام حالمة ، إستطاع الشاعر أن يختطفها ، ولكن ما أسرع ما تمر السنات وتختفي مباهجها ، وتذبل نضرتها وينضب معينها .

وبدا الواقع وقد هتف هاتف من أعلى أكمه في العقيق :

سنة من كرى وطيف أمان وصحا القلب من ضلال وهجسي
وإذا الدار ما بها من أنيس وإذا القوم ما لهم من محس

فالتفت حيث الرنة المدوية فإذا هو أمير الشعر .

وهنا يرفع الشاعر رأسه مرتاعاً لما شاهد الاطلال الدارسة والربوع الهامدة والحدائق المدبجة الغنَّاء والعيون الغائرة فما وسعه إلى أن يرفع طرفه إلى السماء وهو يقول :

رب ما هذي الطلول الدارسات ؟! أتراها اندرست من فتن ؟!
رب ما هذي العيون اليابسات ؟! أتراها يبست من حزن ؟!
رب ما هذي الربوع العابسات ؟! أتراها عبست من شجن ؟!
ذكريات مثلت لي في العقيق ! خفق القلب لها من وصب .
حبست الامها دمعي الطليق رب حزن حابس للندب

٢ – التأمليات

التأملات لا تعطي وحدها الحكمة،بل لا بد من الوعي والذكاء والملاحظة. وما دمنا قد تجولنا في حدائق وادي العقيق مع شاعرنا ، وشاهدنا مباهج ماضي العقيق ، ومآسي حاضره المتحرك إلى الحياة ، واستعادة الأمجاد ، فمن أدب الصحبة أن نسير مع الشاعر بعد ذلك في تأملاته في الحياة :

ها هو ذا يرفع لنا الستار ، عن حفلة ساهرة راقصة في عالم السحر والجمال في عالم الأحلام ، في عالم الكواكب – يرفعه بقوله :

في احتضار الظلام في مولد الفجـ	ـر على منبر التأمل شاعر
ورمى نظرة إلى الافق يكسى	طليسانا من زاهر النور باهر
ورنا للنجوم وهي نشاوى	رافعات فوق السحاب منابر
راعه أن يقمن ثم احتفالا	راقصاً فهي في حماة سواهر
ناضرات الوجوه يرشفن ضوءاً	من فم البدر ضاحكات سوافر

وما أسرع ما انتهت هذه الليلة الساهرة بين رقص النجوم وتدلل القمر المنير . وانتقل شاعرنا من هذا الموقف ، يتأمل البواعث الخفية لأعمال البشر .. ها هوذا يعرض علينا اخلاط الزمرويكاد يلمسنا خفي أخلاقهم الحسنة والسيئة، في قصيدته « بداية شاعر ونهايته » ، ان مطلعها يلمسك نضرة الشعر، وأفراحه وأغانيه الكريمة المهذبة ، وتهاويل خياله المبدع وأمانيه العذاب .

والقطعة التي تلي المطلع تبين لك ما يثيره الطموح الشعري من سمو في الخيال ونزوع إلى المجد . وتجد الشاعر يقص علينا في القطعة الثالثة كيف وفّى الشاعر بوعد الشعر ونذره ، وكيف كان ينتظر أن يلقي من المجتمع جزاء التقدير الذي يتخيل أنه يستحقه من العالم ولكنك تحس في القطعة الرابعة والتي

تليها أن الشاعر أخفق في أمانيه كل الاخفاق . ومن ثم آثر العزلة وظل منطوياً على نفسه متبرماً من الحياة حتى لقى المنية مغتبطاً بوصوله للحقيقة المغشاة بالغرور والاثرة ، والكبرياء والأوهام الزائفة . والوصول إلى الحقيقة ليس بالقليل أبداً .

وتجد في حقل التأمل القصيدة التي يعرض فيها الشاعر تجاربه عرضاً أقل ما فيه أنه يمنح الشباب الوعي والحذر والفطنة وينير له الطريق .. أجل عرض تجاربه في القصيدتين اللتين أنهى بهما تأملياته ، هذا واني لو أردت أن أبسط القول في حقول هذا الديوان لأضعت على القارىء جهد التحليل والنظر .



تأثير الثقافة

صحبته في رحلة ورحلة ، وكنت في كل مرة أزداد إيماناً بطيب شمائله وسمو آدابه وسعة ثقافته ، وإيماناً بوقد لهفته إلى قطف جنا العلم وان مس سرحه السماء .

وشاهدته لا يهبط مدينة إلا وأول عمل يباشره ـ قبل سكونه إلى الراحة ـ الذهاب تواً إلى المكاتب العامة الرسمية والخاصة للبحث والتنقيب عن ألوان جديدة من المعرفة .

وكم كان فرح مديرة مكتبة المخطوطات الظاهرية في دمشق السيدة أسماء الحمصي حين زار المكتبة ، وأخذ يتفقد الاسفار ويدرسها دراسة دقيقة وقد نسفت المكتبة كمدينة لها طرقها الخاصة وأزقتها الضيقة ، فهذا طريق الفقه ، وذاك زقاق التاريخ ، وثالث معد للحديث ورابع للمصاحف والتفسير . وهكذا انطوى في هذه المدينة الصغيرة العالم الأكبر . ومهما يكن شأنها فهي أحفل من مدن الاحياء بالحياة ، وسر الحياة الخلود ، فإن زال زالت وقد افتتن بها ، وعهد إلى السيدة أسماء أن تأخذ له بعض الصور الشمسية لبعض المخطوطات فلبت بخلق كريم ماجد ، واخالها أدركت أن اخوتها أبناء الجزيرة العربية النبلاء قد وثبوا وثبتهم الصاعدة المرتقبة إلى القمة . وانهم اعتزموا أن يشيدوا أمجادهم فوق أنوف الأعداء بعزائمهم بتضحياتهم بإراداتهم الحرة ، بصدق إيمانهم وإخلاصهم . وان أنضر الساعات لديهم وأزهاها هي الساعة التي ينفقونها من أجل ذلك .

والذي أكد لها هذا .. هو اهتمام هذا الباحث المهذب المتحفز بكل إمكانياته لدراسة المخطوطات القديمة ، التي هي أرفع مواريث العروبة والاسلام .

وهل توزن عظمة الشعوب وأمجادها في مختلف أدوارها التاريخية إلا بموازين العلم وما تترك من مواريثه للناس جميعاً . وهل للامة من روح قوي يصرع الموت ويغالب الداء ويكسب الشوكة والشباب الدائم سوى العلم ، ولن تباد أمة عالمة ذات أخلاق كريمة أبداً .

وحين زرنا المجمع العلمي بعد ذلك واجتمعنا إلى المؤلف البحاثة الأستاذ عمر كحالة ، تحدثنا أحاديث الثقافة وخضنا في ذكر المجامع والجامعات ، وذيوع الطباعة والصحافة والتأليف وما يكسبه من حياة حرة مجيدة ذات شوكة مرهوبة . قال الاستاذ عمر : « انه يدرك عظمة وأقدار الأمم العلمية ، بمثل هذه الزيارات التي يقوم بها الوافدرن بطواعية للتعرف الى صروح العلم وذويه » .

وهذا حق فاني أجد في صميم عواصمنا العربية المكاتب الخاصة بالمؤلفات الأجنبية ، وإنها لا تقل عن المكاتب العربية ذاتها . وهذا يدل أن الشعوب الراقية كان رقيها بتفوقها العلمي أولاً وأخيراً . وانك تجد وفودها حتى في رحلات الاستجمام لا يَدعون المطالعة وابتياع الاسفار العلمية الجديدة والأدبية الراقية المهذبة ، ولهذا لا تكاد تدخل مطاراً من مطارات العالم الكبرى إلا رأيت فيه باعة الكتب والصحف والمجلات باللغاة الغربية . وفي يوم سألت الوراق في مكتبة مطار بيروت الدولي : لم لا يضم إلى المكتبة نخبة من الكتب العربية الحديثة . فقال : ما حز في نفسي وجعلني أسى وأنكس رأسي خجلا : « ان أول عمل التاجر هو جلب السلع النافقة وعرضها للربح . فلو كانت المؤلفات العربية الحديثة لها سوق نافقة هنا لجلبنا منها الكثير . قف ساعة وانظر من هم الذين يسعون إلى المكتبة من هؤلاء المسافرين الوافدين أو الظاعنين الا تشاهدهم جميعاً من الغربيين أو ممن استظهروا ثقافتهم » .

وما رأيت في فريق – يرون العلم ، سبب حياة وثروة ، ومجد فن وصناعة ، ووسيلة فذة وكرامة وأساس شوكة وتفوق ، وباعث كفاية ورفاهية ، في عصرنا هذا – ما رأيته في الغربيين .

وما خلت أمة من الأشواق العلمية الحافزة المضحيـــة إلا التهمتها النزوات الشاعلة وتخاطفتها الأدواء حتى تجعلها أثراً بعد عين .

ومن أنعم نظرة في الأمم البائدة عرف يقيناً أن أفراد الامم إذا لم ينصرفوا إلى أشواق العلم وأمجاده انصرفوا إلى الشهوات المنحطـة التي تحمل في تضاعيف لذاتها المهالك المحتومة .

وهذا شأن كل فرد في كل عصر ومصر ، إذا لم تشتغل بمجموعته النفسيـــة بالنافع الحي من الأمجاد اشتغل بالضار القاتل من الرذائل . وتوثب إليها بسعير اللهفة الفاتكة كالمريض بالاستسقاء يهلك بعبء الماء وهو ظمآن .

ورفيقي الصديق من عرفه عن كثب عرف فيـه الشعب الحديث في جزيرة العرب وفي المملكة العربية السعودية بالذات ، فالفرد هو مرآة الأمة . وصورتها . فمن أراد أن يتعرف إلى وضع أمة وأخلاقها وقيمتها فليراقب أعمال أفرادها . واني كمواطن وصديق لم يكن إعجابي به بأكثر من عجب الآخرين الذين عرفوه عن كثب . فهو لم يكن مقتصراً على حماسته في ارتياد منابع المعرفة في كل بلدة ينزلها بل هو إلى جانب ذلك يسارع في دراسة مـــا يصل إلى يده ويتعمقه فهماً ووعياً ونقداً .

وكم أبصرته وهو يطالع ما يبتاع من مؤلفات جديدة يسجل على هوامشهـا تعاليقه الكاشفة للاخطاء ان وجدها . والموضحة نواحي الاجادة والعمـــق ، وسوى ذلك مما يعني به كاتب عالم مثله .

واذكر أن الفضول جرني في يوم من أيام رحلتنا فسألته عن صنيعه هذا – لاني أعرف من الخلان من يبتاع المؤلفات الجديدة بلهفة لا للمطالعـــة والدرس

والنقد ، إنما لتكون بعض الزينة في منزله ـ فقال : « ان تعليقاتي على المؤلفات هي قوام حديثي عنها ، أعودُ إليها لدى الوقت المناسب فأذيعه ».

وكان جل مطالعاته ليلاً حين يخلو بنفسه ، وأكثر ما رأيته ينظم في الهزيع الآخر من الليل وشأنه فيما يكتب شأن المرتجل لا يكثر من معاودة النسخ والنظر من طرس إلى طرس مرة ومرة ثقة بنفسه ، ولعل مداولة الانتاج واستمراره ومناسبات العصر اكسبته السرعة في البراعة والوفرة في الانتاج .

وحين وافينا عاصمة الأردن ـ عمان ـ طلب إلى الدليل المتبرع الذي رافقنا أن ينزلنا فندقاً ممتازاً ، فأنزلنا « فندق بالاس » فأودعنا حقائبنا في الحجرة التي خصصت لنا ، وكان الوقت أصيلاً فسارع وطلب صديقه رئيس المحكمة الكبرى في الأردن الشيخ محمد فال ، الذي خف مستقبلا مستبشراً فاعتنقا طويلاً . وتذكرا صباهما في طيبة المباركة وهما يتبادلان كلمات العاطفة المخلصة الوفية ، ثم طلب إليه أن يزيره المكاتب العامة ، لأن غرضه من رحلته هو الاطلاع على تطور الثقافة في البلاد التي ينزل بها قبل الاستجمام . والعواصم الكبرى تزدان بالمكاتب الكبرى والمجامع والجامعات والمصانع ، وكل ذلك آية التحليق الصاعد الحضاري لشعبها .

وطوف بنا بعض المكاتب الكبرى وكان الليل أدركنا فاضطرنا أن نكف . وهنا أبى الصديق الشيخ محمد فال باصرار أن نعود إلى الفندق قبل أن يمتعنا بمناظر العاصمة الحديثة التي شمخت فوق ثلاثة عشر جبلا كأنها الطاووس بسط جناحيه الكبيرين فوق ثلاثة عشر فرخاً . فأذعنّا لحتمية الأمر وجالت بنا السيارة من جبل إلى جبل ، وبدت لنا العاصمة من هنا ومن هنا زاهية الالوان ، مختلفة الاشكال ساحرة في صروحها وحدائقها فاتنة في شوارعها المتسقة وميادينها المتسعة وأضوائها الساطعة .

وما زلنا في الطاف الاستاذ ، وبشاشة محياه وسحر حديثه ، وجميل شرحه

لمباهج العاصمة وغرائبها وعجائبها مما ضاعف بهجتنا وكان هو في أنفسنا أحد آيات جمالها وبدائعها .

وعدنا إلى الفندق ، وعلى الرغم من حاجتنا إلى الراحة قضينا فيه ليلة ليلاء شدت أنجمها بأمراس كتان إلى جبال عمان . وما غفوت إلا سحراً ، ومن عجب اني فتحت مقلتي أثر رجة عنيفة في الحجرة المجاورة ، وإذا بالرفيق الصديق آخذ في نظم هذه القصيدة الرائعة التي جعلتني ألمس ليلتنا الساهدة القلقة في فندق « بالاس » ماثلة بكل ألوانها مثولاً فنياً سهلاً ممتعاً . حتى نسيت ما لقيت بعد سماعها ، وإليك هي : —

فندق قد نزلت فيه أصيلاً	بعد سير قضيته ملتاحا
ونشدنا به ارتياحاً ونوماً	هادئاً نجتوي به الأتراحا
وصفوة لنا وقالوا: « علي »	فقصدناه مفعمين انشراحا
فلقينا به العناء وسهدا	وبعوضا وضجة ونباحا
كل باب يصيح ان فتحوه	وإذا أغلقوه أنّ وصاحا
وصنابيره طوال الليالي	مرسلات،لا قفل،لا مفتاحا
«بسط» فيه قد أكل الدهر	عليها وجبهـــا واستباحا
قد أصيبت أطرافها باهتراء	وعراها البلى الملح صراحا
وأصيبت أحشاءهن بفتق »	مزمنفازدهى«البلاط»ولاحا
قد سمعنا فيه الاذان عشاءا	وسمعناه بالمكان صباحا

. . .

دأب نزاله «الكرام» ضجيج	وعجيج قد أشبعوه صياحا
ما لمسنا فيه ارتياحا مساءا	وصباحا لم نلق فيه ارتياحا

وفي الصباح استأنفنا رحلتنا إلى الخليل ثم بيت لحم ، وحين عدنا إلى عمان في المساء قصدنا « فندق فيلادلفيا » الذي هو ثاني اثنين فيها . وقضينا فيه ليلة

ناعمة وادعة واستمتعنا فيه بكل مفاتن الحضارة الخيرة ، وتناولنا ألذ الطعام وأشهاه . والفندق يطل على حديقة غناء منسقة تنسيقاً حديثاً . وفيها بركة تنصب فيها المياه من كل جانب ، وشاهدنا فيها بعض السابحين ، وعلى حافاتها شعب الاشجار حانية على مقاعد جميلة مريحة هزازة والوصفاء يحملون ألوان المرطبات إلى الجالسين،وإلى جانبهم انصاب الرياضة وحبالها وعقودهاومعارجها وأثقالها ومناضدها واكرها .

وباكرنا في النوم لما أصابنا من المتاعب وحين نهضت لصلاة الفجر فإذا بالرفيق الصديق قد سبقني إلى ذلك ، وإذا هو قد نظم قصيدة جديدة في وصف ليلتنا هذه الممتعة في فندق فيلادلفيا وما فيه من أسباب الفن والحضارة والمتعة والجمال ومن أراد أن يشاركنا متعتنا في عالم الفن وأن يشرف على فندق « فيلادلفيا » فليطل عليه من شرفة قصيدته هذه ، فاني كلما تاقت نفسي الى نزول هذا الفندق الماتع أعود إليها وأنشدها حالماً مسحوراً وهذه هي : —

ونزلنا من بعد « بالاس »ـ«فيلا ... دلفيا » الفندق الرفيع الشأن
قد نعمنا فيه بنوم لذيذ .. ... واطرحنا اعباء ما قد نعاني
وطعمنا فيه « غذاءا » شهيا ... في أوان تزهو بكل أوان
لم يرعنا فيه بعوض ولا سم ... د ولا ضجة من « الجنان »
« غرف » في روائها تشرح النف ... س وترجى الهناء للانسان
ان فنا من « الديكور » بديعا ... نسقتة هنا يد الفنان

• • •

« سرر » قد زهت بنور لطيف ... هو فيض من البدور الحواني
و « خزاناته » تميس بهاءا ... في « فسانين » لونها الارجواني
صامتات « أبوابه » هادئات ... كهدوء المتيم الولهان
لم تكن في أنين تلك التي في ... « بلس » إذ تعج مثل «السواني»

و « المرايا » مصقولة باسمات ... همها فتنة العذارى الرواني
و « كراسيه » ظباء كناس ... ضامرات الخصور والأبدان
« مصعد » فاخر وأضواء بدر ... تتدلى وهنا بكل مكان
«بسط » تشبه الحدائق وشياً ... وجمالا رفافة الالوان
وهنا « هاتف » يسرك منه ... انه هاتف بفعل البنان
وهنا « مسبح » حبته جمالا ... « بركة البحتري » رب البيان
قد مكثنا فيه مساءا وصبحا ... وارتحلنا بالبر من « عمان »

والان أجد اللهفة آخذة طريقها في أنفس المواطنين لمعرفة الرفيق الصديق الذي أتحدث عنه . ومعذرتي إليهم أن المعرَّف لا يعرَّف، وما هو بنكرة حتى يفتقر إلى تعريف المعرِّفين وله في نفس كل مواطن صورة كريمه رفافه .

الا أنه علم من أعلام النهضة الحديثة في جزيرة العرب وركن من أركان الشعب السعودي وله من أدبه الرائع وثمار فكره الوقاد ، تلكم الصورة الرفافه الواضحة التي تجعلك تهتف قائلاً : « انه عبد القدوس الانصاري » .



البيت الحرام

(وَإِذْ جَعَلْنَا ٱلْبَيْتَ مَثَابَةً لِلنَّاسِ وَأَمْناً) ٢ ــ ١٢٥

يا لله ما أعظم هذه المكانة ، فقد جعل الله بيته المحرم مرجعاً لكل قاصديه من البشر ، وأمنا لهم عامة ، وأمناً لأهل جزيرة العرب خاصة .

كما جعله منطلقاً لدعوة الايمان اليقيني المصفى من أوضــار الوثنية والشرك . ووقائع التاريخ تؤكد ذلك .

تؤكد أن الله جعل بيته المحرم ظلال أمن سابغة لأهــل جزيرة العرب ، ولمن قصده بإيمان وخير من كل فجاج الأرض ، أما من قصده بالحاد وشر فكل أهوال الويل تحيق به .

انظر ما فعل الله بالاحباش الذين غزوا جزيرة العرب من اليمن ، واعتزموا تقويض البيت الحرام ، وإبداله بالقليس ..

ألم يرسل الله عليهم جموع الطيور التي رمتهم بحجارة من السجيل الموبوء. فإذا هم رمم بالية قذرة نتنة كورق الشجر الذي راثته الدواب .

ألم يسلط عليهم البطل المناضل سيف بن ذي يزن الذي طــرد البقية الباقية منهم بعد حادثة الفيل ، ورد الأمر إلى نصابه .

ألم يكن كل هذا النصر الذي تم في جزيرة العرب ويتم أبداً هو ببركة البيت الحرام الذي تضمه جزيرة العرب إلى صدرها وببركة مولد خير الأنام الذي هــو إنسان عينها .

ألم يكن من أجل التعريف بشرف البيت الحرام الامن وبشرف حل رسول الله ﷺ فيه ، أوحى الله قسمه المعجز المتحدي ليكون أبداً عظمة واعتبـاراً للغافلين المستهترين . بسم الله الرحمن الرحيم .

(لاَ أُقْسِمُ بِهَذَا ٱلْبَلَد ، وَأَنتَ حِلٌّ بِهَذَا ٱلْبَلَد) ٩٠ ـــ ١

وقسم الله جل جلاله إنذار لكل من تسول له نفسه بأحداث فتنة ، وإعلام بمآتي امجاد لم تكن في الحسبان . وذخر معجزات دفاقة صارخة مشاهدة لمسها العلماء الاعلام لمـــا أصبحت قبلة للناس كافة ، يتوجهون اليه في صلواتهم حيث يكونون في الشرق أو الغرب أو على سطح القمر أو في أي عالم سواه .

(وَمِنْ حَيْثُ خَرَجْتَ فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ ، وَإِنَّهُ لَلْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ ، وَمَا ٱللهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُون) ٢ ـــ ١٤٩

ومعجزة معجزات القسم هذا يتجلى قبل كل شيء في توحيد الألوهية لله رب العالمين الخالق لكل شيء من مادة أو طـــاقة ، وفي تحرير التوجه اليه لدى كل عباده .

وَجَّهْتُ وَجْهِيَ لِلهِ الَّذِي فَطَرَ السَّمَوَاتِ وَٱلْأَرْض حَنِيفـــاً مُسْلِماً ، وَمَـــا أَنَا مِنَ ٱلْمُشْرِكِين ، إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلهِ رَبِّ ٱلْعَالَمِين ، لَاشَرِيكَ لَهُ وَبِذَلِكَ أُمِرْتُ ، وَأَنَا مِنَ ٱلْمُسْلِمِين .

وما فرضت وحدة القبلة لدى الصلوات الا لتسويـــة الصفوف ، وتوحيد القلوب ، والبعد عن المخالفات والمباينات .

ولما تسربت هرطقات القرمطية وأساطيرها وترهاتها إلى جزيرة العرب ، وتفاقمت واستشرت نياتهم الهدامة البطاشة في غفلة المؤمنين الصـادقين عنهم . وآن أوان تطهير جزيرة العرب منهم وصغار تفكيرهم ، زين لهم الشيطان غزو البيت الحرام ، وسلب الحجر الأسود الذي هو علم لبداية الطواف ونهايته ..

فكان عدوانهم المجرم ذلك على البيت الحرام سبباً في تطهير جزيرة العرب منهم . ومن هرطقاتهم وأساطيرهم ..

وهذا معلن ومؤكد في يقين وحي الله عز وجل .

(إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا ، وَيَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ ٱللهِ وَٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ الَّذِي جَعَلْنَاهُ لِلنَّاسِ ، سَوَاءً ٱلْعَاكِفُ فِيـــهِ وَٱلْبَادِ ، وَمَنْ يُرِدْ فِيهِ بِإِلْحَادٍ بِظُلْمٍ نُذِقْهُ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ) ٢٢ ـ ٢٥

ووقائع التاريخ تؤكد ذلك صارخة منذرة ، ومـا توجه احد إلى جزيرة العرب ، يريد إيقاع الخلف والفتنة بين أهلها ، وتأليبهم ضـــد الاسلام باسم الاسلام ، وترويع الأمن في البيت الحرام إلا أذاقه الله فجائع بأسه المرعبـــة المدمرة حتماً حتماً . (انـ بطش ربك لشديد) .

ومرت حلقات سلسلة الزمان على أمـــة جزيرة العرب مرورها على الأمم سواها وجلاجل الوحدة والاجتماع والتفاهم ترن رنينها المقـدس في كل مكان ، ولدى كل أمة .

وما كان يخطر في حسبان أمـــة العرب أن يندس بينهم من يحوكون الفتن العمياء بأصابع العنصرية المتـآمرة حتى يجعلوهم يقصفون معالم نهضتهم الاسلامية بأيديهـم لا بأيدي سواهم أي يحمسون بعضهم بعضهم ضـد بعض حتى ينحروا أنفسهم بأيديهم لا بأيدي سواهم .

أجل مرت حلقات الزمان متتابعة ، بعد حادثة القرامطة ، وظـــل أمن البيت الحرام وقداسته في رعاية الإيمـــان دون مساس . إلا ما شذ من انحراف شخص أو شخصين من أجيال ثم من أجيال حتى قامت هـذه النهضة السعودية الحديثة في جزيرة العرب ، فوحدت كلمتها ولمت شملها الممزق ، وزهتها نضرة الجماعة ، وسماحة التفاهم وقوامة المصلحة العامة ونشوة الأمن والأمانة على يـد صقرها المغامر المجاهد الصابر الملك عبد العزيز آل سعود . وكان خاتم وحي الله هو الحكم والحاكم وكان ما آتاه الله من قوة وحنكة ونفاذ كلمة مسخرات لذلك.

ولمس أبناء الجزيرة العربية كافة اقدار هذه النهضة المقدسة ، ونطقت مثلها العليا في أعمالهم وتفجرت في قلوبهم ينابيعها السماوية الصافية .

وهؤلاء هم يوالون في التحليق بمصاعدهـا إلى قمم فوق قمم وإلى عزة فوق عزة وإلى شوكة فوق شوكة وإلى خلود فوق خلود ، وإلى جهـــاد فوق جهاد وإلى تضحية فوق تضحية .

وهم ناعمون في ظلال إمنة البيت الحرام تغشاهم مواسم حجيجه ، ونوابغ وفوده البررة ، وسبحاتُ السماء تفيض عليهـم أي فيضـــان لدى ضراعات أرواحهم ، وخشوع صلواتهم وحنـان تلاواتهم وارسال الملائكة الكرام تمسح قلوبهم بأجنحتها لدى كل فجر فرحة مستبشرة بمواكبهم الضارعة في المسجـــد الحرام . حتى كان أول فجر في القرن الرابع عشر الهجري وأنفاس المصلحـين تزدحم وتختلط طهراً وذكاة وأمناً وإيماناً في المسجـد الحرام ... وإذا بعصابة مجرمة مسلحة ، تشعل الفتنة النائمة وتطلق نيرانها ، وتفتك بالأبرياء . .

أيـن أيـن . . .

يا سبحان الله أفي نفس المسجد الحرام كان ذلك . يا هول الفجيعة التي ستنزل

بهم .. يا هولها يا هولها لعلهم لم يتعظوا بالعذاب الأليم الذي سحق من استخفوا بحرمات المسجد الحرام من قبل .. لعلهم ...

لو كانوا من السعداء لاتعظوا بهم والسعيد من يوعظ بغـيره .. ولكنهم من الأشقياء والشقي من وعظ بنفســـه . هكذا قال خاتم رسل الله صلوات الله وسلامــه عليه ..

ولكن عظة الأشقياء بأنفسهم .. لا تقوم اعوجاجاً ، ولا تصلح فســاداً ، ولا توجه إلى خير ولا تكف عن شر لأنها لا تنقذ من التهلكة .

والسبب أنها تجيء متأخرة بعد فوت زمن الافادة من الاتعاظ المجدي بها .

ولا يفوت زمن الاتعاظ المجدي بها إلا نتيجة الاستخفاف بها ، وعـــدم الاكتراث لها إذا شوهدت وهي تنزل بالغير . ولا تزيد في تفكيرهم عن منظر من مناظر التلفاز .

وهــــذا شأن هؤلاء النفر الذين أجرموا في حق أنفسهم اجراماً أكبر من اجرامهم في حق أمتهم ودولتهم ...

... ويا ويلتاه على القطعــان الذين انساقوا وراءهم إلى المسلخ دون أن يظفروا بهاد يهديهم إلى سواء الطريق .

حسبنا الله حسبنا الله . انها فتنة دم ونار ، وكيد ودهاء كان الهـدف من تدبيرها وانفاذها تقويض معالم النهضة والقضاء على كل مقومات الحضـــارة ، وازالة أسباب رغـــد الحياة لا في السعودية وحدها بل لدى كل دول الجزيرة العربية . والغاية المتوخاة من وراء ذلك هو إعادة العرب بـــل والمسلمين إلى التخلف والخلف والتناحر الوحشي واثارة خصومات الطفولة السياسية ، وإيقاد نيرانها هنا وهناك وهنالك . الحمد لله ألف ألف مرة .

والحق أن الدولة ليست هي المقصودة بالفتنة بالذات بل أمة جزيرة العرب كافة . ونهضتها الإسلامية الإنسانية العالية التي أخذت تظهر مكانتها وضرورتها للمفكرين لدى أمم الحضارة الحديثة ..

ولكن لما كانت الدولة هي القيمة الساهرة على بناء هذه الحضارة الإسلامية العظيمة والذود عنها والدعوة لها ، وجهت الضربة الأولى إلى جنودها الأبطال الفدائيين .. في المسجد الحرام ، الذي هو محل قدس الدولة وعلى رأسها جلالة الملك رعاه الله وولي عهده الأمين وسائر الأمراء والقادة والأمة بأسرها العربية والإسلامية .

ولو كانت الفتنة خارج المسجد الحرام لما استغرق القضاء عليها ساعة ورحم الله الإمام علي وكرّم الله وجهه فقد كان يوصي الجنود أن لا يبدءوا أحداً بالقتال . لأن المبتدي باغ وعلى الباغي تدور الدوائر .

والبغاة أبداً منهزمون ، وندمهم بعد الهزيمة والقدرة عليهم لا ينفع ولو تابوا قبل الهزيمة والقدرة عليهم لنفع .

ولو آمنوا بقول الله في سورة المائدة لما أقدموا على هول هذا البغي الذي أقدموا عليه .

(إِنَّمَا جَزَاءُ ٱلَّذِينَ يُحَارِبُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَسْعَوْنَ فِي ٱلْأَرْضِ فَسَاداً أَنْ يُقَتَّلُوا أَوْ يُصَلَّبُوا أَوْ تُقَطَّعَ أَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُمْ مِنْ خِلَافٍ أَوْ يُنْفَوْا مِنَ ٱلْأَرْضِ ذَلِكَ لَهُمْ خِزْيٌ فِي ٱلدُّنْيَا وَلَهُمْ فِي ٱلْآخِرَةِ

عَذَابٌ عَظِيمٌ . إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا مِنْ قَبْلِ أَنْ تَقْدِرُوا عَلَيْهِمْ فَاعْلَمُوا أَنَّ ٱللّٰهَ غَفُورٌ رَحِيم) ٥ ــ ٣٣ ــ ٣٤

وان الشاعر العربي القديم يقول وكأنه شاهد ما حصل في زمننا هذا فقال :

ندم البغاة ولات ساعة مندم والبغي مرتع مبتغيه وخيم



مجد العزلة

حين اعتزل الناس الكاتب الفرنسي الشهير « برناردين دي سان » قال .

« إن العزلة جبل عال تريني قمته الناس صغاراً » .

لا ريب إن العزلة شيء عظيم ، ما دمت تعتزل الناس لتنفع الناس. والعزلة تكسب صاحبها معية الله ، ما دامت في التقوى والإحسان والنفع العام :

(إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوْا وَٱلَّذِينَ هُمْ مُحْسِنُونَ) .

والعزلة هي لباب لباب الحياة ، هي بصيرتها النافذة وضياؤها الساطع ، وحقيقتها الناطقة ، وبيانها الفني الرفيع ، ومجاليها في عالم الصفاء والحق والنور والسعادة .

والعزلة نداء بلا صوت ، وإعلان بلا جرس ، وفكرة بلا نفس وجمال بلا ريب ، وعلم بلا معلم .. وعطاء مد وغيث عميم ونبت ونبات ، وظل ظليل ، من حر الحياة ، ونهم أطماعها ولفحات نزواتها .

والعزلة ينابيع أضواء ثرة دفاقة .. لا مقطوعة ولا ممنوعة وري بعد ظمأ ينضح من الأظافر .

١ – وعزلة الانسان لخير الانسان سبع طباق من الهدى والطهر والسمو .

٢ – وعزلة الانسان لشر الانسان أغوار ظلمات من الدسائس ، والمؤامرات والأراجيف ، وفتنة وبلاء ما فوقها فتنة وبلاء ولكل من العزلتين ثمار ، ومن ثمارهم تعرفونهم .

وبرناردين :

اعتزل الناس لينفع الناس : أي أن عزلته ليست غاية لنفع نفسه وحدهـا بالعبادة والتطهر من خبائث المجتمع وانحرافاته ورعوناته .. العزلة التي يأوي إليها العباد في الكهوف ومخارم الجبال وبعض سراديب الأودية والتكايا والزوايا .. ولا فراراً بنفسه من تكاليف الدعوة إلى الله ، وتضحياتها .. العزلة التي يؤثرها ذوو النزوات الشاعلة المفتونين .

لا لا .. إنما عزلته .. !! العزلة الفنية الأدبية التي يتفرغ فيها الأديب العبقري الفنان للسمو بالأدب والفن السمو الممكن والعمل بجد للاصلاح . وهو الذي قال :

« إن العزلة جبل عال تريني قمته .!! ولفظة القمة إلماع أنـه ارتقى إلى مكان من السمو يشار إليه .. ارتقى إليه بعزيمته وجده وإنسانيته وأدبه وفنه .. !!

وأما قوله : « تريني قمته الناس صغاراً إشارة إلى طبيعة جماهير البشر ، أنهم يتهافتون على الاطماع ، ويتحاقدون من أجل صغائر الحياة الفانية ، وجيف الأرض المنتنة وحطامها البالي .

لذلك لا بد للفنان الأديب، والعالم المصلح أن يعمل للسمو بالجماهير إلى المكان الذي ارتقى إليه ، وهذا خير ما يقدمه الانسان لأخيه الانسان .

وهل يكون الانسان إنساناً ، إلا إذا جاء على هذا النمط المثالي الذي عرضه للناس في رواية الفضيلة . إنسانية عالية ، وإيمان حق ، وقناعة راضية وعمل دائب ؟!

.. وهل يكون الأديب أديباً فناناً مصلحاً ناهضاً باللغة والأدب ، إلا إذا كان على هذا المستوى الشامخ الشامخ الذي ارتقى إليه «برناردين دي سان بيير» .؟!!

ألا إن هذا المستوى العارم الشامخ هو الذي رفعه خاتم رسل الله صلوات الله وسلامه عليه في غار حراء .. يوم أفهم البشرية كافة .. أن العزلة المثالية العالية هي التي تكون إعداداً لتصفية النفس وزكاتها من أجل الإصلاح والنهضة

والهدى والايمان والسمو بالتشريع وبمكارم الاخلاق ، وهدم الظلم والظالمين ، ومحاربة عبادة غير الله رب العالمين .

وهذا المستوى الشامخ العظيم الشأن هو ثمرة العزلة النبوية الكريمة أما العزلة لدفن الانسان نفسه حيـاً إلى نهاية العمر وتطهيرها وحدها دون الناس ، فليست من ثمرات العزلة النبوية الكريمة ، ولا من أهدافها واتجاهاتها .. ولا من طريقهـا ..

ومهما يكن فالهدف الحقيقي من العزلة النبوية الكريمة هي أن يخرج المعتزل إلى الناس ، لينفع الناس ، والذين يستطيعون أن ينفعوا الناس إذا اعتزلوهم . هم نوابـــغ العلماء المفكرين ، وعباقرة الأدباء المشهورين ، والبارزون من الفنانين والنبوغ في العلم ، والعبقرية في الأدب ، والبروز في الفن . لا بد له لبلوغ القمـة الشامخة والأوج العالي من جهد وسهر ودرس متواصل وصبر ..

أجل لا بد لتحقيق بلوغ القمة الشامخة ، والأوج العالي ، وتحقيق أمجـــاد الخلود . من ركوب الصعاب تلو الصعاب ، والمتاعب تلو المتاعب .

دون النبوغ وأوجه : ما لا تعد من الصعاب فإذا بلغت الأوج : كنت الشمس تهزأ بالضباب .

* * *

محاورة بين مدرّس وطالبات الشهادة المتوسّطة

قلن : — « اثر كلمة مختصرة عن اعجاز القرآن الادبي » .

— « هب أن مفكرة حرة أمينة على العلم نشأت في أوروبة أو أمريكا ، وهب أنها لا تحسن لغة العرب . لتستوعب إعجاز القرآن الادبي .

وهب انها تريد بكل إمكانياتها العلمية الطامحة ، أن تدرس واقع إعجاز القرآن. فهل فيه براهين أخرى؟ ! سوى برهان الاعجاز الأدبي يمكن أن تترجم لها » .

قلت : — « معجزات القرآن شتى ، وهي جديدة في كل جيل ، وفي قدرة العلماء أن يكتشفوها . إذ يستحيل أن ينزل خالق الوجود وحياً ، ولا يجعل فيه ، دلائل عيان من العلم المحض وانها لوافرة في القرآن ، وانها لفي معركة التحدي المسلح . ولن تخلو عددها المتفوقة من أية سورة منه وإن قصرت .

وما دامت الانسانية في صعود مطرد ، إلى واقع معارف الوجود . وما دام قلمها في كل جيل يسطر منها ما يسطر . وما دام روح القدس نادى بهذه الحقيقة في أول سورة نزل بها على الداعي الأول في غار حراء — مستقر تحنثه — .

بسم الله الرحمن الرحيم : (إِقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ ٱلَّذِي خَلَقَ ، خَلَقَ ٱلْإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ ، إِقْرَأْ وَرَبُّكَ ٱلْأَكْرَمُ ، ٱلَّذِي عَلَّمَ بِٱلْقَلَمِ ، عَلَّمَ ٱلْإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ) .

فيكون وضع ما هو كاف واف للاقناع العلمي ، محتوماً في القرآن . ومما تفرضه طبيعة المنازلة الأبدية . وهذا شأن الله في تأييد رسالاته السماوية: « لئلاّ يَكونَ للنّاسِ عَلى اللهِ حُجّةٌ بعْدَ الرُّسُلِ » ٤ – ١٦٤ .

ولم نذهب بعيداً ؟!! فهذا ربع ياسين بين أيديكن ، وطلبت إلى إحداهن أن تقرأ فقرأت .

بسم الله الرحمن الرحيم : (يس ، وَٱلْقُرْآنِ ٱلْحَكِيمِ ، إِنَّكَ لَمِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ ، عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ، تَنْزِيلَ ٱلْعَزِيزِ ٱلرَّحِيمِ) ٣٦ – ٦ .

ياسين ما أكرم هذا النداء الإلهي !! وكم فيه من تنويه بكمال إنسانية رسول الله . « صلوات الله وسلامه عليه » .

فما كل من لبس هذه السورة الادمية توجد فيه خصائص الانسانية كاملة حتى يستحق أن ينادي من قبل الحق عز وجل بانسان .

يناديه ويقسم له مؤكداً انه لمن رسله الكرام . وإنه لعلى طريق مستقيم لا عوج فيه . رغم جحود قومه العنيف ، وقولهم له : – « لست مرسلا » . وربما سألتن : – « هل خالق الوجود يقسم ويؤكد ؟!! وبمن ؟!! ولمن ؟!!.

فالجواب بين . يقسم بأسرار قدرته الخفية في المقسم بـه ، وبما ذخر فيه من منافع ومعارف لمن يريد أن يوجهوا طاقاتهم العقلية والعلمية إلى كشف هاتيك الأسرار ، والاهتداء بدلائلها إلى سعادة الايمان .

ولو لم يضع خالق الوجود العظيم في ايات القرآن المجيد كل البراهين العلمية القطعية الدالة على أنه كلامه لما أقامه حجة على الخلق أجمعين وتحداهم به هم ومن يشهدون لهم بالألوهية مجتمعين .

(قُلْ لَئِنِ ٱجْتَمَعَتِ ٱلإِنْسُ وَٱلْجِنُّ عَلَى أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِ هَـٰذَا ٱلْقُرْآنِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ ، وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا) ١٧ – ٨٨

(وَإِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِمَّا نَزَّلْنَا عَلَى عَبْدِنَا فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِنْ مِثْلِهِ ، وَادْعُوا شُهَدَاءَكُمْ مِنْ دُونِ اللهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ، فَإِنْ لَمْ تَفْعَلُوا وَلَنْ تَفْعَلُوا فَاتَّقُوا النَّارَ الَّتِي وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ) ٢ ـ ٢٣ .

بل لكان القسم به ، والتحدي به تورطاً ما بعده تورط . وإذا كان الانسان الذي يجهل الغيب يتحاشى فضيحة التورط فيما يعلنه للناس فهل يعقل أن علام الغيوب يرضاها لكلامه .

ومهما يكن فالتحدي بالقرآن قائم والمرتابون بين أمرين ، اما أن يستطيعوا واما أن يعجزوا .. فإن استطاعوا يصبح القسم به والتحدي به ، من مهازل العقل والعلم والواقع وإذا عجزوا – وهذا الذي كان ويكون – فإن استمرارهم في غي الريب من المكابرة والمكابرة يرفضها العقل والعلم والواقع .

والآن أقدم إليكن نبذةمن معجزات هذه السورة،وأومأت إلى طالبة منهن فتلت .

(وَآيَةٌ لَهُمُ الْأَرْضُ الْمَيْتَةُ أَحْيَيْنَاهَا وَأَخْرَجْنَا مِنْهَا حَبًّا فَمِنْهُ يَأْكُلُونَ ، وَفَجَّرْنَا فِيهَا مِنَ الْعُيُونِ ، لِيَأْكُلُوا مِنْ ثَمَرِهِ ، وَمَا عَمِلَتْهُ أَيْدِيهِمْ أَفَلَا يَشْكُرُونَ) .

لا ريب أن طروء الحياة على الأرض، بعد أن كانت ميتة آية كونية كبرى، وبالحرى طروء الحياة الانسانية العاقلة . التي يقول الله فيها :

(هَلْ أَتَى عَلَى الْإِنْسَانِ حِينٌ مِنَ الدَّهْرِ لَمْ يَكُنْ شَيْئًا مَذْكُوراً) ٧٦ – ١ .

وهكذا نجد القرآن المجيد أوضح في طائفة من آياته هذه الحقيقة من قبل أن يكتشف العلماء أن الأرض كانت كتلة من النار ، وأن الحياة طرأت عليها ، بعد أن بردت قشرتها ، مستدلين بالحمم التي تقذفها بقايا البراكين المشتعلة ، من آن إلى آن .

وفي قوله تعالى :

(وَفَجَّرْنَا فِيهَا مِنَ ٱلْعُيُونِ لِيَأْكُلُوا مِنْ ثَمَرِهِ ، وَمَا عَمِلَتْهُ أَيْدِيهِمْ أَفَلاَ يَشْكُرُون) ٣٦ - ٣٤ .

بيان لأثر الماء الكبير في الحياة .

وفي القرآن الكريم آيات أخرى تعين أن الماء قوام الحياة ، وعلة وجودها ، فقد جاء :

(وَجَعَلْنَا مِنَ ٱلْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ) . ٢١ - ٣٠

وقد جاء :

(إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمٰوَاتِ وَٱلْأَرْضِ ، وَٱخْتِلاَفِ ٱللَّيْلِ وَالنَّهَارِ ، وَٱلْفُلْكِ الَّتِي تَجْرِي فِي ٱلْبَحْرِ بِمَا يَنْفَعُ النَّاسَ وَمَا أَنْزَلَ ٱللهُ مِنَ السَّمَاءِ مِنْ مَاءٍ فَأَحْيَا بِهِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا ، وَبَثَّ فِيهَا مِنْ كُلِّ دَابَّةٍ ، وَتَصْرِيفِ الرِياحِ وَالسَّحَابِ ٱلْمُسَخَّرِ بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَعْقِلُون) ٢ - ١٦٤ .

وبعد ذلك تابعت الطالبة التلاوة : —

(سُبْحَانَ الَّذِي خَلَقَ الأَزْوَاجَ كُلَّهَا ، مِمَّا تُنْبِتُ الْأَرْضُ

وَمِنْ أَنْفُسِهِمْ وَمِمَّا لَا يَعْلَمُونَ) .

هذه الاية تكشف أن مسألة الزوجين – الموجب والسالب – ليست خاصة بعالم الحيوان أو بعلم النبات بل هي حقيقة أيضاً في عوالم أخرى يجهلها الناس .

والذين كذبوا ذلك قديماً إنما كان تكذيبهم ناتجاً عن جهلهم بأدوار معجزات القرآن وظهور تأويل الآيات المناسبة لتلك الادوار . وما كان تكذيبهم ليضر أحداً سواهم لأن المؤمنين بالقرآن يعلمون يقيناً أن معجزاته ليست من خصائص عصر بعينه حتى إذا لم تظهر كان تكذيب من العلم .

ومن أجل أن لا نقع في مثل هذه الأخطاء أنذر الله المكذبين الذين يسلفون الاستهزاء إعتماداً على الجهل والظنون والتقاليد ولم ينتظروا مجيء تأويل الآيات التي فهموا منها غير واقعها المقصود لزمنه الخاص. وعملهم هذا عين الفساد أنذرهم بقوله :

(وَمَا يَتَّبِعُ أَكْثَرُهُمْ إِلَّا ظَنًّا ، إِنَّ الظَّنَّ لَا يُغْنِي مِنَ الْحَقِّ شَيْئًا إِنَّ اللهَ عَلِيمٌ بِمَا يَفْعَلُونَ ، وَمَا كَانَ هَذَا الْقُرْآنُ أَنْ يُفْتَرَى مِنْ دُونِ اللهِ وَلَكِنْ تَصْدِيقَ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ الْكِتَابِ لَا رَيْبَ فِيهِ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ ، أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ قُلْ فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِثْلِهِ وَادْعُوا مَنِ اسْتَطَعْتُمْ مِنْ دُونِ اللهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ، بَلْ كَذَّبُوا بِمَا لَمْ يُحِيطُوا بِعِلْمِهِ وَلَمَّا يَأْتِهِمْ تَأْوِيلُهُ كَذَلِكَ كَذَّبَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَانْظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الظَّالِمِينَ ، وَمِنْهُمْ مَنْ يُؤْمِنُ بِهِ وَمِنْهُمْ مَنْ لَا يُؤْمِنُ بِهِ وَرَبُّكَ أَعْلَمُ بِالْمُفْسِدِينَ) ١٠ ـ ٣٥

وبقولـــه :

(فَقَدْ كَذَّبُوا فَسَيَأْتِيهِمْ أَنْبَاءُ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُون) . ٢٦-٦

والأنباء العلمية التي أعلنت وجود الزوجين في العوالم التي ما كان أحد يعلم بها من قبل كعالم الكهرباء وعالم الذرة أتت أتت. وإذا لسان العلم ولسان الوحي ينطقان معاً .

(وَمِنْ كُلِّ شَيْءٍ خَلَقْنَا زَوْجَيْنِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُون) ٥١-٤٩ .

• • •

هل تترجم معجزات القرآن إلى لغة أخرى

توطئـــة

هذا العنوان فحوى سؤال وجهته إلى إحدى معلمات المدارس الثانوية ، التي كنت أدرس فيها . وأردفت قائلة : « وإن كان ذلك ممكناً ، فإن المخلوق يصبح قادراً أن يصنع في لغة أخرى ما صنعه الخالق العظيم في لغة العرب ، وإذا لم يكن ذلك ممكناً فكيف يتسنى للاجانب الذين يترجم القرآن إلى لغاتهم إن يؤمنوا بأنه كلام رب العالمين ، وقد خلا من المعجزات التي هي الدلائل العلمية القطعية وأقصد إيمان المثقفين المؤيد بطمأنينة الواقع العلمي الذي يهيمن على الإرادة المتمردة ويوجهها إلى الأذعان له ، بقناعة ورضا .. لا إيمان الجماهير التقليدي المبني على الظنون والأوهام المتجمد كجليد القطب ..

وأخيراً لا تنس ان القرآن هو معجزة الاسلام الاصيلة التي يدور عليها تبليغ الدعوة والإيمان ، في كل عصر ومصر .

وفي هذه الكلمة الجواب مفصلا ...

القرآن معجزة الأديان السماوية كافة

الرسالة السماوية ، لا بد لها من معجزة كبرى تثبت انها سماوية. اثباتاً لا يخالطه ريب ، على تداول الأجيال . والمعجزة الكبرى : هي التي تكون عين البرهان العلمي القطعي المشاهد . وإذا لم تكن كذلك ، فتكون نسبة الدين إلى السماء

ظنيه . والظن لا يعطي اليقين العلمي . وفي ذلك يقول الله عز وجل :

(وَمَا لَهُمْ بِهِ مِنْ عِلْمٍ إِنْ يَتَّبِعُونَ إِلاَّ الظَّنَّ وَإِنَّ الظَّنَّ لاَ يُغْنِي مِنَ ٱلْحَقِّ شَيْئًا) ٥٣ ـ ٢٩ .

لذلك جعل الخالق العظيم « القرآن المجيد » معجزة الاسلام الكبرى الناطقة بصدق ارساله سيدنا محمد ﷺ . ولولا ان جهله كذلك لما أقسم به في الرد على منكري صدق الرسالة من كفار قريش ومن كان على شاكلتهم ظلماً وعدواناً :

(يس ، وَٱلْقُرْآنِ ٱلْحَكِيمِ ، إِنَّكَ لَمِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ، عَلَىٰ صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ، تَنْزِيلُ ٱلْعَزِيزِ ٱلرَّحِيمِ) ٣٦ ـ ٦

ولو لم يكن الخالق العظيم أودع في القرآن المجيد من البراهين العلمية اليقينية التي تثبت انه كلامه الازلي المعجز لما قسم به ، ولما تحدى به الأجيال ...

١ ـ لأن القسم به وهو خال من البراهين اليقينية التي تثبت انه كلامه جلا وعز يكون مهزلة .

٢ ـ ولان التحدي بمثل هذا الاستفزاز المجلجل الصارخ، وبمثل هذه الاستطالة المنازلة في صدر كل ميدان .

وبمثل هذا الاعلان المؤكد حتمية الاخفاق ، ولو كان علماء الثقلين هم المتحدين وقد آزرهم ما يدينون لهم بالقدرة الخارقة : من آلهة وسواها .. لا يكون من باب المجازفة والتهويل .

أنى يكون كذلك ، وباب التحدي مفتوح على مصراعيه إلى يوم القيامة والدعوة عامة والهزيمة مؤكدة ، والمؤكد هو المتحدي نفسه ،هو الخالق العظيم. أنظر وتعمق وابحث واعلم ، ثم آمن وحذار أن تجحد وأنت أعمى وسطحي وغير مطلع وجاهل :

(يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِمَّا نَزَّلْنَا عَلَى عَبْدِنَا فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِنْ مِثْلِهِ وَادْعُوا شُهَدَاءَكُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ فَإِنْ لَمْ تَفْعَلُوا ، وَلَنْ تَفْعَلُوا فَاتَّقُوا النَّارَ الَّتِي وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ) ٢ - ٢٣[١] .

والنهاية أن القرآن حجة الله الكبرى في الأرض وان خاتم رسل الله حين أسلمه إلى الناس أسلمه بهذا الاعتبار ، وطلب إليهم أن يكونوا منصفين لا يسارعون في التكذيب قبل درسه بحرية وعلم وخبر . لأن الله أودع فيه الآيات الكافية ، ووعد أنه سيريهم إياها ، وسيعرفونها :

(إِنَّمَا أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ رَبَّ هَذِهِ الْبَلْدَةِ الَّذِي حَرَّمَهَا ، وَلَهُ كُلُّ شَيْءٍ ، وَأُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْمُسْلِمِينَ ، وَأَنْ أَتْلُو الْقُرْآنَ ، فَمَنِ اهْتَدَى فَإِنَّمَا يَهْتَدِي لِنَفْسِهِ ، وَمَنْ ضَلَّ فَقُلْ إِنَّمَا أَنَا مِنَ الْمُنْذِرِينَ ، وَقُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ سَيُرِيكُمْ آيَاتِهِ فَتَعْرِفُونَهَا ، وَمَا رَبُّكَ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ) ٢٧ ـ ٩٣ .

(قَدْ جَاءَكُمْ بَصَائِرُ مِنْ رَبِّكُمْ ، فَمَنْ أَبْصَرَ فَلِنَفْسِهِ ، وَمَنْ عَمِيَ فَعَلَيْهَا ، وَمَا أَنَا عَلَيْكُمْ بِحَفِيظٍ ، وَكَذَلِكَ نُصَرِّفُ الْآيَاتِ

---

(١) لا كفر اكبر من جحود الواقع العلمي المشاهد وتقديم الإيمان بالظنون والأوهام عليه .

وَلِيَقُولُوا دَرَسْتَ وَلِنُبَيِّنَهُ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ) ٦ ـ ١٠٥ [(١)]

والحق أن كل رسالة دينية لا بد لها من حجه يعقلها الناس ليؤمنوا .. وفي ذلك يقول رسول الله ﷺ : في الحديث الذي رواه البخاري : « ما من الأنبياء نبي إلا أعطي ما مثله آمن عليه البشر ، وإنما كان الذي أوتيته وحياً أوحاه الله إلي ، فأرجو أن أكون أكثرهم تابعاً » .

وهكذا نجد رسول الله ﷺ يبين لنا أن الوحي ذاته هو معجزته ولا ريب أن الطريق الوحيد إلى كشف معجزة الوحي هو العلم. والعلم أبداً في نمو واطراد وصعود وتجدد ، ومن جراء ذلك يكثر ظهور اعجاز الوحي كلما تقدم العلم وبالتالي يكثر الاتباع الصادقون. أما أتباع المسايرة التي تقتضيها ظروف المعيشة لدى بعض الفئات الدينية في بعض البيئات التي طغي عليها الحاد العلم ، وغرور المادة والاستهتار بالقيم والايمان بالدنيا ، والكفر بالاخرة ، فانهم في عين الايمان اليقيني ، ليسوا أتباعاً ، بل هم منافقون ، والنفاق كفر وزيادة ، والزيادة هو الكذب في التظاهر بالايمان، لذلك كان المنافقون في الدرك الأسفل من الاخلاق، وفي الدرك الاسفل في النار . ومقصوده عليه الصلاة والسلام أن الايمان الديني العلمي اليقيني لا يوجد إلا في القرآن : والاهتداء إليه في القرآن يكون من ناحيتين :

١ ـ ناحية الاسلوب المعجز وألفاظه المختارة لذلك .

٢ ـ ناحية المعاني المشتملة على اغراس المعارف الصاعدة الرائدة في طليعة كل حضارة تقدمية متجددة إلى غير نهاية .

---

(١) فالعلماء هم الذين يستطيعون التعرف الى المعجزات العلمية ، فمنهم من يؤمن لما يعرف ومنهم من يؤثر الكفر فيزعم ان خاتم الانبياء درس في جامعات الرومان والفرس ، ويسل لهم هل كان مثل هذا العلم في تلكم الجامعات ، هيهات ، هيهات .

والذي نفيد من ذلك أن القرآن كما أثبت الاسلام في عقيدتنا اثباتاً علمياً قطعياً لا يطاله ريب أثبت أصول الأديان السماوية كافة :

(إِنَّا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ كَمَا أَوْحَيْنَا إِلَى نُوحٍ وَالنَّبِيِّينَ مِنْ بَعْدِهِ وَأَوْحَيْنَا إِلَى إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطَ وَعِيسَى وَأَيُّوبَ وَيُونُسَ وَهَارُونَ وَسُلَيْمَانَ وَآتَيْنَا دَاوُدَ زَبُورًا ، وَرُسُلاً قَدْ قَصَصْنَاهُمْ عَلَيْكَ وَرُسُلاً لَمْ نَقْصُصْهُمْ عَلَيْكَ وَكَلَّمَ اللهُ تَكْلِيما) ٤ ـــ ١٦٤ ـ ١٦٥ .

لذلك كان القرآن بحق « معجزة الأديان السماويةعامة ومعجزة الاسلام خاصة . أما الخوارق التي تتناقلها الأجيال فإنها لدى أهل الأديان الوثنية أكثر وأضخم ـ تفوق الجبال طولاً ـ والعبرة بالتواتر العلمي القطعي المقترن بالاثبات العلمي الذاتي والتحدي المعجز .

إذا لو جاء إليك أهل الأرض قاطبة وقدموا لك كتاباً ، وقالوا : هذا كلام الله عز وجل تلقته الأجيال عن فلان بالتواتر العلمي القطعي الذي يستحيل معه الافتراء والوضع . وكان الكتاب العلمي الذاتي والتحدي المعجز الذي يصدق النسبة العظيمة فانك ترفض نسبته إلى الخالق العظيم .ولو تيقنت نسبته إلى الفلان من الوجهه العلمية المحضة .

والعلماء الراسخون الذين اطمأنوا يقيناً ان القرآن كلام رب العالمين لم يطمئنوا ـ لأنه وصل اليهم بالتواتر العلمي القطعي فحسب . بل لأنه يشتمل على الإثبات العلمي القطعي والتحدي المعجز . إنه كلام رب العالمين ... ولو وجدوه كتاب خرافات وأساطير ومضحكات لطرحوه أرضاً ، ولم يقيموا لتواتره القطعي أي اعتبار .

وهنا يدرك القراء المثقفون — أن لا خلف بين العلماء — في أن القرآن معجزة الاسلام الكبرى لما سلف بيانه وقد اقتصرت عليه ، لأني وجدته قائماً شاهداً بالعلم والحق والصدق .. يملأ صدر المجامع العلمية ومكاتب الدرس بين سمع العلماء وأبصارهم ...

وإلا فهناك الف معجزة ومعجزة مروية لإثبات رسالة سيدنا محمد صلوات الله وسلامه عليه — مبسوطة في كتب السنة الصحاح ، وفي السير قد توفر العلماء الراسخون على بسطها وجمعها مؤلفات قيمة والتعليق عليها .. قديماً وحديثاً .

ولم أتعرض لذكرها في هذه الكلمة لأني في مقام الحديث عن معجزة الاسلام الكبرى « القرآن المجيد » .



معجزات القرآن العلمية

مصدر القرآن ومصدر الوجود واحد : هو الخالق العظيم عز وجل وكما يجد العالم المفكر دارس عـــوالم الوجود الكثيرة من الدلائل القطعية الناطقة بجلال مصدره . كذلك يجد العالم المتحرر دارس ســور القرآن الكثيرة من المعجزات العلمية اليقينية الناطقة بأنه كلام الخالق العظيم عز وجل .

وما دامت الإنسانية في كل يوم ، تعلم من معارف الوجود الجديدة ، مالم تكن تعلم من قبل : كما أكدت ذلك أوائل آيات الوحي المنزلة على خـــاتم رسل الله صلوات الله وسلامه عليه .

(إِقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ ، خَلَقَ ٱلْإِنسَـــانَ مِنْ عَلَقٍ ، إِقْرَأْ وَرَبُّكَ ٱلْأَكْرَمُ الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ عَلَّمَ ٱلْإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ) .

هذا هو الواقع فالانسانية في كل يوم تطرح من أساطير خلق الوجود وخرافاته وظنونه التي ما زالت تهيمن على العقول الرجعية المتخلفة بمقدار ما يكتشف العلم من حقـــائقه .

وهذا شأن القرآن المجيد فإن معجزاته العلمية الحديثة التي ظهرت للعلماء العاكفين على دراسته جعلتهم يطرحون الظنون والأوهام والاسرائليات والاقاصيص التي دست على تأويله ، لأنهم يعلمون علم اليقين ان الخالق العظيم أودع في العوالم من العجائب صنو ما أودع في كلامه ، ولو كنا بمجال نصوص التحدي لاعلناها .

وهكذا كلما اكتشف العلم الجديد من حقائق اكتشف مثلها من حقائق معجزات القرآن . .

وهذا الواقع ادركه الكاتب الاميركي والعالم الطبيعي « أوليفر وندل » إذ يقول : « كلما تقدمت العلوم ضاقت بينها وبين حقائق الوحي شقـة الخلاف ، فالفهم الحقيقى للعلوم يدعو إلى زيادة الإيمان بالله . . »

والسبب ان المعارف الإنسانية تجد لتكشف حقائق الكائنات وهى لا تزال على الشاطىء وفي كل جيل تقترب من الأعماق قليلاً . ولا ريب ان مـا يكتشفه العلم من حقائق العوالم السابحة في الفضاء ، يكتشف مثله من حقائق وحى الله التكويني ومعجزاتـه الخفية ، التى كانت ـ إلى زمن قريب ـ مجهولة أو مخالفة للعلم في نظر السطحيين الذين خالوا ما وصل اليه القدماء من الإغريق وسواهم من صبابة المعرفة ، هى كل أعماق المعرفة . وإني أريد في هذه الكلمة الموجـــزة أن أقدم بعض أيات التكوين المشتملة على المعجزات العلمية المذخورة لأجيالنا الحديثة لتعلم لدى دراستها انه منزل من خالق الوجود ، عز وجل .

وإني أريد أن ألفت نظر الدارسين ان الخالق العظيم ، افهم البشرية منذفجر القرآن انه يشتمل على معجزات للمستقبل كافية لإقناع من يريد الإقناع من علماء كل جيل إلى يوم القيامة .

ولن يكون ذلك افتراءاً من الدارسين المؤمنين للقرآن ،قصد دعمه من الوجهة العلمية فالقرآن غير مفتقر إلى من يدعمه بالإفتراء ومن يفعل ذلك فهو ملعون منبوذ من القرآن وأهله . وهذه بعض النصوص القطعية التى وردت في هذا الصدد . . .

(سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي ٱلْآفَاقِ ، وَفِي أَنْفُسِهِمْ حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ ، أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيد) ٤١ ـ ٥٣ .

(إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِلْعَالَمِينَ (٨٧) وَلَتَعْلَمُنَّ نَبَأَهُ بَعْدَ حِين) ٣٨ ـــ ٨٨ .

(وَكَذَلِكَ نُصَرِّفُ الْآيَاتِ ، وَلِيَقُولُوا دَرَسْتَ وَلِنُبَيِّنَهُ لِقَوْمٍ يَعْلَمُون) ٦ ـ ١٠٥ .

فمعجزات القرآن العلمية مذخورة للعلماء الدارسين ، الذين يرفضون الايمان التقليدي ويرونه إساءة بالغة إلى العقل والعلم، ومناكرة للتقدم الحضاري الصاعد.

المعجزات العلمية في القرآن : ـ

المعجزات العلمية المودعة في القرآن كثيرة جداً ، وقد كشف التقدم العلمى الحديث جانباً كبيراً من معجزات القرآن العلمية ، وان تقديمها كافة يستغرق سفراً ضخماً ، وهناك جانب أكبر ، لا يزال مطوياً في الحجب ، ينتظر أزمنة انكشافه الآتية المعينة في عالم الغيب .

ولن أحاول في هذه الكلمة الموجزة ان أعرض ما سبق عرضه بأقلام علماء الكاتبين في شتى الصحف والمؤلفات في الشرق والغرب خلا ما وجد من صور وألوان هى أوثق في العلم وأدل على الاعجاز وأوضح في كشف الاسرار وأزهى وأشرق .

ولقد اضحكنى وأبكاني محاضراً جاءت الفاظه كفقاقيع الماء، خالية من كل شيء إلا الهواء أو كرغاء البعير جلجة عجماء في عطن . إذ يقول :

اللغة العربية الفاظها محددة المعاني بحكم بيئتها الصحراوية الجاهلة ، فأنى لها ان تحمل معاني المعارف الجديدة العميقة التي جاءت بها الصواريخ المنطلقة في الفضاء وراء الأفلاك .. في العصر الذري الحديث .

وإذا كانت لغات المعارف الحديثة بالذات تفقد المدلولات اللغوية الخاصة بها فكيف يمكن أن تكون لغة صحراء الجاهلية مشتملة عليها من قبل ألف عام وما يزيد ، وهذه دعوى متخومة بالغرور لا يذعن لها إلا مقلد منخوم بالأوهام .. »

قلت : هذا المحاضر هو وحيد القرن ، ولعنة الله على الذي ينسب الجهل أو غرضه في الجهل إلى العلم ابتغاء الفتنة والتشويش . يا هذا نحن نتحدث عن كلام رب العالمين لا على كلام الاعراب الجاهلين نتحدث عن الكلام الذي تحدى بـــه الخالق العظيم خلقه أجمعين .. الكلام الذي يستظهره آلاف الحفاظ منذ نزوله أول مرة إلى اليوم وإلى يوم القيامة الذي وصل الينا بالتواتر العلمي القطعي ولا نتحدث عن خيالات قصص ألف ليلة وليلة أو دواوين شعراء الجاهلية .

ألا تعلم أن القدرة الإلهية التي أودعت فينا ونحن بعض أتربة الأرض أضواء الفكر وأحاسيس العواطف وغرائب التصورات هي ذاتهـــا التي أودعت في ألفاظ اللغة العربية المحدودة المعجزات العلمية غير المحدودة .

يا تائهاً في فيافي الجهل : لو عجز الوحي الإلهي المنزل بلغة العرب عن حمــل المعجزات العلمية التي ظهرت والتي ستظهر لسقط الاعجـــاز الأدبي على الأثر . ولمـــا ثبت علمياً أنه كلام الخالق العظيم ، لأن مظهر الاعجاز الأدبي هو القدرة الخارقة في عرض هذه المعاني التي هي أوســع من السموات في الألفاظ الضيقة على زعمك .

يا هذا سر معي وادرس : هذه واحدة من معجزات القرآن العلمية .

كان العلماء لعهد قريب جداً يتحدثون إلى طلابهم في محاضراتهم العلمية أن الذرة هي أصغر الكائنات المادية وأنها الجزء الذي لا يتجزأ ، ونفس العرب في الجاهلية كانوا يطلقون على الهباءة المتقلبــة في الهواء ، إذا بدت في خيط الشمس الممتـــد من كوة صغيرة : « ذرة » باعتبار أنها جزء صغير جداً غـــير قابل

للامساك (١) وظاهر أن المقصود في الآية الكريمة هو ضرب المثل بأصغر كائن مادي .

ولم يكن أحد من العلماء ذكر أن في العالم كائناً أصغر من الذرة سوى ما جاء في آيات القرآن المجيد ان هناك كائناً أصغر من الذرة وأن الذرة وما هو أصغر منها خاضعان للوزن ، وإليك بعض النصوص :

(وَمَا يَعْزُبُ عَنْ رَبِّكَ مِنْ مِثْقَالِ ذَرَّةٍ فِي ٱلْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ وَلَا أَصْغَرَ مِنْ ذَلِكَ وَلَا أَكْبَرَ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ) ١٠ - ٦١

(وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا أَلَا تَأْتِينَا السَّاعَةُ قُلْ بَلَى وَرَبِّي لَتَأْتِيَنَّكُمْ عَالِمُ ٱلْغَيْبِ لَا يَعْزُبُ عَنْهُ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ فِي السَّمَاوَاتِ وَلَا فِي ٱلْأَرْضِ ، وَلَا أَصْغَرَ مِنْ ذَلِكَ وَلَا أَكْبَرَ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ) ٣٤ - ٤ .

وكنا نعجب كيف تخضع الذرة للوزن وكيف يكون في عوالم المادة ما هو أصغر منها ، وخاضع للوزن أيضاً . وكنا لا نكتم أساتذتنا هـذا العجب ، فيقولون : « هذا تقريب للواقع وليس بتحديد ، إذ ليس وراء الذرة إلا عوالم الطاقات المحضة كالكهرباء والمغناطيس دافعاً وجاذباً » .

---

(١) انتقد بعض الملاحدة قبل اعلان انقسام الذرة الى اجزاء ان القرآن يعلن ان هنـاك شيئاً اصغر ولا شيء اصغر من الذرة لأنـه يعلم ان المراد من الذرة هو اصغر كائن . والهباء معروف قديمـا انه اصغر كائن . ولكن لما انقسمت الذرة وظهر وجود ما هو اصغر من الذرة بمراحل طفقوا يقولون ان المقصود من الذرة للنملة والنملة اصغر منها المكروبة اتباعاً للألفـاظ المتشابهة ناسين الآيات الكثيرة التي تعلن ان القرآن فيه معجزات للمستقبل وان اللجوء الى الالفاظ المتشابه قصداً للفتنة كفر . وغرضهم من كل ذلك ابطال المعجزات العلمية في القرآن كأن لا عمل لهم إلا محاربة معجزات القرآن ونسوا ان نور الله لا يطفىء بالافواه .

فنسكت على مضض لأنا نعلم أن الخالق العظيم أعلن في وحيه أن لا خيـال فيه ولا شعر ، إن هو إلا الواقع والحق ..

وتمر الأيام متتابعة والعلماء يواصلون دراساتهم في المجامـع العلمية وفي المختبرات والجامعات وفي المكاتب العامة والخاصة ، والحكومات تغدق عليهم الأموال وتزجي لهم أحسن الظروف ، وكل أسبـاب طمأنينة الفكر والعيش الرغيد. والناس ينتظرون وينتظرون ما تجيء به اكتشافاتهم العلمية الأخيرة. وإذا نحن نسمع فجأة ضجـة كبرى في الصحافة العالمية ، والاذاعات وكلها تعلن أن الإنسانية دخلت في عصر جديد هو عصر الذرة ..

وحاضر العلماء من أعلى منابرهم وأخبروا الجماهير : « ان الذرة انفلقت وانها عـالم مركب وليست جزءاً لا يتجزأ : مركب من جملة كهـارب تدور بسرع ٢/ك ٩٤٦ على محور يسمى نواة كدوران الكواكب حول الشمس وقـد تمكن العلماء منمعرفة عدد الكهارب وسرعتها. أما النواة فهي ثابتة لا تتحرك. والكهرب هو القوة التي لم يصل الانسان بعد إلى إدراك كنهها لا بالعقـل ولا بالحواس . ولا تقسم ، والمادة نفسها تختفي لدى تفكك ذراتهـا إلى كهارب .

والكهرب منه ما هو سلبي « — » ومنه ما هو إيجابي « + » : « ومن كل شيء خلقنا زوجين » . انك ترى الكهرب الإيجابي يفتش عن الكهرب السلبي بنشاط وقوة ، فإذا التقيا يسكنان بعضهما إلى بعض وتشل حركتهما وتقف . فما دام السلبي والإيجابي متزاوجين « — + » لا يظهر تأثيرهما أما إذا فصلتهما بواسطة مولد ما ، كالمولد الكهربائي المعروف مثلاً ، فإنك تراهما يتخذان حركة قوية جداً للاجتماع ثانية. وهذه الحركة هي أساس القوة التي تبنى عليها المصانع والمعامل الكهربائية .. »(١)

---

(١) مأخوذة من المحاضرة العلمية التي بسطت تكوين الذرة لعضو معهد المخترعين في واشنطن المهندس الاستاذ علي الحجار .

وما كاد العلماء القرآنيون يطلعون على عالم الذرة وما يحوي من نواة وكهارب أوزاح حتى سجـــدوا للخالق العظيم ، وهم يهتفون : سبحانك ما أصدق ما أوحيت وما أجل ما أودعت في آياتك من معجزات . ألا انها قوام العـلم وملاك الواقـع ينتهي الوجود ولا تنتهي عجائبها . وإليك جانباً من المعجزات القرآنية العلمية التي انكشفت بانكشاف عالم الذرة حتى الساعة :

(١) كان الناس قديماً يعرفون الوزن في السلـع لدى البيـع والشراء ، وفي قليل من الأشياء ، ولم يدر في خلدهم أن الوزن يتناول الذرة فما فوق من العناصر إلى المواد المركبة منهـــا إلى العوالم المادية كافة إلى سواها من عوالم الطاقات وحتى الأعمال .. !!

وكانوا إذا تدبروا الآيات القرآنية التي تنص أن كل شيء في الوجود موزون بنسب دقيقة معينة محكمة وفق مقتضيات الخلق واستمراره خالوها مجرد تصوير بياني يهدف إلى افهام دقة المحاسبة ، وراء عوالمنا : « يوم تطوى السماء كطي السجل للكتب » وليس هو عين واقعها حتى جاءت اكتشافات العـلم الحديث وانفلقت الذرة فظهر أن الآيات تعني ذات الواقع ولا تعني التصوير الأدبي وان كان التصوير الأدبي الذي عين ويعين وقائع اكتشافات العلوم الحديثة بكل هذه الدقة والاحكام هو في القمة من الاعجاز ..

النصوص :

(وَٱلْأَرْضَ مَدَدْنَاهَا وَأَلْقَيْنَا فِيهَا رَوَاسِيَ وَأَنْبَتْنَا فِيهَا مِنْ كُلِّ شَيْءٍ مَوْزُونٍ) ١٥ ــ ٢٠

(إِنَّا خَلَقْنَا كُلَّ شَيْءٍ بِقَدَرٍ) ٥٤ ـ ٥٠

(وَٱلسَّمَاءَ رَفَعَهَـــا وَوَضَعَ ٱلْمِيزَانَ (٨) أَنْ لَا تَطْغَوْا فِي

ٱلْمِيزَانِ (٩) وَأَقِيمُوا ٱلْوَزْنَ بِالْقِسْطِ وَلَا تُخْسِرُوا ٱلْمِيزَانَ) ٥٥ ـ ١٠

(وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ وَأَنْزَلْنَا مَعَهُمُ ٱلْكِتَابَ وَٱلْمِيزَانَ لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ وَأَنْزَلْنَا ٱلْحَدِيدَ فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ، وَمَنَافِعُ لِلنَّاسِ) ٥٧ ـ ٢٦ [1].

(اللهُ يَعْلَمُ مَا تَحْمِلُ كُلُّ أُنْثَى وَمَا تَغِيضُ ٱلْأَرْحَامُ وَمَا تَزْدَادُ، وَكُلُّ شَيْءٍ عِنْدَهُ بِمِقْدَارٍ) ١٣ ـ ٩

(أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَسَالَتْ أَوْدِيَةٌ بِقَدَرِهَا) ١٣ ـ ١٨

(وَالَّذِي نَزَّلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً بِقَدَرٍ فَأَنْشَرْنَا بِهِ بَلْدَةً مَيْتًا) ٤٣ ـ ١٢

وجاء في ميزان الأعمال قوله تعالى:

(وَنَضَعُ ٱلْمَوَازِينَ ٱلْقِسْطَ لِيَوْمِ ٱلْقِيَامَةِ فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْئًا وَإِنْ كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا وَكَفَى بِنَا حَاسِبِينَ) ٢١ ـ ٤٨

ونهاية ما ينبغي أن يستوعب ان كل شيء له وزن معين خاص، عليه قوام كيانه، واستمرار وجوده، والعلماء جادون في كشف موازين الأشياء كافة، فإن لم يتم لهم ذلك اليوم فغداً.

(١) العدل الذي يشتمل على موازين الاعمال ليأخذ كل عامل حقه بالقسطاس دون ظلم.

ولعل الذين كانوا ينكرون قديماً أن تكون الموازين بهذه المثابة وأن كل شيء خاضع لها حتى الأعمال ، هم الذين قالوا ان ما جاء في الآيات عن الموازين والوزن هو من قبيل التخويف من دقة الحساب في يوم الحساب لا كشفاً للواقع الكائن ، حتى انكشف لهم عالم الذرة ، وإذا الموازين تدخله ، وإذا هم يلمسون عين اليقين في كل ما جاء في الآيات إلا أنهم شاهدوا ميزاناً للحرارة (١) وميزاناً لضغط الدم من اليد (٢) وآخر لوزنه من القدم (٣) وميزاناً للضغط الجوي (٤) وميزاناً للعناصر الغازية والسائلة والجامدة سواء في جوف الأرض أو خارجها وفي الهواء وما وراءه وآخر للذرة وما دونها وما فوقها وهلم جراً ، هذا مع علمهم أنهم لا يزالون على عتبات معارف العوالم مصداقاً لقوله تعالى :

(وَلَوْ أَنَّ مَا فِي ٱلْأَرْضِ مِنْ شَجَرَةٍ أَقْلَامٌ وَٱلْبَحْرُ يَمُدُّهُ مِنْ بَعْدِهِ سَبْعَةُ أَبْحُرٍ مَا نَفِدَتْ كَلِمَاتُ اللهِ) أي مخلوقاته ...

الايجاب والسلب :

وظهر الزوجان السلب والإيجاب حتى في عالم الذرة بعد انفلاقها ، كما ظهر من قبل في عالم الكهرباء ، وهكذا لمس العلماء اعجاز القرآن العلمي في صميم عالم الذرة وتلوا خاشعين متدبرين قول الله عز وجل :

(سُبْحَانَ الَّذِي خَلَقَ ٱلْأَزْوَاجَ كُلَّهَا مِمَّا تُنْبِتُ ٱلْأَرْضُ ، وَمِنْ أَنْفُسِهِمْ وَمِمَّا لَا يَعْلَمُونَ) ٣٦ — ٣٧

---

(٢) المسمى لديهم بـ « بالترمومتر » .

(٣) ويسمى « تنسيومتر » .

(٤) ويسمى « اوسيلومتر » .

(٥) المسمى « بالبارومتر » ، وهناك موازين للابعاد الجوية والأعماق والارتفاع والانخفاض والسرعة وسوى ذلك .

وفي قوله :

(وَمِنْ كُلِّ شَيْءٍ خَلَقْنَا زَوْجَيْنِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ) ٥١ ـــ ٥٠

وقديماً جحد الدهريون الدارسون أن يكون الإيجاب والسلب اللذان بهما يتحقق استمرار الحياة الحيوانية والنباتية موجودين في سواهما حتى اكتشفت الكهرباء ثم اكتشفت الذرة ، والمخفى أعظم ..

نعم لم يكن للعرب ولا لسوى العرب قبل نزول القرآن المجيد علم بوجود الإيجاب والسلب في غير عالم الحيوان وفي قليل من عالم النبات كالنخيل التي كانوا يأبرونها لأنهم كانوا يشاهدون الزوجين ماثلين حيالها . ولكن لم يدر في خلدهم أن الزوجين يكونان في الشجرة الواحدة كما هما في الذرة الواحدة . ولم يدر في خلدهم أيضاً ان الرياح تلقح كأحسن ما يلقحون بأيديهم وقرأوا قول الله : (وأرسلنا الرياح لواقح) وآمن من آمن وكفر من كفر حتى اكتشفت المكبرات وشاهدوا عياناً الرياح وهي تحمل ذرات الذكورة في عالم النبات إلى الأنوثة سواء من شجرة إلى شجرة أو من فنن إلى فنن أو قل من زهرة إلى زهرة . هذا صنع خالقنا العظيم فسبحان من أتقن كل شيء صنعا .

اضافة رب إلى الفلق :

كل المؤمنين يعلمون يقيناً أن خالق الكائنات الذي أوجدها وقدرها هذا التقدير وصورها هذا التصوير وعين لها سننها وأعمالها وأدوار وجودها وزوالها وكل ما يتصل بها هو ربها المهيمن عليها ، الفعال لما يريد الذي بيده ملكوت كل شيء مهما صغر أو كبر مادة كان أو طاقة ..

ولولا ذلك لما كانت ولا بقيت ولا قامت بأعمالها ..

والعلماء مدركون : ان اضافة رب في كلامه تعالى إلى كائن بعينه — مع العلم انه رب كل شيء — لا يكون إلا لغرض جليل وتوجيه حكيم .

مثال :

ألا يعلم جميع الناس أن الخالق العظيم هو رب الأجرام السماوية السابحة في الفضاء والثابتة كافة ـ سواء أكانت السموات السبع وما فوقها أو كانت الكواكب التي هي دونها وزينة للسماء الدنيا :

(إِنَّا زَيَّنَّا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِزِينَةٍ الْكَوَاكِبِ) ٣٧ - ٧

أجل ، هـذا معلوم لجميع الناس ، ولكن الذين يعلمون الاعجاز العلمي المكنوز في اضافة كوكب الشعرى إلى الرب ، في قوله تعالى :

(وَأَنَّهُ هُوَ رَبُّ الشِّعْرَى) ٥٣ ـ ٥٩ .

هم قلائل جداً في كل جيل.. هم العلماء الراسخون الذين علموا مكانة الشعرى بين مجموعة الكواكب: مما قصه الفلكيون المحدثون عنها،من بعد ما اكتشفوه..

« والذين علموا أنها عبدت في الأزمنة الغابرة من دون الله !!!

ولأجل أن تسمو الإنسانية ولا تنحط مثل ذلك الانحطاط ـ بعد نزول القرآن ـ أي لأجل أن لا يعبد المخلوق مخلوقاً مثله من دون عبادة الرب الذي خلقهما معاً ورباهما معاً « عابداً ومعبوداً » جاءت اضافة الرب إلى الشعرى : « وانه هو رب الشعرى » وكذلك نجد ـ في ذكر هذه الآية الكريمة بعد ذكر آلهة قريش المتخذة من الأحجار : « اللات والعزى ومناة » ، اعجازاً توجيهياً ناقداً بصيراً . وأي توجيه أنفذ بصيرة وألذع نقداً من عرض مربوبية الشعرى التي لا تزن كرتنا الأرضية حبة رمل بالنسبة لرمالها . مع ملاحظة أن الشعرى نفسها على هول خلقها لا تزن حبة رمل بالنسبة لما في عوالم الفضاء مما هو أكبر منها مليارات المرات . فأي وزن من اعتبار يبقى لهذه الأحجار المنصوبة حول الكعبة المعبودة لقريش ومن شايعها بعد وعي هذا الفقه العلمي المعجز المدخر في الآية .

والآن – بعد هذا المثل – نستطيع أن نتبين صنو هـــذا الأعجاز العلمي الكبير أيضاً في إضافة الرب إلى الفلق في قوله تعالى :

(قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلْفَلَقِ مِنْ شَرِّ مَا خَلَقَ)

إذ فيها من الاعجاز العلمي :

١ – التنبيه إلى أن تجـــدد الكائنات الحيوانية والنباتية والجمادية ماثل في الانفلاق (١) العام المنصوص عليه في الآيات :

(إِنَّ ٱللَّهَ فَالِقُ ٱلْحَبِّ وَٱلنَّوَىٰ يُخْرِجُ ٱلْحَيَّ مِنَ ٱلْمَيِّتِ وَمُخْرِجُ ٱلْمَيِّتِ مِنَ ٱلْحَيِّ ، ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ فَأَنَّىٰ تُؤْفَكُونَ (٢) ، فَالِقُ ٱلْإِصْبَاحِ وَجَعَلَ ٱللَّيْلَ سَكَنًا وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ حُسْبَانًا ذَٰلِـــكَ تَقْدِيرُ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَكِيمِ) ٦ – ٩٥ – ٩٦

(أَوَلَمْ يَرَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّ ٱلسَّمَوَاتِ وَٱلْأَرْضَ كَانَتَا رَتْقًا فَفَتَقْنَاهُمَا) .

(وَجَعَلْنَا مِنَ ٱلْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ أَفَلَا يُؤْمِنُونَ (٣)) ٢١ – ٣١ .

---

(١) بحث الانفلاق المركز عليه تجدد العالم وتطورها لا يسعـــه سفر ضخم بله الانفلاقات الجيولوجية التي تمت قبل وجود الإنسان وبعـده ، والتي لا تزال تحدث في العوالم مما علمنا منها ومما لم نعلم .

(٢) كانت الأرض ميتة فخلق فيها الماء ومن الماء كانت الحياة : « وجعلنا من الماء كل شيء حي » اجل كانت الارض ميتة فأحياها الله « وآية لهم الارض الميتة احييناها » ونهاية الحيـــاة الماثلة في الارض الموت : « وانا لجاعلون ما عليها صعيداً جرزا » .

(٣) من الحيوانات اللائي يعشن على بخار الماء الكائن في الهواء ، ومنهـــا اللائي يعشن على الندى المتسرب في مسام الارض والجبـــال والاوكسجين هو جزء الماء الذي اودع الله فيه سر لاحياء . ووجوده في الهواء مؤكد علمياً ..

ومهما يكن فإن أعظم انفلاق احدث أعظم انقلاب، في محيط العلم والصناعة ومدمرات الحرب هو انفلاق الذرة .

٢ - التنبيه إلى أن في الفلق شراً يستعاذ منه في كل عصر إلى جانب الخير . ولكن لم يظهر اعجاز الآية في عصر سلف ما ظهر في هذا العصر حيث انفقلت الذرة وظهر الشر المستطير إلى جانب الخير الكبير .

واني أعتقد - إذا أدرك ساسة الدول الكبرى ان التضيق بالمؤامرات الحاقدة الشاعلة يؤدي حتماً إلى اليأس الذي يحلو معه الانتحار بالحرب الذرية الكاسحة فيدعونه إيثاراً لحياتهم قبل حياة الآخرين ... فإن معجزات علمية رائعة سوف تظهر في خاتم الوحي الإلهي فيها الإيمان العليم والحب البصير والخلق الأليف والعيش الرغيد ، والسلام الكبير للانسانية كافة .

وأخيراً أرفع ضراعتي إلى رب الفلق أن يعيذ الإنسانية وسلامها وحرياتها من شر ما خلق .



الدراسة العلمية للقرآن
أنواع الدارسين

الدراسة العلمية : هي الدراسة التي تكشف واقع المعرفة في كل شـــيء . والدارسون كثيرون جـــداً في كل أمة ، ولكن الدارسين العلميين أنـــدر من « الاورانيوم » .

والذين درسوا القرآن وحاضروا فيه وألفوا ، من الغربيين وسواهم لا يحصون عداً . ولكن قل منهم الذين درسوه الدراسة العليمة الأمينة المتحررة .

ومن لم يدرس القرآن المجيد هذه الدراسة العلمية ، فلن يتمكن من كشـــف معجزاته التي هي باعث الايمان بمثله العليا ، في كل جيل .

وأحسب الذي جعل العلماء الغربيين الاحرار يرفضون كل دراسة غير علمية خالصة للقرآن أو لسواه في عصرنا الحديث أمران .

الاول : – الانقلاب العلمي الكبير الذي طرأ على العقلية الانسانية كافة ، بعد انفلاق الذرة . إذ أصبح طالبوا المعرفة في كل مكان يرفضون أية دراسة عن أي شيء لا يقصد منها كشف واقع العلم . ولو صدرت من أكبر جامعات للعالم . ويقابلون السنة الدارسين الذين يخونون واقع العلم بمقاريض حادة من النقـــد ، ليفصلوا الجهل والباطل والانحطاط عن العلم والحق والسمو .

الثاني : – هو تحدي القرآن المجيد الصارخ واقتحامه المنازلة المنتصرة بسلاح العلم ، ونداؤه بأنه حجة الخالق على خلقه ، في كل عصر ومصر !!

ولو رأى العلماء الغربيون الامناء الاحرار ان القرآن سفر أساطير وخرافات وان تحديه دعوى ومجازفة لا نصيب لها من العلم والحق والواقع لنبذوه وراءهم ظهرياً من أول نظرة ، ولم يكلفوا ميزانياتهم كل هاتيك النفقات الطائلة ، وكل هاتئك الدراسات الشاقة المتلاحقة ، من أجل التعرف إلى واقعه العلمي . ولا ريب ان الذي بعثهم إلى كل هاتيك الدراسات العلمية التى تتسع يوماً فيوماً هو التحدي الصارخ في وجه قوى العلم ، وقوى الأدب المتفوقة ، وما تعتد به من قوى الالهة التي تدين بسلطانها الخارق كالجن والملائكة والأرواح المعبودة من دون الخالق العظيم .

وما أحرى الذين لا يزالون مرتابين من الغربيين ومقلديهم أن يعقدوا المجامع العلمية الحرة الأمينة لاسقاط هذا التحدي الصارخ من الوجهات العلمية الخالصة فإنها هي وحدها التي تسقطه لدى العلماء الاحرار الأمناء . والواقع أن سقوط الكائنات أقرب إلى الامكان من سقوطه في واقع العلم الخالص الحر الأمين . لأنه عين كلام الله النفسي ، وهل يدخل في قوى العوالم كافة ان تسقط حرفاً واحداً من كلام الله النفسي ، فكيف به جميعاً . وهل العوالم جمعاء الا أثر من آثار قدرة الله عز وجل . !!

يا علماء ، يا أحرار ، يا مفكرون ، يا أعداء الأساطير والخرافات والظنون والأوهام هذه بعض آيات التحدي فادرسوها بعين العلم الخالص:

(وَإِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِنْ مِثْلِهِ وَادْعُوا شُهَدَاءَكُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ (٢٤) فَإِنْ لَمْ تَفْعَلُوا وَلَنْ تَفْعَلُوا فَاتَّقُوا النَّارَ الَّتِي وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ) ٢ ــ ٢٥ .

(وَمَا يَتَّبِعُ أَكْثَرُهُمْ إِلَّا ظَنًّا إِنَّ الظَّنَّ يُغْنِي مِنَ ٱلْحَقِّ شَيْئًا إِنَّ ٱللهَ عَلِيمٌ بِمَا يَفْعَلُون (٣٧) وَمَا كَانَ هَـٰذَا ٱلْقُرْآنُ أَنْ يُفْتَرَى مِنْ دُونِ ٱللهِ ، وَلَكِنْ تَصْدِيقَ ٱلَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ .. وَتَفْصِيلَ ٱلْكِتَابِ لَا رَيْبَ فِيهِ مِنْ رَبِّ ٱلعَالَمِين (٣٨) أَمْ يَقُولُونَ ٱفْتَرَاهُ قُلْ فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِثْلِهِ وَٱدْعُوا مَنِ ٱسْتَطَعْتُمْ مِنْ دُونِ ٱللهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِين (٣٩) بَلْ كَذَّبُوا بِمَا لَمْ يُحِيطُوا بِعِلْمِهِ وَلَمَّا يَأْتِهِمْ تَأْوِيلُه[1] كَذَلِكَ كَذَّبَ ٱلَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَانْظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الظَّالِمِين) ١٠ ـ ٤٠

أجل يا سادة القرآن موجه إلى العلماء الراسخين ..

(قَدْ جَاءَكُمْ بَصَائِرُ مِنْ رَبِّكُمْ فَمَنْ أَبْصَرَ فَلِنَفْسِهِ ، وَمَنْ عَمِيَ فَعَلَيْهَا وَمَا أَنَا عَلَيْكُمْ بِحَفِيظ) ٦ ـ ١٠٥

(وَيَرَى ٱلَّذِينَ أُوتُوا ٱلْعِلْمَ ٱلَّذِي أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ هُوَ ٱلْحَقُّ وَيَهْدِي إِلَى صِرَاطِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَمِيدِ) ٣٤ ـ ٦ .

(وَكَذَلِكَ نُصَرِّفُ ٱلْآيَاتِ ، وَلِيَقُولُوا دَرَسْتَ وَلِنُبَيِّنَهُ لِقَوْمٍ يَعْلَمُون) ٦ ـ ١٠٦

---

(١) ان بوادر ظهور تأويل آيات المعجزات العلمية آن اوانها بعد انفلاق الذرة وفي الكلمات الآتية بيان ذلك ..

(قُلْ هَلْ عِنْدَكُمْ مِنْ عِلْمٍ فَتُخْرِجُوهُ لَنَا إِنْ تَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَإِنْ أَنْتُمْ إِلَّا تَخْرُصُونَ) ٦ - ١٤٩

وإلى المفكرين الاحرار :

(أَوَلَمْ يَتَفَكَّرُوا مَا بِصَاحِبِهِمْ مِنْ جِنَّةٍ إِنْ هُوَ إِلَّا نَذِيرٌ مُبِينٌ ، أَوَلَمْ يَنْظُرُوا فِي مَلَكُوتِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا خَلَقَ اللَّهُ مِنْ شَيْءٍ وَإِنْ عَسَى أَنْ يَكُونَ قَدِ اقْتَرَبَ أَجَلُهُمْ فَبِأَيِّ حَدِيثٍ بَعْدَهُ يُؤْمِنُونَ) ٧ - ١٨٦

(قُلْ إِنَّمَا أَعِظُكُمْ بِوَاحِدَةٍ أَنْ تَقُومُوا لِلَّهِ مَثْنَى وَفُرَادَى ثُمَّ تَتَفَكَّرُوا مَا بِصَاحِبِكُمْ مِنْ جِنَّةٍ إِنْ هُوَ إِلَّا نَذِيرٌ لَكُمْ بَيْنَ يَدَيْ عَذَابٍ شَدِيدٍ) ٣٤ - ٤٧

(قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي وَسُبْحَانَ اللَّهِ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ) ١٢ — ١٠٩

(وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ) ١٦ - ٤٥

وإلى أعداء الأساطير والخرافات والظنون :

(إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ) ١٧ - ٧

(وَمَا يَتَّبِعُ أَكْثَرُهُمْ إِلَّا ظَنًّا إِنَّ الظَّنَّ لَا يُغْنِي مِنَ الْحَقِّ شَيْئاً إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِمَا يَفْعَلُونَ) ١٠ – ٣٧ .

(وَمَا عَلَّمْنَاهُ الشِّعْرَ وَمَا يَنْبَغِي لَهُ إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ وَقُرْآنٌ مُبِينٌ) ٣٦ – ٧٠

(كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ لِيَدَّبَّرُوا آيَاتِهِ وَلِيَتَذَكَّرَ أُولُوا الْأَلْبَابِ) ٣٨ ـ ٢٩

وإلى المصلحين الاحياء هادمي التقاليد الفاسدة .

(وَبَرَزُوا لِلَّهِ جَمِيعاً فَقَالَ الضُّعَفَاءُ لِلَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا إِنَّا كُنَّا لَكُمْ تَبَعاً فَهَلْ أَنْتُمْ مُغْنُونَ عَنَّا مِنْ عَذَابِ اللَّهِ مِنْ شَيْءٍ قَالُوا لَوْ هَدَانَا اللَّهُ لَهَدَيْنَاكُمْ سَوَاءٌ عَلَيْنَا أَجَزِعْنَا أَمْ صَبَرْنَا مَا لَنَا مِنْ مَحِيصٍ) ١٤ ـ ٢١

(قَالُوا يَا شُعَيْبُ أَصَلَاتُكَ تَأْمُرُكَ أَنْ نَتْرُكَ مَا يَعْبُدُ آبَاؤُنَا أَوْ أَنْ نَفْعَلَ فِي أَمْوَالِنَا مَا نَشَاءُ إِنَّكَ لَأَنْتَ الْحَلِيمُ الرَّشِيدُ (٨٨) قَالَ يَا قَوْمِ أَرَأَيْتُمْ إِنْ كُنْتُ عَلَى بَيِّنَةٍ مِنْ رَبِّي وَرَزَقَنِي مِنْهُ رِزْقاً حَسَناً وَمَا أُرِيدُ أَنْ أُخَالِفَكُمْ إِلَى مَا أَنْهَاكُمْ عَنْهُ إِنْ أُرِيدُ إِلَّا

ٱلْإِصْلَاحَ مَا ٱسْتَطَعْتُ وَمَا تَوْفِيقِي إِلَّا بِاللهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ) ١١ ـ ٨٩

(وَلَا تُفْسِدُوا فِي ٱلْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَاحِهَا وَٱدْعُوهُ خَوْفاً وَطَمَعًا إِنَّ رَحْمَةَ ٱللهِ قَرِيبٌ مِنَ ٱلْمُحْسِنِينَ) ٧ ــ ٥٧ .

(لِيُنْذِرَ مَنْ كَانَ حَيًّا وَيَحِقَّ ٱلْقَوْلُ عَلَى ٱلْكَافِرِينَ) ٣٦ ـ ٧١

وإلى الناس جميعاً :

(قُلْ يَا أَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنِّي رَسُولُ ٱللهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعاً ٱلَّذِي لَهُ مُلْكُ ٱلسَّمٰوَاتِ وَٱلْأَرْضِ ، لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ يُحْيِي وَيُمِيتُ ، فَآمِنُوا بِاللهِ وَرَسُولِهِ ٱلنَّبِيِّ ٱلْأُمِّيِّ ٱلَّذِي يُؤْمِنُ بِاللهِ وَكَلِمَاتِهِ وَٱتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ) ٧ ـ ١٥٨ .

أما سوى هؤلاء فهم الأموات أهل الظنون والظلام المهملين .

وكم نحمد الغربين المحدثين الذين طرحوا أحقادهم المتحاجزة وتقاليدهم البالية وموروثاتهم المنجمدة وراءهم ظهرياً وأقبلوا يدرسون القرآن المجيد دراسة علمية محررة من الدس والتحريف والوضع والظنون والأوهام . اقبالا يزيد يوماً فيوماً ... وهؤلاء هم أقاموا في كل جامعة من جامعاتهم الكبرى فئة من الاخصائيين في الدراسات الاسلامية وأغدقوا عليهم الرواتب الضخمة وهيئوا لهم الفرص المؤاتية والظروف المناسبة لكي يحرزوا التفوق العلمي العبقري المجيد على أصول المناهج العلمية الحديثة ، هي ألمانيا عقب الحرب العالمية الأولى فأنها

شيدت معهداً خاصاً لدراسة معارف القرآن المجيد وجعلته فرعاً من فروع جامعة « ميونـخ » وقد أنفقت في سبيل تشيده وتأسيسه وارســـال الاخصائيين في الدراســات الاسلامية إلى مختلف العواصم العربية وسواها لجلــب المخطوطات والمطبوعات وأخذ الصور الشمسية للمفردات الخطية المحظورة والمصاحف النادرة وكل ما كتب عن القرآن المجيد سواء أكان من جهة نصوصه أو قرآتـــه أو خطوطه أو تفاسيره أو مفرداته اللغوية ، أو ما أستفيد منه من تشريــع وعلوم وآداب وسوى ذلك .

وكم أشجاني وأوقد الحسرات في تأملاتي دمار هذا المعهد بيــد قنابل الحرب العالمية الثانية ، وكم للحروب من أهوال وويلات تقشعر منها الأبدان [1] وتنخلع قلوب الوحوش الكاسرة بله الانسان المثقف .

واخالك لا يخطر ببالك العجب — بعـــد بياني هذا — إذا شاهدت إسلام كثيرين من علماء الغرب ومفكريه ، لانك تلمس ان الذي يجعلهم يسلمون ويخلصون ، ليس هو سلطان الدول الاسلامية ، أو معارفها المتفوقة ، أو ما تقدم من مال في سبيل الدعاية والاغراء وتأليف القلوب . بـــل هو العلم الذي وجدوه في القرآن المجيــد وأفانين معجزاته الدافقة المتجددة التي تنكشف لهم ، كل مــا قارنوها بمعارف الكتب الدينية في العالم ، وهو قوم لا يأسرهم ولا يقودهم ولا يقنعهم ولا يرضيهم مثل واقع العلم في كل شيء ، انهم يقدمون له أموالهم وأرواحهم بحماسة وتضحية ويرون ذلك قليلاً في جنب ما له عليهم من أيادي ، أجل يقدمون له كل ذلك بحماسة وتضحية ، ما سمعنا بمثلها من قبل إلا في القرون الاسلامية الأولى حين

---

(١) من أراد التوسعة في التعرف الى هذا المعهد فليراجع ما كتبه الدكتور الفاضل محمـــد حميد الله في مجلة رابطة العالم الإسلامي العدد الخامس ، السنة الثانية ، ص ٣٩ ، تحت عنوان « الالمان في خدمة القرآن » .

كان المسلمون يحيون حياة العلم ، وقد يجول في الفكر أن بعض المطالعين يقولون: « انك بالغت ، الا ترى فريقاً من المستشرقين الغربيين ، يعكفون على دراسة القرآن ويتعمقون فحص معارفه بوعي ودقة ولكنهم لم يسلموا ، انه وحي الله !! ومنهم من يقضي الأعوام الطوال في ترجمة معانيه ومع ذلك يستمر يؤثر ماورث من وحي ويراه الأمثل في الدلالة على معجزات الله على واقع العلم .

بل لدينا من العرب أنفسهم مسلمين وسواهم من استظهروا القرآن المجيد ودرسوه أعمق دراسة والحدوا ... » هذه هي المعضلة في رأي بعضهم وحقيقة هذه المعضلة سراب خادع ، وكل شأنهم أنهم لم يميزوا أنواع الدارسين تميز العلم والبحث ولم يتبينوا قيمة إنتاج من انتاج بالنسبة لذاته في موازين العلماء الراسخين .

وإني في كلمتي هذه أفصل أنواع الدارسين تفصيلا واكشف وزن انتاج من انتاج مما يعرض في أسواق العلم ، ليستيقن المطالعون ان لا معضلة ولا شبه معضلة في قضية كلام الله عز وجل ...

أنواع الدارسين : —

١ — دارس في نطاق التقاليد والظنون : —

ان هذا الدارس ليس في مقدوره أن يتجاوز مانشىء عليه من تقاليد وظنون إلى ما وراءها من حقائق العلم ، إلا إذا كانت هي التي تتجاوز به ... لأنه مشدود إليها من جيده بأمراس من مسد.

لذلك لن يقيم لواقع العلم وزناً لا في القرآن المجيد ولا في سواه ، إلا بمقدارما يتصل بميراثه الثقافي التقليدي القائم على الظنون والاوهام ، فإذا تذكرا في موقف انحاز إليه وعادى واقع العلم ، وأخذ يحتال في إنتاجه ليجعل العلم جهلا والجهل

علماً ، ومن كان هذا وضعه من تقاليده فأي رجاء للعلم في بحوثه سواء أكانت عن القرآن ، أم عن سواه وهيهات هيهات سوى ما ورث من ثقافه ، وما نشىء عليه من تقاليد تبعث في نفسه الطمأنينة والنشوة والايمان والتأييد .

٢ - دارس واهن التفكير ذو أوهام : -

ان هذا الدارس لا يستطيع تحرير العلم من رفقة الجهل وإن كان يحب أن يعرف عنه ذلك ، لأنه يفقد العقلية الصافية المتقدة التي هي آلة التميز بين العلم والجهل والواقع والخيال والصدق والكذب .

وداء هذا الدارس عقلي محض ولا رجاء في إبلائه حتى ينتظر له يوم يخدم فيه واقع العلم في ما يقدم للناس من إنتاج .

وهو يعيب معارف الكاتبين ولا يدري أن العيب فيه وهو الذي عناه شاعرنا العربي الحكيم أحمد المتنبي بقوله :

وكم من عائب قولا صحيحا وآفته من الفهم السقيم

٣ - دارس انتهازي متلون : -

يطلق الكاتبون على هذا الدارس الانتهازي المتلون ، لقب الدارس المومس لأنه يؤجر نفسه بالاثم لطمس واقع العلم ، وهو متأكد أنه واقع العلم ... والدارس المومس لا يدخل في أغراضه أبداً كشف واقع العلم في ما يقدم للناس من إنتاج ... انى يدخل ذلك في حسابه وكل همه أن يقدم ما استأجر لأجله بأسم حقائق العلم ولو كان الجهل الغابي ، والباطل النحاسي والظلم النيروني(١).

والدارس المومس تجده - وإن كان يخون أمانة العلم والحق والصدق -

---

(١) هو جهل سكان الغاب ، هو الزعم بتحويل النحاس او الرصاص إلى ذهب ، وحرق نيرون لروما مشهور .

أنيقاً مهذباً حلو الحديث وتجد بحوثه كلها إفساداً للتعارف الانساني والتفاهم السلمي والتوادد الخلقي وهو إلى جانب ذلك لا يستقر على رأي إنه خداع لا ينفك شعّالا للفتن وقاداً للأحقاد، فاغرا فاه لالتهام المال الحرام ومنه ومن أمثاله حذرنا الله في وحيه :

(وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يُعْجِبُكَ قَوْلُهُ فِي الحَيَاةِ الدُّنيَا وَيُشْهِدُ اللهَ عَلَى مَا فِي قَلْبِهِ وَهُوَ أَلَدُّ الخِصَام (١١) وَإِذَا تَوَلَّى سَعَى فِي الأَرْضِ لِيُفْسِدَ فِيهَا وَيُهْلِكَ الحَرْثَ وَالنَّسْلَ وَاللهُ لَا يُحِبُّ الفَسَاد) ١٢ ـ ٢٠٦

وهذا الدارس أخطر أنواع الدارسين لانه يبدو لك باللون الذي تصبوا إليه وتهواه وبطوي عنك حقيقة نفسيته

نعم قد يكون في الامكان التعرف إليه ... اطرح ما يتحدث به إليك الآن وانظر أحاديثه المزاعة هنا وهناك ومداخله ومخارجه فانك تلمس واقعه المتلون لمس اليد ومهما يطل الزمن فالحقيقة لا بد أن تكشف وواقع العلم لا بد أن يظهر .

ومهما تكن عند امرىء من خليقه وان خالها تخفى على الناس تعلم

ما دام في الناس من يدرس ويبحث ويحقق ولا يأخذ بظاهر الإشاعات والظنون والأوهام .

٤ – دارس ملحد : –

الدارس الملحد لا يؤمن بشيء سوى نفسه وشهواتها ولذاتها، فهو إله نفسه على عقيدة « سارتر » .

وكل أمره دعوى العلم وإن كان يمسخه مسخ القردة والخنازير .

وواضح أن البحث العلمي لشيء هو كشف لواقعه والباحث الملحد لا يؤمن بشيء حق يطلب كشف واقعه ويجهد له ويسهد .

ولكنه يلعلع بما يختلسه من هذا المؤلف أو ذاك مما يتخيل انه يكسبه سمه العلماء والفلاسفة ويظهره بمظاهرهم العبقرية المتفوقة وشخصياتهم الرائعة المحترمة . وإن كان واقعه انه لا نبوغ له في شيء إلا في السخرية اللازعة بحقائق العلم وأهله ولا تفوق له إلاّ بأعلان الالحاد والتطرف بمناسبة وبدون مناسبة ... حتى انه لا ينصرف من مجلس إلا واللعنات تلاحقه والسخط يتشبث بأذياله ، وهو يعرف ذلك ويقول : « لعن الجماهير وسخطهم أوسع أبواب الشهرة ومن لا يتعمد هدم واقع العلم في ما يقدسه الناس لا يتحدثون عنه بأكتراث وإلحاح ...

ولن تجد أخبث من الدارس الملحد نفساً ، ولا أضل ، وانه لجادل من الطراز الأول على باطل وعابد لهواه على خسران وكبرياء وقد عينه الله في وحيه ليجتنب ويحـــذر .

(وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يُجَادِلُ فِي اللهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَلَا هُدًى وَلَا كِتَابٍ مُنِيرٍ (٩) ثَانِيَ عِطْفِهِ لِيُضِلَّ عَنْ سَبِيلِ ٱللهِ لَـــهُ فِي ٱلدُّنْيَا خِزْيٌ وَنُذِيقُهُ يَوْمَ ٱلْقِيَامَةِ عَذَابَ ٱلْحَرِيقِ) ٢٢ ــ ١٠

٥ - دارس أشعبي : -

الدارس الأشعبي هو الذي يختلق الحوادث إختلاقاً ويصدقها تصديقاً كالمرحوم أشعب يكذب على الأطفال قائلا : (هناك عرس تفرق فيه الحلوى فإذا جـــد الأطفال في العدو حيث أشار ، مثلت له أطماعه كذبه صدقاً . فيأخذ في العدو خلفهم ..!!

والدارس الأشعبي لا يكتفي بأختراع الحوادث من أجل أطماعه بــل تجره

أشعبيته إلى إذاعتها في الأوساط ودسها في مؤلفات العلماء فهو خائن للعلم ومن كان خائناً للعلم فلن يكون أميناً على كشف واقعه .

٦ - دارس داعيه : -

هو الدارس الموظف للدعاية لفكره بعينها وتأييدها بعجرها وبجرها وحقها وباطلها ، وخيرها وشرها . واعتبارها هي المثل الانساني الاعلا .

والدارس الداعية - بحكم وظيفته - ليس في مقدوره أن ينتصر لواقع العلم إذا استبان له في القرآن أو في ناحية أخرى سواه لأن تنصيبه كداعيه لفكرة بعينها لا يمكنه من ذلك . وإن كان يخدع ويخادع ويكني ويوري في أحاديثه وكتاباته ، ليظهر للناس أنه يقدم العلم على الجهل متى انكشف له .

ومهما يكن من أمره فصبغه الدعاية لفكرته تظل هي الظاهرة الغالبة .

٧ - دارس علمي : -

الدارس العلمي كل جهاده أن يكشف واقع العلم في كل المسائل التي يقبل على دراستها .

والدارس العلمي يرفض أن يعلن باسمه غير واقع العلم - سواء كان مايعلنه عن العلوم أو الفلسفات أو الأديان أو التاريخ أو الاداب أو الفنون . وسوى ذلك . والدارس العلمي هو أنشودة الانسانية الصاعدة وامنية أمانيها وضوء ظلماتها ، وحياة أمواتها من الدارسين الآخرين وصواب أخطائهم واستقامة انحرافاتهم فهو نور الحق وشمس المعرفة وبقلمه وحده ترفع صروح الحضارة وتدعم لمعاهد العلم وتشيد مراكز المخترعات والمختبرات .

والدارس العلمي روح العالم فيه يحيا ويتجدد ويزيد ويعمم به تصح الانسانية وتتهذب وتصفو وتسمو وتسالم . وبه وحده يصرع الجهل والدس والغباوة

والتقليد والخرافة والأسطورة والأحقاد ، والدارس العلمي هـو الدارس القرآني الموصوف في آيات كثيرة ، وإليك بعضها :

(وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ ، إِنَّ ٱلسَّمْعَ وَٱلْبَصَرَ وَٱلْفُؤَادَ كُلُّ أُولَئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْؤُولًا) ١٧ ـ ٣٧ .

(وَلَا تَلْبِسُوا ٱلْحَقَّ بِٱلْبَاطِلِ وَتَكْتُمُوا ٱلْحَقَّ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ) ٢ ـ ٤٣

(وَلْيَعْلَمَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا ٱلْعِلْمَ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ) ٣١ ـ ٢٢

(هُوَ ٱلَّذِي جَعَلَ الشَّمْسَ ضِيَاءً وَٱلْقَمَرَ نُوراً وَقَدَّرَهُ مَنَازِلَ لِتَعْلَمُوا عَدَدَ السِّنِينَ وَٱلْحِسَابَ ، مَا خَلَقَ ٱللهُ ذَلِكَ إِلَّا بِٱلْحَقِّ يُفَصِّلُ ٱلْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ) ١٠ ـ ٦

والنصوص العلمية اليقينية التي وردت في الدارس القرآني الذي هوالدارس العلمي لا تحصى كثرة في القرآن المجيد .

هؤلاء هم أنواع الدارسين من أول يوم بدأت الانسانية تدرس فيه حقائق الأشياء وتتعرف إلى عجائب الوجود وأسراره، وهؤلاء هم الذين درسوا القرآن ويدرسونه قديماً وحديثاً .

واني أقدم إلى المطالعين الكرام مثل كل دارس بالذات ليقفوا على الواقع ولا يهولهم الانحراف والفساد والجهل وجحود الحق والتنكر لواقع العلم في أقلام بعض الكاتبين عن معجزات القرآن العلمية وسواها ...

١ ـ **أما الدارس الاول** : ـ فمثله كمثل المشلول المعطل عن الحركة الارادية فعقله مسجون في عواطفه وعواطفه مشدودة إلى تقاليده ، وتقاليده هي واقع العلم لديه ، وما عداها ظنون وأوهام ، فهو لا يأخذ أو يدع إلا بها فأبحثها قبل أن تبحثه ، تعرف ما يأخذ وما يعطي وما يكره وما يحب . ومن كان هذا حاله فهو مطموس المعرفة ومن كان مطموس لمعرفه فلن يكون من جمله كاشفيها .

والمعرفة لا تبدو إلا لمن كان يملك الارادة الحرة ، والفكر المنطلق الجريء المغامر .

إذن فلا تنتظر من هذا الدارس إذا كتب عن معجزات القرآن أن يكشفها بل أحمد الله ألف مرة غير منقوصة إذا هو لم يطمسها.

٢ ـ **أما الدارس الثاني** : ـ

فمثله كمثل الذي صعد على سطح بيته في شهر آب الملتهب وهو يتوهم أنه ارتقى إلى قمة « افرست » ثم يأخذ توهمه يتفاقم ويتجسم حتى يجعله يرتعد رعدة عنيفة ، ويزود عن وجهه الثلج الوهمي المتساقط وهو يصرخ مستغيثاً « الثلج ! الثلج ! البرد ! البرد !.. » .

فهل ينتظر المطالعون من مثل هذا الدارس أن يكون كاشفاً لمعجزات القرآن العلمية أو لسواها وهو عاجز عن كشف أوهامه التي تملأ ما بين جانحيه .

٣ ـ **اما الدارس الثالث** : ـ

فهو كالحرباء لا يحمل لوناً أصيلا يدل عليه فمن اجتمع إليه وجده في لون نفسه ، ولن تستطيع أن تعرف طويته باصغائك إلى أحاديثه ، لانها لن تكون سوى ما تحسها طويتك وتهواها .

نعم تستطيع ذلك إذا عدت إلى كلماته المذاعة في الصحف ومحاضراته التي

جاءت بهــا البواعث المأجورة المتحاجزة والمناسبات المتضاربة والشرور المتصارعة .

وعلامة هذا الدارس أنه لا يعطي إلا إذا أخذ أضعاف ما يعطي .

وميزان قيمة الثقافة لديه المادة وهو لا يبالي بما يدخل عقله من علم ولكن بما يدخل جيبه من مال . فهو يرصد المال بقلمه رصد الفلكي الكوكب بمرقبه متجهاً إليه أنى اتجه ..!!

فهل مثل هذا الدارس يخضع لحكومة الضمير ، إذا مجـد الجهل باسم العلم ، وافترى على معارف القرآن ومعجزاته العلمية المفتريات ودسها من هنـا وهناك ، انك تجيب لا ! لا ؟ إلى ما شاء الله .

والأخلق أن تبتعد عن هذا الدارس خشية أن تعلــق في حبائله فيخدعك ويجرك إلى الكفر والجهل والباطل والافك باسم واقع العلم .

٤ – اما الدارس الرابع : –

فما تهمه معجزات القرآن العلمية في قليل أو كثير وإن كانت أسطــع من الشمس وأضوى من الفجر وأقوى من الفكر وأثبت من الدهر . وما دام لايؤمن بوحيه ذاته عز وجل فكيف تنتظر أن يؤمن بها ... ومثل دراسة هذا الملحد للقرآن المجيد كمثل دراسة السفسطائي لحقائق العوالم التي يعيش فيها وينتفع بهـا ولكن كلها لديه خيالات وأوهام . وفي الوقت نفســه يصرح العلم العلم . أنا لا أؤمن إلا بالعلم .

فإذا قلت له : « هؤلاء العلماء الراسخون ، عرفوا مواد العوالم القريبة منهم وعناصرها وذراتهـا ولكنهم مــا عرفوا السر الذي جعل بعضها حية وبعضها ميتة . والف بينها هذا التأليف الهائل الذي نجم عنه تكوين هذه العوالم .

ألا ترى أن الحياة آية الله الدالة على كمال قدرته :

(وَآيَةٌ لَهُمُ ٱلْأَرْضُ ٱلْمَيْتَةُ أَحْيَيْنَاهَا وَأَخْرَجْنَا مِنْهَا حَبًّا فَمِنْهُ يَأْكُلُون (٣٣) وَجَعَلْنَا فِيهَا جَنَّاتٍ مِنْ نَخِيلٍ وَأَعْنَابٍ وَفَجَّرْنَا فِيهَا مِنَ ٱلْعُيُون (٣٤) لِيَأْكُلُوا مِنْ ثَمَرِهِ وَمَا عَمِلَتْهُ أَيْدِيهِمْ أَفَلَا يَشْكُرُون (٣٥) سُبْحَانَ ٱلَّذِي خَلَقَ ٱلْأَزْوَاجَ كُلَّهَا مِمَّا تُنْبِتُ ٱلْأَرْضُ وَمِنْ أَنْفُسِهِمْ وَمِمَّا لَا يَعْلَمُون) ٣٦ ـ ٣٦

يا هذا ان الحياة التي ظهرت في هياكل الأحياء من تراب الأرض الميتة قد حيرت العلماء قديماً وحديثاً ، وما تزال .. وهذا العمري يقول :

والذي حارت البرية فيه حيوان مستحدث من جماد

أجل هذا الذي حارت البرية فيه قديماً وحديثاً صمم علماء الذرة المحدثون أن يكتشفوا حقيقته فجاؤوا بعين العناصر عنصراً عنصراً وركبوها عين التركيب حتى أشبه النوى النوى ولكن دون حياة . فأدركوا أن الحياة ليس مصدرهاما هي ماثلة فيه من عناصر الأرض وذراتها وإنما هي سر من أسرار الخالق العظيم يفيضها على بعض ذرات عالمنا المادي دون البعض فيخرج لنا منها نباتاً وحيواناً وإنساناً .

ولو كان مصدر الحياة ذات الذرات والعناصر والمواد المكون منها عالمنا الحي لوجدت في النوى الصناعية ما دام التركيب هو التركيب ، وما دامت العناصر هي العناصر وما دامت المواد هي المواد .

وهكذا أدرك العلماء الراسخون الذين تعمقوا دراسة الحياة ، في ذراتها أنها

سر علم الله الأزلي وتخصيص إرادته ومظهر قدرته فأمنــوا واعلنوا عجزهم عن صنعها بيد العلم [1] .

---

(١) اذكر مرة اني اجتمعت إلى شاب في مجلس علم ، قالوا عنه انه دكتور في العلوم الذرية والطبيعيات زعم انه شاهد العلماء قد خلقوا الحياة ، وقد استطاعوا ان يوجدوا نباتاً من بعض العناصر وحيواناً من بعض التخميرات ، بل زعم ان عالماً ذرياً إيطالياً اوجد طفلاً صغيراً من آلات صنعها لهذا الغرض وان العلماء الذين هناك ضجوا وسخطوا فأوقف اختراعه مجاملة لهم .

وابصرت عقلية هذا الدكتور اشبه شيء بعقلية امي قال لي يوماً : « جاءت من اوروبا آلات جديدة تصنع الدجاج ، وان كنت لا تصدق فهلم معي إلى مزرعة فلان،صاحبته وحين شاهدت الآلة ضحكت طويلا وقلت له : كنا ونحن اطفال نصنع من النخالة مثل هذه الآلة نظراً لتوفر الحرارة المطلوبة فيها .. وهكذا جهل هـــذا الدكتور ان الذرات التي تصنع منها النباتات هي الخلايا النباتية الحية التي نفخ الله فيها روح الحياة في النوى وقل مثل ذلك في الحيوان والإنسان، ثم قلت له يا استاذ لا يقال لمثل هذه الأعمال اوجدوا الحياة !! وإنما يقال اهتدوا إلى طريقـــة تنمية الحياة الطبيعية بوسائل صناعية تؤدي اعمالها مثل آلة فقس البيض ومثل هـــذه الآلات موجود منها حتى في جامعة بيروت الاميركية فإذا طرح طفل قبل أوانه في الشهر السادس مثلا يوضع في آلات التنمية الصناعية التي تقوم مقام الرحم في اعمال التغذية والحفظ وسوى ذلك حتى يتم النمو الناتج من صميم النواة الحية فمن الجهل ان يقال لمثل هذا العمل ايجاد للحياة او كشف لسر الحيـــاة ...

اجل لا يجوز ان نقول اهتدوا إلى سر الحياة إلا إذا استطاعوا ان يوجدوا من الطاقات المحضة ذرات جديدة حية تأتي بأنواع جديدة من الاحيـــاء او بذات الاحياء على اقل تقدير وهم حتى الساعة لم يستطيعوا ان يفلقوا كل انواع ذرات العناصر ويحولوها إلى طاقات محضـــة . كشأنها الأول قبل تكوينها .. حتى تقول انهم صنعوا ذرات حية جديدة جاءت بأحياء جديدة ، هذه دعاية إلحادية مفتراة لا اصل لها في المجامع العلمية بتاتاً، يقصد منها هدم الايمان العلمي الحق في قلوب المؤمنين ظلماً وعدوانا ...

على انه لا يجوز ان تقول أوجدوا الحياة إلا إذا أوجدوا أولاً الطاقات المحضة التي تكون منها الذرات ثم أوجدوا منها الذرات الحية التي هي أصل العوالم الحية والذرات الميتة التي هي اصل عوالم الجمادات . فهل فعلوا ذلك يا أستاذ ..!! فقال : هذا مستحيل ألف مرة ، قلت : اذن لا تقل أمام العامة انهم اوجدوا الحياة . هذا كفر وضلال وجهل بحقيقة العلم ، ورعونـــة وتسرع ، ودعاية الحادية مقصودة تؤاخذ عليها قضاءاً في كل أمة ، لأنها لا تستند إلى العلم .

إذا قلت له ذلك أثارته رعونة الجهل وغرور الإلحاد وألوى برأسه مصراً على إلحاده وجهله وازداد .

فهل ترجو ممن يكون هذا كفره بالخالق العظيم جـــل جلاله أن يؤمن بالعلم الذي يزخر به القرآن المجيد وغيره أو يقيم له وزناً إذا ظهر له أنه ينقض له إلحاده من أساسه ويجعله هباءاً منثوراً وهل تريد منه أن يحبس مواهبه لدراسة القرآن المجيد ويجهد ويسهد ولو كانت أسرار اعجاز القرآن في واقع العلم أعظم من أسرار الحياة . وحقائقه أكبر من حقائقها .

ويكفي القرآن المجيد فخاراً أنه نور الله الكاشف للحياة طريق السعادة في ظلمات الشقاء المادي الطامس . وان الانصراف عنه قبل دراسته دراسة علميــة أمينة محررة واعية جريمة لا تغتفر .

ولكن هذا الدارس للمحد العاتي إذا ألححت عليه بالبراهين العلمية القطعيــة المتلاحقة أشاح بوجهه عابساً وهو يقول : « انا لا أريد أن أشغل نفسي بشــيء كهذا، اللذة غايتي من الحياة وليس سوى اللذة ... !!

فإن قلت له هذا شقاء وظلام ، وأن كل لذة يقابلها أم يوزنها حتمــــاً . — أجاب : « أنا لا أبالي بظلام الغد وشقائه ما دام يومي مشرقاً سعيداً ..

٥ — اما الدارس الخامس : —

فمثله كمثل الطفيلي الذي يخترع ألف حيلة وحيلة ليصل إلى موائد ليس هــو من أهلها.

وهذا الدارس ليس له في المعرفة من إنتاج حتى يسأل : « أن إنتاجه وما هو وفي أي شيء !! وان كان يحسن إحتيال التظاهر بالمعرفــة وسرقتها واختلاقها فشأنه كله تطفل واحتيال وسرقة ومن كان هذا شأنه فكيف يكون قادراً أن يفهم معجزة واحدة من معجزات القرآن المجيد بله كشفها وعرضها على المجامــع العلمية في العالم.

٦ – اما الدارس السادس : –

فهو كحجر الطاحون يدور حول نفسه ، ولا يعطي سوى ما يعطاه . فان كان لحجر الطاحون إرادة في إيثار البر على الزوان ، فان لهذا الدارس إرادة في ايثار العلم على الجهل والحقيقة على الظن إلا إذا كان ذلك داخلاً في مـــا نصب للدعاية له .

فهل تريد من دارس هذا نظام دراسته المرتبط به أن يؤيد معك واقع العلم في معجزات القرن المجيد ولو أعلنها العلم المادي في أعلا منائره. وأوسع جامعاته ومجامعه .

اما الدارس السابع : –

فمثله كمثل مصفاة النفط تستخرج منه الوقود الصافي الذي يقدم للانسانيـة الحركة والحرارة والنور والتقدم ويطرح ما خبث زفتاً على الأرض ليكون مهداً للأقدام . وهذا الدارس على أكتافه تشيد قاعدة التقدم العلمي الصاعـــد ، في العالم . وهو ملاك الحضارة وقوام الانسانية ومثلها الأعلى وابن الحيـاة البكر .

وإنتاجه أضواء كشافة للواقع العلمي في كل شيء وهو الرادم لمغاور الظنون والأوهام والأباطيل والكذب والدس .

وهو رمز الانسانية السامية وسلامها ونفاهمها وتعارفها .

وهذا الدارس العلمي وحده هو الذي يعتمد عليه في كشف معارف القرآن المجيد ومعجزاته وأسراره وغرائبه لأن هذا شأنه في كل ما يدرس ويقـــدم للناس وهو الذي يطلق عليه بحق الدارس القرآني .

الا أن هؤلاء الدارسين ما خلا الدارس العلمي الأخير :

– : هم دعاة الالحاد والرجعية والوثنية والاشراك .

- : هم بواعث الافساط والشقاق والانتهازية والتلون .

- : هم شعل الأحقاد والثورات والحروب بين الأفراد والجماعات .

- : هم التجار المغامرون بأعراض الناس وثرواتهم ومصالحهم وأوطانهم ومستقبلهم .

إذن فأنى ينتظر من أمثال هؤلاء أن يقبلوا على دراسة القرآن المجيـد الذي أنزله الله عـــز وجل لاسعاد الانسانية جمعاء وسلامها وخيرها وهداها ومودتها وسواها . دراسة علمية واقعية محررة أمينة لأنهم لا يستطيعون أن يلاقوا الناس بقلوب صافية صفاء السماء طاهرة من وحـول الأرض وكبريائها وأطماعها وبلاياها .

فاذا كتب هؤلاء وأمثالهم عن معارف القرآن المجيد فكتاباتهم لا تـدل على شيء مما هي عليه من العجائب والمعجزات وانها تدل على ما نشئوا عليه من تقاليد وما أعدوا لحربه ومناكرته والدس عليه وليس جهلهم بما في القرآن المجيـد من معجزات العلم بحجة على القرآن ولكن ما في القرآن هو الحجة عليهم وعلى جهلهم بواقع العلم .

ونهاية القول ليس كل كتاب ألف حول القرآن يقرأ ولا كل مجلة ينظر فيها ولا كل محاضر يستمع له ولا كل عالم ينصب مدرساً لمعجزاته ولكن الذي يجب أن نأخذ عنه ونقبل على علمه ونستمع إليه محاضراً ومحدثـاً وكاتباً هو الدارس العلمي النزيه الامين الصادق هو الذي يحق يطلق عليه الدارس القرآني . وقـد كتب كثير من الكاتبين الغربيين عن القرآن المجيد ولكن ما كل كاتب كاللورد هدلي وغيرينه وبرذون وتولستوي ومحمد أسد ومحمدنصر الدين وكارليل وبرناندشو وج كمال الدين وجيبون وكيناني وهجنز وديفونبرت وسمث وكرهل وجريمنس وأمثالهم ...

ولولا أن الله وجه هؤلاء العلماء المستشرقين الى دراسة القرآن المجيد دراسة علمية خالصة لما رأيت هذا التطور الجذري في الغرب من أجل البحث عن واقع العلم بمعجزات القرآن المجيد وأهدافه وغاياته وكل ما يتصل به من تشريع لاسعاد الحياة الانسانية في العالم كله .

أما ما كتبه الشرقيون فمكاتب العالم تطفح بها . والقسم الذي طبع منه لا يستهان بـــه . والمستقبل كشاف عن الكثير الكثير مما نجهله اليوم عن القرآن ومعجزاته الكبرى .



القرآن وألفاظ أسلوبه المعجز
القرآن معجزة الآداب العالمية

— ١ —

« هـــذا بحث يتناول اختيار
ألفاظ القرآن وفق خصائص
الاعجـــاز .. »

من لم يع الأدب العربي ويتذوقه ويتعمقه في الفاظه المختارة وفي معانيه السامية وفي أهدافه العليا - وعي نقاد ، وتذوق فنان ، وتعمق بحاث ، فلن يستطيع أن يميز التميز العلمي : بين أسلوب المثل الأعلى المعجز القرآن المجيد -وبين أساليب الأدباء العباقرة المجددين .

وكم هم الشادون في الأدب والثقافة : الذين يقرأون ابن المقفع وابن زيدون والجاحظ وابن حيان وأبي نواس والبحتري وأبي العتــاهية والمتنبي من السلف ويقرأون المنفلوطي والرافعي وطه حسين والريحاني ومخاييل نعيمة وجبران وابن الزيات وكرد علي وشوقي وحافظ ومطران والرصافي والأخطل الصغير من الخلف وسوى اولئك وهؤلاء من فحول الكتاب والشعراء أكثر مما يقرأون القرآن ...

ولولا تلاوة القرآن واستظهاره ، والإفادة من أساليبه والتزام أصوله وقواعده ما تربع أولئك الأدباء القدامى ولا هؤلاء المحدثون عرش البيان ونالوا ناصيه الشمس ارتفاعاً وإشراقاً وخلوداً . « يقال » : في الأساطير ان علاء الدين كان لديه فانوس

سحري كلما أوقده انتصب حياله مارد ينجز له مأربه في أسرع من لمح البصر ، ويقال إن هذا الفانوس السحري اختلس في غفلة منه ووضع له مثله تماماً في محله. وكان يتفقد فانوسه هذا كل يوم بضعة مرات حذراً عليه . ولم يفطن انه سواه ، وفي يوم حز به أمر يقتضي إيقاده فبادر إليه وأوقده ولكن لم ينتصب حياله المارد كالعادة ، فأخذ قلبه يرجف وانتظر طويلا وانتظر ، ولكن دون جدوى وأخيراً أدرك انه سرق . وان هذا سـواه في الحقيقة وان أشبهه في المنظر ...

وكم نشاهد شخصين متشابهين وقد يكون أحدهما سحبـان العبقري والآخر باقلا الغبي . ولولا ان الصور تتشابه لما كنت تجد على أكثر الاصـناف الجيدة « احذروا التقليد » وواسطة الغاية ان الصور والأشكال والألوان الظاهرة سوى الحقائق والمعاني الخفية . الا تجد اللآلىء الصناعية الحديثة تفتن أكثر الناس ،ولا يميزها عن اللآلىء الأصلية إلا خبراء التجار ، وكم من مشاكل محتالة وقعت بسبب ذلك وكم من قصص انشئت . وأنت بالذات إذا لم يكن لك خبرة « زنبيل »فانك تفتتن بها وتنخدع وقد تؤثرها على اللآلىءالأصيلة .

ومن واجبي – قبل أن أدلي بشواهد عن إعجاز القرآن الأدبي – ان أصارح ناشئة ادبائنا الطامحين أن أسلوب الأدب المتفوق يتشابه بـأسلوب المثل الأعلى – القرآن المجيد – لأنه من بحاره يمطر ومن ينابيعه يسقي وقد يتلذذون به ويسخرون فيعكفون اليه تلاوة واستظهاراً أكثر مما يعكفون إلى آيات المثل الأعلى المعجزات ، اللائي هن مصابيح منائر بيانه الساحـر ونيرات جماله العبقري الكاسح . ولولا سذاجة بعض الدارسين وضعف قدرتهم عن كشف الواقع لما اختلط عليهم الأمر بين أسلوب المثل الأعلى القرآن المجيد وأساليب الأدباء المتفوقين الاختلاط المضحك المبكي الذي نلمس آثاره في صحف الأدب الكاسد واسفاره المغمورة . وقل مثل ذلك لولا سذاجة بعض العابدين وعجزهم عن كشف حقيقة الإيمان بالخالق العظيم

عز وجل ، لما اتخذوا لأنفسهم أرباباً من أفرادالكائنات ،هم يتفوقونها علماً وإدراكاً وإحساساً وخلقاً ويتركون رب العالمين وخالق الخلق أجمعين .

(أَتَدْعُونَ بَعْلاً وَتَذَرُونَ أَحْسَنَ ٱلْخَالِقِينَ) .

والآن أعلن بكل الإعتزاز العلمي والوعي الأدبي ان تحدي أسلوب القرآن وإعجاز الفاظه المختارة هو من غيوب علم الله الشامل لمـــا كان ويكون إلى غير نهـــاية ...

أجل ان الفاظ القرآن وخصائص معجزاتها تشتمل على حقائق ذات أسرار كبرى ومعارف جديدة وعجائب عذراء هي من آثار قدرة الله عز وجل وليس في استطاعة عباقرة الأدباء كافة وهم متساندون ومتكاتفون أن يضعوا ألفاظاً في لغة أخرى تعدل الفاظ القرآن أو أن يضعوا مرادفات لها في لغة العرب نفسها وفي الوقت ذاته تستوعب الفاظ القرآن من المعجزات الغيبيه وسواها التي ادخرها الله للاجيال .

وليس هذا من صـور الخيال لطائر وإنما هو من واقع العلم الناطق . ولبيان ذلك وتوكيده أدلي بامثلة من الفاظ القرآن واكشف ما اشتملت عليه من معجزات معانيها المكنوزة الواسعة الهائلة . ثم استوضح المترجمين العلماء الأمناء هل يجدون في اللغة التي يريدون ترجمة القرآن اليها الفاظاً تحمل في أعماقها أسرار المعجزات وحقائقها العلمية وسواها التي تحملها الفاظ القرآن المختارة لذلك . هذا غير ممكن قطعاً لا في اللغات الأجنبية ولا في اللغة العربية نفسها إلا إذا اتخـذوا طريقة الجمل شأن المفسرين ولكن طريقة الجمل هذه تفشل يقيناً لأن الاحاطة بالمعارف الالهية ومعجزاتها الكبرى المكنوزة في الفاظ القرآن لأجل المستقبل هي من غيوب علم الله ، وغيوب علم الله يجهلها البشر بكل تأكيد فكيف يترجمون مـــا يجهــلون .

نعم يستطيع المترجمون الراسخون في العلم الأمناء أن يختاروا الفاظاً أو جملا في اللغة التي يترجمون اليها تكشف لأهلها من معارف القرآن وحقائق معجزاته المختلفة بالمقدار الذي وصلت اليه معارف عصرهم وعلومه . أما انهم يستطيعون كشف كل ما أودعه الله في القرآن من غيوب المعجزات ذات التحديات المنازلة الغلابة على مدى الأجيال لكي يكون القرآن المجيد العربي في اللغة التي يترجمون اليها هو هو بكل ما فيه : أي يكون كتاب الله المعجز والمثل الأدبي الأعلى مبنى ومعنى فإن ذلك مستحيل المستحيل ولم لا يكون كذلك ؟؟ !! وتحديات إعجاز القرآن على تطور الحضارات هي المنارة الالهية الكشافة لحقائق العلوم والمثل العليا والسمو الروحي والمهيبة بالتائهين في ظلمات الصماء بصوت الازل الصارخ الداوي في عالم أصغر ذرة من ذرات الوجوه إلى عوالم أكبر اجرامه السابحة في أبعاده الواسعة الشاسعة والصارخ الداوي أضعاف ذلك طاقاته المحضة الصغرى والكبرى العاقلة وغير العاقلة .

أجل كشف كل غيوب المعجزات التي أودعها الله في القرآن المجيد مستحيل المستحيل مائة ألف مرة ولو استمر الاطراء العلمي الحديث في أمن وقوة ونشاط وتقدم صاعد على ما هو عليه مائة ألف عام... دون أن يعترضه حرب ذرية ضروس تقضي عليه حتى ولو أصبح مثلنا بالنسبة إلى ما يجد من ألوان حضارتهم يومئذ كمثل الاجيال التي كانت تسكن الأدغال والمغاوز في العصر الحجري بالنسبة إلى أرقى عواصم الحضارة الذرية الحديثة اليوم العواصم التي استكملت بها دنيانا زخرفها وزينتها وظن أهلها أنهم قادرون على كل شيء .

والآن أقدم بعض البراهين العلمية الناطقة في الآيات -ولو على سبيل المثال- خشية أن يتصور سطحي جاهل اني أضرب في ظنون وأوهام ، واني أتجاوز واقع العلم وهل يستطيع مؤمن صادق أن يأخذ بالظن ويترك العلم وهو يتلو آيات الله التي تحمل على الذين يفعلون ذلك .

(وَمَا لَهُمْ بِهِ مِنْ عِلْمٍ إِنْ يَتَّبِعُونَ إِلاَّ الظَّنَّ ، وَإِنَّ الظَّنَّ لَا يُغْنِي مِنَ الْحَقِّ شَيْئًا) ٥٣ — ٢٩ .

(قُلْ هَلْ عِنْدَكُمْ مِنْ عِلْمٍ فَتُخْرِجُوهُ لَنَا ، إِنْ تَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَإِنْ أَنْتُمْ إِلَّا تَخْرُصُونَ) ٦ — ١٤٩ .

ومهما يكن فلعنة الله – في كل الأديان السماوية – لاتفارق الذين يتبعون الظن والباطل ويذرون العلم والحق .



– ٢ –

القرآن معجزة الآداب العالمية :

يجب علينا لكي نفهم واقع هذا العلوان الكبير من الوجهة العلمية اليقينية : أن ندرس : –

١ – تطور أساليب الأدب العربي الموجه بخصائص المثل الأعلى ..

وهذا التطور يمكن أن نسميه « التطور الأدبي الموجه ».

٢ – تطور أساليب الآداب التي تفقد المثل الأعلى الموجه . وهذا التطور يمكن أن نسميه : « التطور المطلق » .

التطور الادبي الموجه:

هو تطور صاعد موجه بخصائص المثل الأعلى المعجز .

وهذا التطور لا يوجد إلا في الأدب العربي وحده ، لأن القرآن المعجز الذي هو المثل الأعلى قد نزل بلغة العرب .

ومن هنا كان القرآن وحده معجزة الآداب العالمية، لأن الآداب العالمية كافة تفقد مثله .

والتطور الموجه خال من الانحرافات والشذوذ والتهافت والتخلف ، لأنه مشدود بجاذبية المثل الأعلى المعجز ، ومأخوذ بروائعه الجديدة في كل جيل من الاجيال .

ومهما يبتكر الأديب العربي الحديث في أفانين البيان ويحلق ويجدد. فإنه يظل منطوياً في آفاق المثل الأعلى الفسيحة غير المتناهية الابعاد .

والمثل الأعلى المعجز : أخلد من الدهر ، وأحفل بالحياة من الزمان والمكان – مادة ومعنى – وهو غزير دفق الحرارة والنور من ينبوعه السماوي الأبدي المقدس .

وهو حجة الله القاطعة ، وله الملك الكبير ، والسلطان النافذ ، جنوده الاملاك ، وظلاله البركات والخيرات ، وهواتفه قصائر الخلد الفواتن .

وبواسطة عقد الكلم أقول متحدياً الثقلين بعزة و كبرياء وفخر :

« هو كلام رب العالمين » .

« هو القرآن المجيد » .

ومن أجل ذلك نجد الذين لم يكتب لهم شرف تذوقه ، وتعمق معجزاته من أسقاط الادباء ، يسقطون في مهاوي النقص ، وهم يحسبون أنهم يصعدون للكمال .

ونجد الذين يعبونه درساً ووعياً وهداية،وتأخذهم معجزاته البينات وتسحرهم الهاماته العبقرية المبدعة ، مباشرة أو بواسطة ، يوافوننا بأدب مثالي بكر ، ترف فيه أطيافه الساحرة، ومطالع جماله الباهر الزاهر ، ونفحات طيبة المنعش الخالد . .

التطور الادبي المطلق:

هو تطور صاعد رحابة فسيحة ، وهوادية شتى ، لأنه خال من المثل الاعلى الذي ينفخ في الأسلوب الأدبي روح الوحدة الحية الخالدة .

ومن هنا نجد الأديب العبقري في التطور المطلق ، تحفزه أشواق التجديد والابداع ، وعزائم الخلود والمغالبة والانتصار ، ليكون أدبه هو المثل الأعلى البكر الدائم والمنار الفذ الهادي .

ولما كان المثل الأعلى لا يدخل في صناعة البشر ، ولو اجتمعوا له ، لانه روح والروح من أمر الله وحده ، كان ما يأتي به الاديب العبقري المطلق هو من أدب التفوق الداخل في نطاق المكنة الانسانية .

وما تأتي به المكنات المطلقة في الاسلوب الادبي تختلف به الاجيال في كيان ذات اللغة لا في مظاهرها فحسب ، كما هو الشأن في الادب العربي .

ولو كان المثل الاعلى يدخل في صناعة البشر ، لاجتمع فحول أدباء كل أمة ووضعوا كتاباً معجزاً مثل القرآن، ينفخ نسمة الحياة الخالدة، وشوكة الانتصار في صميم لغتهم على مدى الاعصار .

ويومئذ تنزع الاعمار المحدودة عن آداب اللغات كافة وتكسى أثواب الخلود الابدي . ولكنهم يعجزون ويعجزون على حزم وعزم ومثابرة واجتهاد . وعجزهم هذا هو الذي يجعل تطور آدابهم دائماً جذرياً عاسفاً عاصفاً ، ويجعل أساليب العقاقرة المتفوقين ، في عصر ، لا تفهمها أممهم إذا تباعدت بها الحقب ، وتعاقبت الاجيال .

والمراد ألفاظ الاسلوب ، ونسق تركيبها ، وكيفية النطق بها ، لا المعاني التي يسهل نقلها من أسلوب إلى أسلوب في اللغة الواحدة ، كما يسهل نقلها من لغة إلى لغة أخرى .

فهذه « الشاهنانة » التي وضعها باللغة الفارسية في القرن الرابع الهجري أبو

القاسم الفردوسي وهي من من كبريات الملاحم الممتازة في عالم الادب، لو تليت على أبناء الفرس القدماء لما استطاعوا استيعاب فهمها لان لغة الفرس القدماء المسمات باللغة الفارسية « الفهلوية » أصبحت لغة متاحف بالنسبة للتطورات التي تداولتها . . .

وما قيل عن اللغة الفارسية ، يقال : عن اللغة الانجليزية ، فلو بعث الانجليز القدماء ، ومثلت لهم روايات شكسبير ، لما استوعبوا فهمها بالنسبة لما اعتري اللغة من تطورات .. وشكسبير لم يزل على كثب من لفتاتهم، وها نحن أولاء نجد روايات شكسبير تمثل اليوم باساليب الادباء المعاصرين . وهذا الكاتب الانجليزي المعاصر « شارلز ديكنز » عمله الادبي الممتاز هو نقل الآثار الادبية القديمة إلى اللغة الانجليزية الحديثة . وهذا شأن كل أدب في العالم ، وما قيل عن الادبين الفارسي والانجليزي يقال مثله عن سائر آداب الامم .

والواقع العلمي المشاهد أنه لا يوجد أدب صيغ قبل الف عام يلقى على جماهير شعبه في العصر الحديث ، وله نفس الفهم والتأثير والأصول الملتزمة لدى الهيئات الرسمية المسؤولة ، خلا الأدب العربي .

هذا كتاب « كليلة ودمنة » الذي مرت عليه القرون والأجيال ، تجد قصصه تنقل إلى كتب المطالعة للصفوف الإبتدائية وسواها ، في البلدان العربية كافة – في عصرنا – كما تنقل قصص أحمد تيمور .

« الكتاب » الذي جهل الباحثون مصدره في اللغة الفارسية الفهلوية القديمة ، إلى حد الجحود انه مترجم .

ويكفي لوعي هذه الحقيقة ، أن يأخذ الباحث كتب المطالعة الحديثة ، والمحفوظات المقررة في العالم العربي ، وكتب المطالعة والمحفوظات لدى أهل اللغات الأخرى ، وليقل .

« كم هي الكلمات والقصص والاشعار والحكم والأمثال التي يجدها صيغت باللغة العربية قبل الف عام ، وذكرت بذات أسلوب المؤلف والفاظه وكم يجد أمثالها في اللغات الأخرى ، صيغت في ذات التاريخ ، وذكرت باسلوب أربابها وألفاظهم في كتب المحفوظات والمطالعة الحديثة لديهم .

هذه هي أمجاد اعجاز القرآن في أدب اللغة العربية الخالدة ، وهذه هي دلائل اعجازه المشاهدة الملموسة ، في آداب اللغات الأخرى ...

وقد يتشابه أسلوب التفوق العبقري ، باسلوب المثل الأعلى المعجز ، لدى بعض الأدباء – في عصر ما – بسطحية وغباوة ، أو بعناد وكفر ، ولكن ما تكاد تختلف الأجيال ، وتتبدل مناسبات التفوق العبقري وأساليبه وأصوله وفروعه ، حتى يبدو للعلماء الباحثين الأمناء خسران أولئك البغاة وخيبة تقديرهم وانهزامهم في عين الواقع . لأنهم يجدون أسلوب المثل الاعلى هو هو قويا في سلطانه ، ماضياً في تحكمه ، كبيراً في تأثيره ساحقاً في تحريه .. ويجدون أساليب التفوق العبري غير مفهومة معانيها لشعوبها إلا بأقلام أدبائهم المعاصرين .

وكم سخر المطالعون المثقفون من سطحية الكاتبين الذين جهلوا سلطان المثل الأعلى – القرآن المجيد ، وأعماله الإيجابية التقدمية المستمرة في نتاج أدباء العرب ، فزعموا ان ذلك تقليد ، فشذوا في أدبهم ، وانحرفوا عن الاصول المعتمدة ، فكان جزاؤهم ، جزاء من شذ وانحرف .

سكتة الإهمال ، وموت النسيان

والواقع ان حيوية المثل الاعلى التي تتدفق في أنفس أدباء العرب هي عين التجديد وكيف تسمى هذه الحيوية الخالدة تقليداً .

وكل ما في الامر انهم أبصروا شواطىء المثل الاعلى ومنائره وأضواء الهادية للاعماق الملوحة للعاسفين في الظلمات – تضيء وتهدي – الاجيال على تعاقبها ، فخالوا ذلك تقليداً .

ولو انهم كانوا يميزون بين الروح الحي الخالد الذي يسكبه الخالق العظيم في بذور الورود ، ومـــا تطلعه من ورود ذات صور واشكال بديعة ممتعة ،ذات الوان وضياءة صافية .

وذات بسمات جذابة ساحرة

وذات طيوب عبقة ناعمة . .

الروح الذي يجدد الحياة ويحفظها دائماً .

وبين الشمع الذي يكون منة صناع اليدين العبقري أروع أنواع الرياحين ، وأبدع اشكالها وأفتى صورها وأنضر الوانها ، وهو خال من نسمة الحياة التي تحفظها وتجددها . .

لكانوا ميزوا بين الاسلوب الادبي الحي الروح الخـــالد في المثل الاعلى وبين الاسلوب الادبي الذي يتم بصنع العبقرية وما تصنعه العبقرية ينتهي به الاجل وإن امتد وطال . .

والاصل في ذلك ان الاسلوب مادة ، والحياة في المادة لا تدوم . بل لا بدأن تنتهي في الانفصال . ولا تدوم الا أن تكون معجزة.

وعملية التحنيط تصدعها بسمة الروح الساخرة . وهل تدل الجثث المحنطة الباهتة ، الحبيسة في توابيت الزجاج ، إلا على اخفاق حيلة الانسان في خلود الحياة في صميم المادة ، ولا تخلد الحيـــاة في صميم المادة ، إلا بقدرة خالق الحياة عز وجل [١] .

---

(١) لم يستطع علماء المادة ان يكونوا من الطاقة المخصبة التي خلقها الله عز وجل ذرات حية، فكيف يستطيعون ابقاء الحياة دائماً في ذرات الخلايا التي فارقتها الحياة ذلك مستحيل والعمـل لأجله عبث . ما داموا لا يملكون إيجاد الروح . والروح من امر ربي . يا ليتهم عرفوا كنهها قبل التفكر من ابقائها في الاجساد دائماً او قبل التفكر في إيجادها . .

وما أعمق ما قاله أمير الشعراء ، وهو يخاطب أبا الهول المنحوت من الحجر الصلد . ويعزو استمرار وجوده إلى فقده الحياة

ولو جدت فيك يا ابن الصفا ة لحقت يصـانعك المقتدر
فان الحياة تفل الحـديد م إذا لبسته وتبلى الحجـر

ومهما يقل علماء المادة المحدثون عن الحياة لا توجد في المادة الا بـإدارة الله الله وقدرته ، ولا تدوم أو تزول الا بارادة الله وقدرته . ومن هذا القبيل كان خلود الحياة في أسلوب القرآن ، وفي الفاظه وقواعده ونطقه وسنن بيانه ،وجدة معارفه ، وبفضل القرآن وخلوده نالهذاالخلود والادبالعربيوقدأدركمفكروا هيئة الامم المتحدة ذلك ، فقرروا تدوين اضباراتها الاساسية باللغة العربية . وهذا صنع حكيم مـوفق ، لان طول اختلاف القرون والاجيال تختلف معه اللغات ، لفقدها المثل الاعلى المعجز الذي هو الروح الخالد في صميمأسلوباللغة . وفي الروح الخالد يقول الله عز وجل .

(وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحاً مِنْ أَمرِنَا ، مَا كُنْتَ تَدْرِي مَا ٱلْكِتَابَ ، وَلَا ٱلْإِيمَـانَ . وَلَكِنْ جَعَلْنَاهُ نُوراً نَهْدِي بِهِ مَنْ نَشَاءُ مِنْ عِبَادِنَا ، وَانَّكَ لَتَهْدِي إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ، صِرَاطِ اللهِ الَّذِي لَـهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ ، وَمَا فِي الْأَرْضِ ، أَلَا إِلَى اللهِ تَصِيرُ الْأُمور) ٤٢ ـ ٥٢ .

ولو وجد مثل هذا الروح الخالد المعجز في لغة أخرى غير لغة العرب لخلدت خلودها ، وحملت ما حملته من طاقات هائلة لن تنفذ !!!

ولكن هذا صنع رب العـالمين وحده ، ولو كان في إمكان البشر صنعه ،

لاستطاعت الدولة الرومانية أن تصنع للغتها مثلا اعلا وتنفخ فيه الخلود...وقد شيدت لها الجامع والمعاهد في كل مكان، وبذلت من أجل إذاعتها والسمو بهـــا الوفير من المال ، ورصــدت لها كل امكانياتها وشجعت النوابـغ من علمائهـــا ، والعباقر من أدبائها . بأسمى الرتب ، وأجزل الثراء وأكرم الوفــــاء ، وأوفى التقدير .

وهذا عين ما صنعه الفرس للغتهم والإغريق ، والعرب القدماء قبل نزول القرآن . ولكن كانت نهاية كل تلكم الاعمال الجبارة الهائلة ،نهاية كل عمل إنساني محض ليس له من صنع الله روح ، وصنع الله لا يضارع ولا يتخلف ولا يخيس ولا يقاوم ولا ينكسر ولا يندسر . إنه المثل الاعلى : « ولله المثل الاعلى » .



الحجر الأسود

يظن بعض الكتاب الغربيين ان الحجر الأسود صخرة كبيرة كانت معبودة في الجاهلية وظلت معبودة في الإسلام . ومأتى ظنهم هذا هو ما جاء في السيرة من أن زعماء القبائل اجتمعوا على حمل الحجر الأسود حين اقترح النبي ﷺ وضعه على ردائه لينال كل واحد منهم حظه من السؤدد ورضا النفس . بعدما اختلفوا على حمله وغمسوا أيديهم في الدم . والواقع هو غير ما ظنوا ولو شاهدوا الحجر في موقعه من البيت الحرام لأدركوا خطأهم وفهموا الغاية التي من أجلها كان في الجاهلية والإسلام علماً للطائفين ليكون منه ابتداء الشوط واليه نهايته .

وما الحجر الأسود معبوداً حتى في الجاهلية ، بله الإسلام ولو كان الأمر كذلك لحطمه النبي ﷺ كما حطم كل معالم الوثنية والاشراك سواء منها ما كان في الكعبة أو في غيرها .

وهنا يجدر بنا أن نلفت الأنظار إلى جملة مسائل كانت منار الوثنية والاشراك والالحاد والسخرية والخصومات بين الكاتبين منذ أبعد الأزمان إلى اليوم ...

ان الخلط بين العبادة الموجهة إلى الله خالق العوالم المادية والمعنوية كلها القادر على الايجاد والاعدام الذي بيده التصريف المطلق ملكوت كل شيء واليه وحده يرجع أمر الخلائق أجمعين لا يشاركه بذلك مشارك في أي عالم من العوالم . وبين التعظيم لشعائر الله التي هي من تقوى القلوب .

إذن فالذين يقبلون الحجر الأسود ويطوفون حول البيت الحرام هم لا يعبدون الحجر أو البيت وإنما يعبدون الله وحده في تعظيم شعائره التي أمر بتعظيمها . كالذين يعظمون المساجد فهم لا يعظمونها لأجل أنهم يعبدونها بل لأنهم يعبدون الله وحده فيها ، اما فلا تزيد في نظرهم عن أحجار مبنية لا تضر ولا تنفع :

(وَإِنَّ ٱلْمَسَاجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدْعُوا مَعَ ٱللَّهِ أَحَدًا) .

وبعيد عن الواقع قولهم : « وكذلك الذين يعبدون الاحجار والابقار والنصب والتماثيل والنجوم والاناس لا يقصدون عبادتها بالذات وانما القربى من الله » . بعيد عن الواقع لأمور :

الأول : –

« ان الله لم يجعل تعظيم هذه الأشياء لنيل المثوبة منه كما جعل شعائره المقدسة والأمر في ذلك لله وحده.

الثاني : –

جعلوا الخالق العظيم مخلوقاً ، إذ اعتقدوا أنه روح يحل في هاتيك الاشياء المعبودة لهم فكفروا وجهلوا انهم كافرون . ولم يكفهم ذلك بل جعلوا حجة إنتقادهم علينا جهلهم .

الثالث :

نحن نسكن الارض والارض عالم مادي وأرواحنا تسكن أجسادنا وأجسادنا مادة . ونحن بحكم فطرة التدين وبواعث الوارثات وإيجاد معالم الوجود الصامت الناطق ودلائل الوحي الالهي إلى كشف حقيقة الايمان وعباده خالق الوجود الحق وحده . ونحن حين نعبده وحده عز وجهل في سهل أو جبل أو معبد أو بيت فأننا لا نعبد السهل أو الجبل أو المعبد أو البيت وإنما نعبده وحده دون أن

نشرك به سواه . أو نعتقده روحاً قائماً فيما يعبده الوثنيون من مخلوقات ، و كبير في الجهل أن يقال عن المسلم حين يقبل الحجر الاسود أو يطوف حول البيت أو يسعى بين الصفا والمروة أن عمله هذا عبادة وثنيـــة لان المسلم لا يشرك هذه الاشياء في عبادته لله عز وجل ولا يعتقد أن الله روح حل فيها تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً نعم قبل الرسول الحجر الاسود وهو يعلم أنه لا يزيد عن كونه حجراً ، وضع عليه للطائفين وإنما القبلة تعظيماً لشعائر الله .

و كذا الحجاج يقبلونه وهم يعتقدون أنه حجر لا يضر ولا ينفع وإنما يفعلون ذلك تعظيماً لشعائر الله ، والله عز وجل يقول : « ومن يعظم شعائر الله فإنهـا من تقوى القلوب ».

* * *

لله أنت يا طيبة

أنت كنوز من الذكريات الماجدة ، ولجج من الأنوار الخالدة .

هذا مسجد رسول الله ـ صلوات الله وسلامه عليه ـ وهذه روضته الشريفة . وهذا مصلاة ، ومنبرة المنيف الذي كان يخطب الناس فيه ، ويطهرهم ويهذبهم ويعلمهم الكتاب والحكمة .

أو ليس من هذا المنبر صدعت آيات الله : بمثلها العليا ، وخيراتها وبركاتها الشاملة للانسانية كافة .

فمسجدك هذا ـ يا طيبة ـ مطلع فجر الاسلام ، ومنار تعاليمه . وملتق علمائه وخلفائه الميامين إلى قيام الساعة .

خلائف الله جلوا عن موازنة   فلا تقيسن أملاك الورى بهم

ومن مسجدك هذا تفجرت ينابيع العلم الموارة تفجيراً ، وتدفقت إلى كل البلاد ..

ومن روضته المطهرة تخرج الائمة الاعلام ، وساحوا دعاة إلى الله مبشرين ومنذرين ، لا يريدون إلا وجهه ، ولا يطلبون سوى رضاه .

ومن ساحاته الفسيحة انطلق المجاهدون الابطال يحملون رايات السلام ، ورجال الاصلاح يحملون المصاحف إلى البلدان. ليزيحوا ظلمات المظالم، ويقيموا قواعد العدل بين الناس جميعاً . ويوجهوا التشريع وجهته الانسانية السامية المتساوية ، كما أرادها الله ، دون تميز بين أبيض وأسود وبين عربي وعجمي ،

وبين غني وفقير ، وبين حاكم ومحكوم ، وبين قريب وبعيد .

فهم أئمة الاسلام ، أئمة التشريع الانساني العالي، أئمة الخير والهداية الانسانية العامـــة .

هؤلاء هم سلفك الابرار ، وهل تحوز الأمم سلفاً مثل سلفك رحمـة وعدلا ، وإيثاراً وبراً ، ووفاء وصدقاً وإيماناً وعلماً..

هذه آثارهم تدل على أعمالهم .. وهذه أعمالهم قائمة بيننا ناطقة ...

فمالهم الذي مضى عالم النور والحق والعلم والايمان والرشد .

وإني أحس السعادة تفيض بين جوانحي ، فيضاناً ، كلما استغرقت في عالمهم مفكراً دارساً متأملا.

وكم قلت في نفسي : هـا هي الحضارات المادية استطاعت أن تخرج ابن آدم من جاذبية الأرض ، وتجلسه على سطح القمر فلم لم تستطع أن تخرجه من حيوانته وترصدها ، وتحاجزها وختلها وفتكها ، وتجعله إنسانا إنسانا ؟!!

فاسمع الجواب وراء منطلق الصواريخ .

حضارتكم المادية تعجز عن اقتلاع حيوانية أكبر عالم ، وأكبر جاهل ، ولو تمكنت أن تملأ فضاء الكواكب صواريخ علمية كاشفة .

إنما الذي لا يعجز أبداً هو الايمان العملي الصادق بوحي الله اليقيني .

ولعل محدثي يخالني معه إذا فتحت له عيني ، وهززت رأسي . !!!

وأنى له يعلم: أني مستغرق في عالم غير عالمه: بروحي وهواتف قلبي وأضواء بصيرتي وبصري .

مستغرق في مواقف سيد السلف الصالح ، ومعلمهم العظيم ، سيـدي رسول الله وهو مع صحبه الميامين الأبطال ، ويزداد حنين قلبي وخفقاته، وأصغى بكل حواسي ومشاعري ، فأسمع كلمة التوحيد تعالى أنى اتجهت ؟... وتملأ الصدور

والأفواه ، فآخذ أرددها في أعماق نفسي بكل ما تملك من إيمان وحماسة ومحدثي يبالغ في إسهابه وإشاراته وفي زعمه أني معه ، لأنه ممسك بأوهن خيوط الانتباه هز الرأس وشخوص البصر .

وهل يرى حركات القلوب وخواطرها ويسمع هواتفها وضراعاتها ، ويعلم إتقاد حنينها وشعلاته غير الله وحده .؟!!

وفخاري أن حنين قلبي وخفقاته : يسعد ولا يشقى ، ويضيء ولا يظلم ، ويشفي ولا يمرض ، ويصحح الايمان ولا يزيفه ، ويصفي العقيدة من كل شرك ولا يلوثها ..

كن – يا أخي – كيفما شئت راضياً أو ساخطاً ، فما استغرقت في أحلام عالم يطفح فيه الرياء والانحراف والإثم والاشراك الذي لا طائل تحته .

دعني وشأني ، وما استغرقت فيه من معالم الايمان الصحيح ، ونعمة الوفيرة ، وسعادته الفائضة ، وخيراته الكثيرة هي معالم الأسوة الاعظم صلوات الله وسلامه عليه –

وصحبه الأبرار الذين لا يظلمون أحداً ولا يحابونه في بغضهم وحبهم ..

وليس في استطاعتي أن أنقلك إلى معالمهم المباركة العظيمة ، وإن كانت منك على كثب ، إذا أنت لم تنقل نفسك إليها :

بالايمان الصحيح ، والمطالعة في تفاسير الأئمة الأعلام ، وكتب السنة الصحاح ، وسير رسول الله وسير صحبه الأبطال . وأئمة السلف الاعلام ، وما خلفوا من فقه .. والا فاعذرني إن كنت من العاذرين أو قل هو يحلم ، أو يتخيل ، فما أبالي ، لان الحلم الصادق يفسر ، وتخيل المشاهد التاريخية الصريحة الصحيحة : تمثل أعمالا كريمة على مدي الاجيال : « ثلة من الأولين ، وثلة من الآخرين » ..

ويسعدني أني لا أنبس ببنت شفة ، ولا أخط سطراً إلا وقد قبسته من مشارق أنوار معارفهم ، ومطالع آدابهم ..

وهل معارفهم الا قبس من أنوار كتاب الله ، وما صح من سنة رسول الله.. صلاة الله وسلامه عليه ، ولن تجد يراع هداية لم يستق مداده من قدس معارفهم التي فاضت على أثلاث أقلامهم فيضاناً غامراً في المشرق والمغرب ؟!! هي معارف أقدارها تعلو بتداول الحقب وتنكشف أسرارها ، ولم يستطع أهل الباطل أن يزيفوها بأراجيفهم ، أو يدنسوها بأوبئة معتقداتهم ..

ولو زوروا أراجيفهم بختم واقع العلم ، وأوبئة معتقداتهم بختم حرية الفكر .

مساكين هم ينطحون صخوراً من الفولاذ بقرون من قصب.

والناس يسخرون منهم ، ويا ليتهم يعلمون ..

يا هؤلاء !!!

كفكفوا مهازلكم ، فوالله الذي لا إله إلا هو ، لو امتلأ فضاء عوالم الأجرام السماوية على سعته الهائل بأمثالكم من الملاحدة الظلمة ، وتكاتفوا يراعاً بيراع ، وصحيفة بصحيفة ، ليحطموا من اعجاز وحي الله في عين واقع العلم اليقيني مقدار جناح بعوضة لما استطاعوا إلى ذلك سبيلا ، ولو ظلوا يمارسون إذاعة الحادهم قدر دوران الارض حول الشمس من أول دورة ، إلى آخر دورة ..

يا هؤلاء

اذكروا أن الصهاينة قالوا لكم : اذهبوا وناموا عند نسائكم ، ودعوا كشف حقائق العلم للعلماء ..

واذكروا أن حقائق العلم لا تكشف بمثل كلماتكم : هذا صدق ، وهذا كذب ، وهذا علم وهذا جهل ، ولا بما تختلسونه من صحافة أوروبا الشرقية من الحاد ، واذاعتكم له أنه عين حقائق العلم ، وانه من صنع تفكيركم ..!!

يا هؤلاء اخسأوا لو كانت حقائق العلم تكشف بمثل هذه المضحكات لكنتم أنتم رواد القمر الاول .

يا طيبة

لك من الله جل جلاله مجد الكرامة .؟!!

أما جعلك طاهرة مطهرة طيبة .؟!!

طاهرة

أجل غسلك الله بوحيه غسل البيت الحرام،من كل أدران الوثنية والشرك، ومن كل أساطير عقائدهما وضراعاتها وابتهالاتها. فأنت طاهرة ولا انتكاس إلى القيامة ..

فقد دعم فيك اخلاص العقيدة ، وكرم الاخلاق، وبطولة التضحية ، ونخوة الايثار واستقامة العفاف ..

بل دعم فيك كل إصلاح .

وأزاح عنك غوايات الفتنة والاغراء ومهاوىء الابالسة .

بل أزاح عنك كل فساد ..

فهذا عمر رضوان الله عليه ، لما تبين أن نصر بن حجاج جماله يغري ويفتن ــ ربات الحجال أخرجه إلى البصرة ، ابقاء على طهارتك ، وحرصاً أن تظل آيات وحي الله تعمل أعمالها السامية الصافية في نفوس بنيك كما أنزلت من السماء غير مشوبة بغواية ورجز وافك ..

وما ينبغي أن تكون الغواية والرجز والافك مجاوراً لرسول الله ـ صلوات الله وسلامه عليه ــ إنما يجاوره الحق والنور والهدى والدين الخالص ..

فأنت ــ يا طيبة ــ إذن طاهرة طاهرة ..

٢ ــ ومطهرة :

أجل أنت مطرة الانفس من أرجاسها ومظالمها ..

وتطهير الانفس من أرجاسها ومظالمها : هو الجهاد الاكبر .

وما أكثر الانفس الرجسة ، وما أوسع مظالمها في هذه الدنيا ..

وما أخفى بواعثهما في مجرى الخواطر ، وأعسر اقتلاعها من أعماق النفوس.

وكم جاهد رسول الله ، وكم سهد ، وكم لاقى من الشدائد والاهوال ، وهو يُعلّم ويهذب ويغسل ويطهر حق أعد فيك – يا طيبة – خلاصة خلاصة المصلحين ، ليكونوا قادة فتوح الرحمة والصدق والمودة والايثار ، والهدى والسلام ..

فايمانهم بالله إيمان أعمال . وثقتهم به ثقة يقين ، واخلاصهم اخلاص صدق . ومعاملتهم معاملة تسامح .

فهم أبطال أوفياء ملكوا الدنيا وآثروا ما عند الله على كل مفاتنها الباطلة ، وكل زيناتها الزائفة ، وكل مطامعها الحاقدة ..

ملكوها بحذافيرها ،

وتخلوا عنها بحذافيرها ..

وآثروا أن يعيشوا عيشة رسول الله – صلوات الله وسلامه عليه ، في كل ما أمر به ونهى عنه .

فأقاموا في الارض موازين العدل الالهي ، ورفعوا على أعلامها أعلام السلام والهداية وخالقوا الجماعات والافراد بالمخالقة الحسنة والمودة والمسامحة .

حتى كنت عاصمة الاسلام الاولى : العاصمة المثالية التي حلم بها الفلاسفة وتحققت لاول مرة في التاريخ عاصمة السياسة الراشدة : سياسة وحي الله ..

وحتى كانوا بحق القادة المثاليين ، لكل قادة الامم على مدى الاجيال ... فما نكثوا عهداً ، ولا خانوا أمة ، ولا كذبوا في قول ، ولا تلونوا في معاملة ولا اقترفوا أثرة ولا انتقصوا حقاً ..

فهم اساة مصلحون طهرتهم طيبة المطهرة على يد سيد الخلق ، أيما تطهير ..

١ – وساسة الامم ان كانوا من أهل الثقافة والعلم والانسانية اعتبروهم جزءاً

من معجزات رسول الله - صلوات الله وسلامه عليه - وأثنوا عليهم الثناء المستطاب ، واعترفوا بعجزهم عن بلوغ شأوهم ..

٢ - وان كانوا من ذوي الثقافة المتوسطة المغرورين برفعة مراكزهم ، ونفوذ سلطانهم وسعة دولتهم . لم يبالوا بهم في أنفسهم ، ويثنون عليهم خديعة بالسنتهم - ثم يأخذون في الدس ضدهم : بحجة التمييز ، بين الصعود العلمي المادي الذي امتازت به المدنية الحديثة ، وبين الصعود العلمي النفسي الذي امتاز به خاتم الكتب السماوية : القرآن المجيد ، طارحين القسم العلمي المادي منه الشامل للصعود الصناعي : جهلا أو تجاهلا .

ومن هنا ينسبون التخلف إلى عصر فجر الاسلام ، بسلوك هذا الطريق المقلوب المغشى بالدس والافتراء .

وعلى الرغم من تزيفهم فأضواء سياستك يا طيبة ستظل شاعلة وضاءة : لانها أضواء : الله جل جلاله هو الذي أوقدها ، وما أوقده الله لا يطفأ بالافواه ..

إذن فأنت - يا طيبة ، مطهرة مطهرة ، وهذا دأبك إلى يوم القيامة ومن يحاول الخبث فيك يبتر منك ، ويطرح وراء التخوم بيد القدر ان لم يبتر ويطرح بيد البشر ..

ورسول الله حذر وأنذر وما ينطق عن الهوى: « المدينة تنفي خبثها كما ينفي الكير وسخ الحديد » .

٣ - يا طيبة

قد جعلك الله طيِّبة ،

ولم يزل طيبك حديث الاذاعات ،

ولم يزل طيبك أنشودة الشعراء

ولم يزل طيبك محل دهشة المؤرخين واكبارهم .

ولو جعل الله سكان أرضنا ربانيين سلميين ، بدل هؤلاء الذين كفروا بكل إيمان وآمنوا بكل كفر ، المتزايدين بمهالك العدد رغم مؤتمرات تحديدها ، والامساك عن التزايد بها !! ولا تحديد ولا إمساك إلا في أفواههم ، ومعاهدات مؤتمراتهم ..

أي لو جعل الله بدلهم ربانيين سلميين فعلاً ، وحققوا السلام بينهم أعمالاً ، وفجروا الانسانية العليا في كل إقليم بالمودة المتبادلة والثقة ، وبتروا خواطر العدوان من أنفسهم بتراً..

ثم فكروا أن يتخذوا عاصمة ، تفرض دستورها السلام بينهم . لما وجدوا سواك وسوى دستورك المنزل – ياطيبة – ..

فأنت أحب البلاد إلى الله ، والله هو السلام ، ودستورك المثل الأعلى وهو جامع لكل أصول الاصلاح العالي. ولا مدينة من مدن البشر تضاهيك في مزاياك الخيرة ..

اما نجد أهلك يحتشدون للضراعة في مساجدك رجالاً وولدانا ونساء في كل فجر منذ فجر الاسلام الاول إلى آخر فجر في الدنيا ..

فهذه أنوارك – يا طيبة – !! وأنوارك ، تطرد متسلسلة من الأزل إلى الأبد .

وهذا طيب أهلك – يا طيبة – وطيبهم مؤثل ومؤبد .. لانه مستمد « من صدق اتباعهم للاسوة الأعظم . ومن شرف جوارهم له : أحياء وأمواتاً ..

يكفي انها أنوار الله ، أنوار الحق ، أنوار الايمان ، أنوار الاصلاح العالي .

والانسانية ظمأى إلى نهلات ونهلات من عبابها الدافق المتألق ، ولكن أين هم الادلاء السقاة الكرام ..

هي أنوار وسعت السموات والارض ، ووسعتها القلوب المؤمنة ، وما ضاقت عنها ساعة ، ولن تضيق ..

إنما تضيق قلوب جاحديها ، وما آمن جاحدوها حتى تسعها قلوبهم ..

لله انت يا طيبة :

ما أكرمك على الله .. فهذه مساجد رسول الله . ينبوع الايمان الصحيح ، وقمة الخلق الكريم ، وملتقى وفود المؤمنين في كل عام، لا تزال شامخة الاركان، مرتفعة القباب ، باسقة المآذن فسيحة الأروقة ، عامرة بالمصلين الركع السجود، والمطالعين والدارسين والذاكرين :

تحفهم ملائكة الرحمن ، وتغمرهم أضواء السماء ..

١ – وهذا مسجد قباء . وهو أول مسجد أسس في الاسلام : أسسه رسول الله ، وصحبه الابرار الاطهار ، وعمل فيه بيديه الكريمتين ، وأحكم بنيانه ، ورفع قواعده ، فكان في الدنيا منار هداية العلم اليقيني والوحي اليقيني الهداية الواعية الحكيمة القائمة على الحجة والبرهان .

وفي كل عام تفد إليه الوفود من كل الدنيا ، وتملأه بالصلاة فيه والضراعة والدعاء أسوة برسول الله .. إلى جانب أهله المصلين الضارعين ..

وهو محل إقبال الامة وسموها ، وهو في اتقان بنائه الجديد ، وابداعه آية رعاية الدولة ، واهتمامها ببيوت الله ..

٢ ـ وهذا مسجد الجمعة وفي مكانه صلى رسول الله فيه أول جمعة في الاسلام، وفيه ألقى أول خطبة جمعة ، لا تزال إلى اليوم : تحتذى في كل مساجد الدنيا ، وصورتها حية قوية مشعة بالخير والهدى والرشاد في كل مدينة وقرية .

وهو مسجد الجمعة والجماعة ، وكم في الجمعة والجماعة من منافع للبشر . لو عقلها البشر : تريكها النجوم بأضوائها وسموها وبركاتها ، ولا تريكها باعدادها لان اعدادها ، لا يحصيها إلا الله..

٣ ـ وهذا صدرك يا طيبة تحلي بواسطة عقد مساجدك ، وفخرها وزينتها

المسجد النبوي العظيم .. انه مسجد « تشد إليه الرحال من كل البلدان، وتخفق بحبه القلوب المؤمنة وتربو فيــه الحسنات ، وتغشاه الملائكة الكرام في كل آن ...!!!

هو خالد خالد ..!!

تعتز الدولة بتشييد بنيانه وافساح معالمه ، واحكام قبابه ، ورفع منائره ..

آيات الله تزين جدرانه ، والمؤمنون الصادقون يتلونها اناء الليـل وأطراف النهار ..

والدنيا تضؤل فيه ، وتخشع تحت قبابه ، وفيه تطهر من ظلمات الاطمــاع وأحقادها المدمرة ..

والانوار دافقة لججها فيه،والمؤمنون ذوو البصائر يرون وينعمون ويهنأون..

ويا سعادة الانسانية بعلوم رسول الله الدائمة الفيضان ، ويا فوز علمائها البررة الأطهار سلف هذه الأمة الماجدة ـ أمة الاسلام ـ هادموا الكفر والالحــاد ، والقائمون بتهذيــب سيرة الأجيال ، والذائدون عن استقامة الايمان الصحيح ، والرافعون شعائر وحي الله اليقيني في كل مكان ..

فبهم تفجرت علوم رسول الله وساد الحق ، وأشرق الهدى ، حتى غدت بهم أمتهم ، الأمة المثالية التي هي خير أمة أخرجت للناس .

ويا سعادة العلماء الذين يمارسون علوم رسول الله في روضته الشريفة المنيفة ، الملائكة الكرام تظللهم ولم لا تظللهم وهم يتدارسونها في منبعها الاول .. انها روضة من جنات الخلود ناضرة بأنوارها بملائكتها بتجلياتها باشواقها القدسية !! وسعادة الايمان فيها تدوم وتدوم ..

وكم شهد منبرها العظيم إنتصار رسول الله ـ صلوات الله وسلامه عليــه ـ للحق وحده ، وما ضل من انتصر للحق وحده ولا انتكس .

أنـّى يكون الضلال وكيف يخل الانتكاس ، وروح القدس يهبط بالوحى متتابعاً مسدداً مقوماً .

والظـّماء الظماء من المؤمنين يتهافتون عليه لينعموا بفيضه الدافق الغامر ، وبسعادته الدائمة ، لتقوى إرادتهم بالعزائم الطـامحة إلى أرفع أمجاده ، وأسمى محاربيه .

والملحدون لما يعلمون من بطش إعجاز الصارخ المتحدي ، لفلسفة الفلاسفة وعلم العلماء . يلجأون إلى الاسرائليات المدسوسة هنا وهناك ،ويقيمونهاسدوداً، لكيلا ينفذ دفق إعجازه إلى أهل العلم إلا مهلهلا ...

ولكن غرب عن أفكارهم أنها لن تكون حياله إلا سدوداً من القش أو هي أوهى .

لله أنت يا طيبة !!

أنت في جزيرة العرب قمة عزة وسؤدد ، وذروة إنسانية وتهذيب..وجزيرة العرب تسامت بك حتى أصبحت سماء أمجاد ومطالع أبطال ، ومنال أمنيات.. يقول أحمد شوقي

لولا دمشق لمـا كانت طليطـلة ... ولا زهت ببني العباس بغداد

والتاريخ يقول : وقوله الحق ..

لولا طيبة – لما كانت دمشق ولا بغداد ولا طليطلة .

ومناهلك السماوية المقدسة في جزيرة العرب لم تزل صـافية دافقة ، وأبناء الجزيرة دائماً يردونها بظميء وشوق »

ويعبونها عباً ..... !!

وكم يسعدهم أنهم يحملون طيب سقياها إلى إخوتهم أبناء الإنسانية كافة . وهم في نشوة فيضان الإيمان وفي حماسة تبتل الإخلاص ، وفي سمو جلال العلم ..

وإنها للعلماء الأحرار ، نقطة ارتكاز لأبصارهم ولبصائرهم بعدتمحيص الريب، ودحض الفتن ، وكشف الدسائس .

١ – نقطة ارتكاز لأبصارهم ، لأنها وسعت السموات وما فوقها وما تحتها ، ومفصل فيها كل شيء تفصيلا ...

وما يتجاهل ذلك إلا ملاحدة المنصريين : العميان الكبار .

٢ – ونقطة ارتكاز لبصائرهم ، لأنها منطلق المعارف الدافقة المتجددة التي تسبق المعارف البشرية ، وتمهد لها سبل اليقين العلمي ..

ولا تطمس إلا على بصائر الملحدين المطموسة بالزيغ والإلحاد ...

وفضل العلماء الأحرار ذوي الابصار والبصائر العلمية من القدماء والمحدثين كبير جداً .. لأن ما يكشفونه من حقائق العلم اليقيني ، ومعجزات الوحي اليقيني على توالي الاعصار .. وما يعلنونه ليس في طاقة زعماء البشر أن يوفوهم ما يجدر بهم من جزاء ، إنما يوفيهم المولى الكريم بل ويضاعفه إلى غير نهاية .

ويا حبذا ما اكتشفوا ، ويا حبذا ما أعلنوا .

حسبهم انهم شوامخ قمم ، ومنائر علم ، وصناديد معركة من أجل تحرير المعرفة من كل زيغ وافك وسذاجة ودس ... وما وهنوا ولا أحجموا ولاتلونوا بل صبروا وصابروا ورابطوا .

حتى باركهم الله ، وبارك أعمالهم ، وسخر لهم كل ممنّع عزيز ..!!

وانطلقت بالثناء عليهم السنة الأبد وكانوا بحق مثل وحي الله العملية المشاهدة: فهم لا يكذبون وإن كذب النـاس ، ولا يخرقون ، وإن انحرف الناس ، ولا يستعجمون وإن استعجم الناس ولا يرتدون ، وإن ارتد الناس .. !!

ولولاهم لما اخترق نداء الخمس منذ تعالى خطوط كرتنا الأرضية في الطول والعرض ... !!

وهل من عجب في ذلك ، وهم ثمار شجرة المعرفة الربانية التي امتدت من السماء إلى روضة المصطفى ـ صلوات الله وسلامه عليه ـ ... ألا ترى في معـــارفهم الهداية والنور ، والصعود الحضاري ، والمثل الإنسانية العليا ، والعدل المطلق ، والصفاء الخلقي ، والطموح العالي ، والسعادة النفسية ، والإيثار المثالي .

أجل هؤلاء علماؤك ـ يا طيبة ـ وهؤلاء هم الذين يصح أن يؤخذ منهم العلم. !

وعلماء الأمم يرونك ، ويرونهم في لجج من الأنوار ثم يرونـك ولا يرونهم ، لأنهم يعودون بعض أنوارك .

ومن كان من علماء الأمم معارفه ذخراً من معارفهم ، وصدقه في الإيمان بالحق وكفره بالباطل فيضاً من نور صدقهم ، وأعماله مستمدة من أعمالهم : جميعها بر وإحسان وخير وفضل ... فإنه يكون قربه من الله عز وجل قربهم وإنه لقرب ما يعتريه بعد ...

يا طيبة

أنت ضوء مشاعري ، ومنار ظلماتي ومنطلق أحلامي ...

يخالني مشاهدي أني على جناح منه ، ولا يدري أني على جنـاح منك بكل روحي: يخفق لك قلبي ويهتف، ولكن أين الذين يطلون على عالم الأرواح ويلمسون خفقان القلوب ، ويسمعون هواتفها ... !!!

أين أين هم ؟ !!

يا طيبه

كل نسب البشر ومفاخرهم تضؤل في عيني ، وإن فخروا بها واعتزوا .

ولكن كم أفخر ، وكم أعتز حين يقول الناس عني هذا الفتى الطيبي .

لأني أحس ـ حين أنسب اليك ، اني في معزل عن أباطيل البشر، ومغترياتهم وغرورهم ، ومظاهرهم البارة المتواضعة ، وخفاياهم الفاجرة المستكبرة .

وأنت أيها الطيبي الكريم، كن فخوراً بنسبتك اليها ، وما نسبتك إلى أية بلدة سواها تعدلها،أنـّى تعدلها ؟!! وهي أحب البلاد إلى الله ، ومستقر الأسوة الأعظم صلوات الله وسلامه عليه .

واحذر أن تجعل ظاهرك فيها تألق فجر ، وباطنك حلكة غسق ، فـــإن فعلت كنت حرب شمائلها الماجدة . فما أسرع أن تنتصر لها غاضبة ، فتقتلعك من مكانك ، وتقذف بك وراء تخومها على أسوأ الاحوال.

وإن تجلببت بألف ألف جلباب من جلابيب من مظاهر التقوى .



كلمة حول مؤلّف من تاريخنا

للكاتب المشهور محمد سعيد العامودي

اني أحس بنشوة الحياة الناعمة ، ونسماتها العطرة تملأ صدري ، إذا صعدت ربوة وبلغت أعلاها ، وشاهدت خمائلها الفينانة ، وما تشتمل عليه : من ظلال وارفة ذات ألوان زاهية ، وجوّ فاتن صاف كأنه اللجين المذاب ..

وإن كان لا يعذب عن بالي أن فيض ما لقيت من نشوة حالمة ، ومتع مستجمة ـ صادر من جهود عانيتها في صعودي . !!

وإني لأ كاد أطير إشراقاً وبهجة ، إذا سرت في سهل أفيح زاه يتهادى نسيمه العليل الرطب بين يدي ..

ناهيك بما يستخفني : من شدو طيوره ، وخرير أمواهه ، ونفج وروده ، حتى أحس نفسي سوى نفسي أحلاماً ومتعاً وسعادة .

وهذا ديدني حين تنزع بي نهمة الاستمتاع بنتاج أدبنا الخصب الخالد ..

فطوراً تجدني أغوص في أعماق لجة وراء لجة لأحرز مجد اللآليء : من كنوز الأدب المرصود .

وكم من عشاق لهذا الأدب يتعمقونه ، ويسهرون الليالي لاستخراج كنوزه ، والاستمتاع بها . وإن ضلت بهم الألفاظ في مجاهل الخيال ، وأسدلت من دونهم الحجب .

أنظر نثر الرافعي ، وشعر أبي تمام والمتنبي ..

وطوراً تجدني أذوب أحلاماً مسحورة في أدب مصفّى تسبق معانيه المجلوة الراقصة وقع ألفاظه المنتشية المصفقة .

بل تجدني أذوب ذوباناً في معانيه الذهبية التي تسيل في خفة ألفاظه سيلا رقيقاً يروي الظمأ ، ولا يرفع لذة الشرب .

وجلّ المثقفين الشباب يهوون هذا الأدب القريب الأخاذ ، ويعكفون على الاستمتاع به ، واستظهاره ، واقتفاء آثار أعلامه .

أنظر نثر المنفلوطي وطه حسين،وشعر حافظ والأخطل الصغير والبحتري

وفي طليعة هذا الفريق من أدبائنا السعوديين ، أديبنا المشهور : محمد سعيد العامودي » .

وفي مسيرة ناعمة متأملة في ما كتب وألف ، غنية عن عرض الشواهد .. إذا كل صفحة أياً كانت هي آية شاهدة !! سر يا أخي وتأمل ، ولا تقل أنها مودة صديق . فقد سرت قبلك وتأملت واستغرقت في نشوة أسلوبه حتى خلتني في زورق من البلور الصافي ينساب بي في سلسل نهر يفتن اشراقه الوهاج ويسحر اطراده الناعم الصامت .

وكم من شمائل ماجدة ، وأخلاق صالحة ، تحفل بها موضوعاته الفذة المختارة . تالله انها دروب أوائلنا العزيزة بالإيمان والحكمة والعلم والسؤدد والإيثار والتضحيات .

وما أفقر منازلنا إلى ثراء هذا اللون العالي من المؤلفات .. اذ بها تقوى وتتثقف وتتهذب وتسمو ..

ذلك لأن المنزل القوي المثقف المهذب السامي يمنح الأمة سموّه !!

والمنزل الضعيف الجاهل الماجن المنحط يمنح الأمة انحطاطه ..!!

وما كانت أمتنا في يوم ، ولن تكون إلا على أرفع المنائر الشاهقة ذات الأضواء الهادية إلى حقيقة وحي الله .. عز وجل ..

وما كان التزام شبابنا في كل جيل إلا الحفاظ على مكانهم الشاهق المقدس بين الأمم ، وبذل الطاقات . والأموال والأنفس للذود عنه ..

ولولا عدوى استخزاء دخيل لنزوات الجسد تسربت إلى بعضهم في رعونة التقليد ، لما آثر واحد منهم سنة الاحلام الهاجعة ، وأطيافها الخادعة التائهة في الظلمات ، على تضحيات الصعود ، وامتطاء الجوزاء ، وقيادة الأمجاد .

وحسب العامودي النابغة فخاراً أنه بما وسع من علم وبيان وبصيرة من الإيمان ، شرع يصحح الاتجاه ويقوم الاعوجاج ، وينفخ الروح في العزائم الهامدة .. منادياً :

هيّا اصعدوا ، هيّا اصعدوا . لتكونوا بحق الفروع الأصيلة ، لأولئك الأدباء الأبطال الذين رفعوا المنائر وركزوا الأعلام ..

واني أعلن في هذه الكلمة قبل أن أغمد يراعي ، اني جلت في فصول هذا المؤلف القيّم جولات وجولات . وكان أعظم ما فتنني فيه حماسة دعوة الشباب للبناء والعزة والكرامة ، وصدق الأسوة الماجدة .. لتكون أمتهم اليوم أمة التوجيه الإنساني إلى هدى السماء ، كما كانت بالأمس .



عودة إلى مؤلّف من تاريخنا

سبق ان قلت : ان مؤلف « من تاريخنا » يشتمل على موضوعات قيمة كل موضوع منها هو نواة لمؤلف ضخم فيه خير كبير للناس .

وخليق بالعلماء أن يحققوا هذا الخير في اخراج أمثال هذه المؤلفات الصالحة ، في عصر ربى فيه الفساد ، وطغى فيه الشر والترف ، وتفاقم عدم الاكتراث .

أنظر بحث « سياسة المال في عهد عمر بن الخطاب » . فإنه عميق للغاية ، فيه سمو الاختبار ، ودقة العرض ، وروعة الفن ، وهو إلى جانب ذلك يفتح نافذة واسعة للدارسين الشباب الذين يهمهم أن يستوعبوا سياسة المال في صدر الإسلام .

والواقع ان عرض هذا البحث المالي العظيم : في كل حقائقه الصاعدة . ثم تقديمه للناس وافراً صافياً من كل زيادة أو نقصان ، لا ينهض به مؤلف واحد ، بل ولا جملة مؤلفات ، لأن مصادره العلمية الموثوق بها : كمادة الكهرباء .

الحركة تظهر عجائبها وتزيد من فعاليتها ، وتكثر حولها المنتفعين بها والأنصار ..

والسكون يقضي عليها ، ويجعلها أثراً بعد عين ..

والحق ان هذا البحث استوقفني ، وكشف لي جانباً من معجزات نصوص الوحي المالية التي لو عرفها على وجهها الصحيح الذين يشعلون الدنيا بمجازر

المخمصة أو التخمة ، وعرفوا ما تفيضه عليهم وعلى سواهم : من عدل رضيّ ، في صدق الإيثار ، وفي صفـــاء المودة ، وفي رغد العيش وفي طمأنينة الأمن ، لأجمعوا على التقيـــد بها أعمالاً ، لا أقوالاً بكل إمكانياتهم ، وكانوا حراسها الأمناء ، وجنودها المضحين الأبطال .

وحتم ان يكون ذلك منهم : إذا عرفوا ان توجيهاتها التشريعية متفجرة من ينابيع وحي الله اليقيني ، ومكانهـــا مكان المنار الوهاج الهادي إلى كل إصلاح اقتصادي خيّر على اطراد الحضارات .

وهنا تحدوني أمانة القلم ، أن أعلن أن الذي استوقفني دارســاً مفكراً في بحث سياسة المال في صدر الإسلام . هو قول الكاتب الكبير الرائد عبد القدوس الأنصاري في تصديره : عن بحث سياسة المال في عهد عمر بن الخطاب .

« هو من البحوث النادرة الموفقة ، وقد لمست ذلك بنفسي ، واني أضيف إلى ما قال :

١ ـ انه البحث الذي ابتدأ به المؤلف ، والبداية تدل على العناية .

٢ ـ وانه يتناول المال . والمال هو الفتنـــة الكبرى التي تكشف طوايا النفس إن كانت من ذهب أو خزف .

٣ ـ وانه يريك مدى الاستقامة على هدى الوحي ضد كل اعوجاج غريزي ، والاعوجاج الغريزي ، إذا استشرى عسر تقويمــــه . ناهيك باعوجاج غريزة التملك . انه يوهن الارادة ويسخرها أقبح التسخير . وإذا تفاقم كان كالبركان ، لا يصده صاد ، ولا يحجزه حاجز .

وكل ذلك تستبينه من قول رسول الله ﷺ :

« لو أن لابن آدم واديين من ذهب لتمنى ثالثاً ، ولا يملأ جوف ابن آدم إلا التراب ، ويتوب الله على من تاب » .

وهكذا تجد نهمة غريزة حب المال ، لا تشبع ، وآثامها لا تقف عند حد ،

وأيسرها الاستهتار بالقيم الأخلاقية والعلمية، والإستهانة بحقوق الناس وأعراضهم، وإيثار صحبة المتصدين ذوي الكيد والدهان على الاخيار ذوي العفاف والأمانة والنصح ...

والمؤلف المفكر يكشف لنا في هذا البحث والذي يليه وعي أمير المؤمنين عمر بن الخطاب لكل ذلك .

ويكشف لنا نفاذ بصيرته الموفقة في اختيار موظفي الدولة الاكفاء الأمناء الاعفاء، وقدرته العجيبة، في تدبير سياسة المال وفق ما جاء بـه رسول الله ﷺ من عند الله، دون أدنى انحراف، ولو قيد شعرة .

إذ واضح لكل الكاتبين ان عمر بن الخطاب وافى الخلافة، وهـو عميق الإيمان، صلب الإستقامة، شديد المراقبة لنفسه واقرانه قبل الناس جميعاً، دون أن تأخذه هوادة أو محاباة في جانب الله .

ومهما تكن ثقافة الدارس لسياسة عمر المـالية فانه يرى نفسه حيال ملاك عظيم في صورة ملك .

١ – ملاك في يقينه بالله ورسوله واليوم الآخر .

٢ – ملاك في عفافه ونزاهته وإيثاره على نفسه .

٣ – ملاك في صدق فراسته والهامه وكريم أخلاقه .

٤ – ملاك في نصرته للحق، وخضوعه له، ولو كان مخاصمة فيه أدنى رعيته .

وهذا كله ثمرة التربية النبوية التي تعهدها رسول الله، وسهر عليها، وأحكمها بنفسه ..

وهل نعجب بعد ذلك إذا رأينـا الدول الكبرى المتحضرة، وهي في عهد وصولها إلى السماء، عاجزة عن تحقيق بعض ما حققه عمر من العدل في تقسيم الأموال بين الناس وهو على الأرض ...

ويحسن أن أعود فأعلن باسم الحق والعلم أن كل ما جاء به عمر بن الخطاب والخليفة قبله من إصلاحات مالية خيرة بل وما يجيء إلى يوم القيامة ، ما هو إلا دفعة من إشعاع هدى الله عز وجل وهدى رسوله ﷺ .

لذلك لا أرى جديداً في سياسة عمر المالية . ولا في سياسة سواه ، ما خلا التنظيم والاقتباس وفقه نصوص الوحي والاجتهاد فيها .

وقد يحسب سطحي الدراسة أن في قولي هذا مبالغة . ولكن أنَّى تكون المبالغة ، والزيادة في وحي الله زيادة في الكفر كالنقصان فيه .

ولدفع مثل هذا الحسبان أدلي بطائفة من النصوص التي وردت في هذا الشأن، في الكتاب والسنة ليلمس الدارس الحقيقة بكلتا يديه .

نصوص الكتاب التي عينت جهات الانفاق

١ ـ (إِنَّمَا الصَّدَقَاتُ لِلْفُقَرَاءِ وَالْمَسَاكِينِ وَالْعَامِلِينَ عَلَيْهَا وَالْمُؤَلَّفَةِ قُلُوبُهُمْ وَفِي الرِّقَابِ وَالْغَارِمِينَ وَفِي سَبِيلِ اللهِ وَابْنِ السَّبِيلِ فَرِيضَةً مِنَ اللهِ وَاللهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ) ٩ ـ ٦٠

والمراد من الصدقات هنا أموال الزكاة المفروضة .

• • •

٢ ـ (مَا أَفَاءَ اللهُ عَلَى رَسُولِهِ مِنْ أَهْلِ الْقُرَى فَلِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ ، وَلِذِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ كَيْ لَا يَكُونَ دُولَةً بَيْنَ الْأَغْنِيَاءِ مِنْكُمْ . وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ ، وَمَا

نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا ، وَاتَّقُوا اللهَ ، إِنَّ اللهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ) ٥٩ ـ ٧

والآية أوضحت جهة إنفاق مال الفيء . ومال الفيء هو الذي يصل إلى بيت المال بدون معارك والحكمة في منع الاغنياء أخذ شيء منه لكي لا يقصر تداوله بينهم .

. . .

٣ ـ (إعْلَمُوا انمَا غَنِمْتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَإِنَّ للهِ خُمُسَهُ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ ، إِنْ كُنْتُمْ آمَنْتُمْ بِاللهِ ،وَمَا أَنْزَلْنَا عَلَى عَبْدِنَا يَوْمَ الْفُرْقَانِ ، يَوْمَ الْتَقَى الْجَمْعَانِ) ٨ ـ ٤١

وهذه أموال الغنائم . ولا ريب أن تطبيق تقسيم الأموال وفق أوامر الله عز وجل هو من شأن المؤمنين حقاً . بما فرض الله من حقوق ، وأنزل من أحكام .

وفي الكتاب الكريم آيات أخر نزلت أيضاً في الاموال المفروضة كاية كفارة الظهار ، وآية كفارة اليمين وسواهما .

والحقوق المفروضة في الاموال تؤخذ قسراً لمن يحاولون منعها كما فعل الخليفة الاول في أخذ أموال الزكاة لمن حاولوا منعها .

١ ـ (وَفِي أَمْوَالِهِمْ حَقٌّ لِلسَّائِلِ وَالْمَحْرُومِ) ٥١ ـ ١٩

٢ ـ (كُلُوا مِنْ ثَمَرِهِ إِذَا أَثْمَرَ ، وَآتُوا حَقَّهُ يَوْمَ حَصَادِهِ ، وَلَا تُسْرِفُوا إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ) ٦ ـ ١٤١ .

وهنا يود الدارس الطلعة أن يفقه الوجه الذي من أجله أمر الله بالاقتصاد

وحرم التبذير والوجه هو ان الاسراف يبدد الاموال ، ويحرم ذوي الحقوق من حقوقهم ، سواء أكانوا من الاقارب أو من سواهم .

(وَآتِ ذَا ٱلْقُرْبَى حَقَّهُ وَٱلْمِسْكِينَ وَٱبْنَ السَّبِيلِ ، وَلَا تُبَذِّرْ تَبْذِيرا ، إِنَّ ٱلْمُبَذِّرِينَ كَانُوا إِخوَانَ الشَّيَاطِينِ ، وَكَانَ الشَّيْطَانُ لِرَبِّهِ كَفُورا) ١٧ ـ ٢٧ .

ما سنة رسول الله في مصارف الاموال العامة

جاء في البخاري أن رسول الله ﷺ .

« أتى بمال من البحرين ، فقال انثروه ـ وكان أكثر ما أتى بـه ـ فخرج ـ ﷺ ـ إلى المسجد ، ولم يلتفت إليه . فلما قضى الصلاة جاء فجلس إليـه ، فما كان يرى أحداً إلا أعطاه . وما قام عليه الصلاة والسلام وثم منها درهم .

وجاء في كتاب « محمد المثل الكامل » انه حمل إلى رسول الله ﷺ « تسعون ألف درهم ، فوضعها على حصير ، ثم قام إليها فقسمها ، فمـا رد سائلا حتى فرغ منها » .

وشكت إليه ابنته فاطمة ما تلقى من خدمة البيت فأمرهـا أن تستعين بالتسبيح والتكبير والتحميد . وقال :

« لا أعطيك ، وادع أهل الصفة تطوى بطونهم من الجوع .. » .

أي أفهمها أن الاموال يعطى منها الاحوج ، فالاحوج ، وفق أوامر الله .

وجاء في كتاب الاموال لأبي عبيد القاسم بن سلام ص٢٤٩ قول رسول الله ﷺ :

« لو كان عندي مثل أحد ذهباً لسرني أن لا تمر بي ثالثة ، وعندي منه شيء إلا شيئاً أرصده لدين يكون علي .. »

وجاء فيه أيضاً في ٣٣٦ قوله عليه الصلاة والسلام .

« من ترك كلا فإلينا ، ومن ترك مالا فلورثته ..

وجاء فيه أيضاً ص ٢٤٢ .

« كان رسول الله ﷺ إذا أتاه في قسمة من يومه . فأعطى الآهـــل حظين وأعطى العزب حظاً واحداً » .

وهذه صبابة ممـــا ورد من نصوص في الكتاب والسنة حـــول أموال الله ومداخلها ومخارجها .

وهذه هي أعمال رسول الله ﷺ صاحب الأسوة الحسنة الدائمة لكل المسلمين إلى يوم القيامة .

فهل تعجب إذا رأينا إنسانية الانسانية في سياسة عمر المالية ..

السياسة التي أوسعت الناس على اختلافهم طمأنينة ورضا، وقناعة وبها عرفوا أن وحي الله حق ، وان عدله لا يدانيه عدل . بل هو العدل المثالي المطلـق إلى يوم القيامة وحسب الفاروق مختاراً أنه سار في كلما أخذ به أو ترك على الخطوات التي رسمها رسول الله فما عثر ولا انتكس .

وإلى هذه الحقيقة أشار مؤلفنا الاستاذ العامودي في ص ٤٢ ..

« ان التاريخ ليسجل بمداد الفخر والاعجاب . أن عمر بن الخطاب – رضي الله عنه – أول من وضع نظاماً كاملا للضمان الاجتماعي على أســـاس تعاليم الاسلام .

وكان أسلوبه البالغ المدى من حيث الدقة والرأفة والحزم في تطبيقه لهـذا النظـام الكامل من أروع ما تحـــدث به الناس في الشرق والغرب على مر العصور » .

وذكر بعد ذلك إنشاء الدواوين ، وتسجيل أسماء أفراد الامة على حســب

مراتبهم ولم يترك أحداً من أفراد الأمة إلا أعطاه حقه كاملا غير منقوص. حتى اللقطاء ، والاطفال الرضع عاد ففرض لهم قبل الفطام .

أنظر ص ٤٩ من بحث الضمان الاجتماعي للمؤلف :

« سمع عمر بكاء طفل آخر الليل ، فأتى أمه فقال لها : « انى لأراك امرأة سوء . مالي أرى ابنك لا يقر منذ الليلة .. قالت يا عبد الله فقد أضجرتني منذ الليلة . اني أريضه على الفطام قال : ولم .

قالت : « لأن عمر لا يفرض للرضيع وإنما يفرض للفطيم ..

قال : عمر : وكم له ..

قالت : « اثنا عشر شهراً » .

قال : « لا تعجليه . وذهب فصلى الفجر . وما يستبين الناس قراءته من غلبة البكاء عليه . فلما سلم قال :

« يا بؤساً لعمر كم قتل من أولاد المسلمين . ثم أمر فنادى لا تعجلوا أولادكم عن الفطام فانا نفرض لكل مولود في الاسلام ، وكتب بذلك إلى الآفاق ».

وقريب من هذا ما جاء في كتاب الاموال لابي عبيد ص ٥٩٨ :

« ان امرأة أعرابية جاءت عمر وهو قائل في ظل شجرة . وهي لا تعلم أنه عمر ..

فقالت له :

« اني امرأة مسكينة ، ولي بنون وأن أمير المؤمنين عمر بن الخطاب . كان بعث محمد بن مسلمة ساعياً ، فلم يعطنا . فلعلك – يرحمك الله – أن تشفع لنا إليه . فصاح بيرقاً ان ادع لي محمد بن مسلمة ..

فقالت :

« انه أنجح لحاجتي أن تقوم معي إليه .. فقال لها انه سيفعل إن شاء الله ..

وجاء محمد بن مسلمة إليه وقال :

« السلام عليك يا امير المؤمنين » .. فاستحت المرأة فقال عمر ..

« والله ما آلوا أن أختار خياركم كيف أنت قائل إذا سألك الله عز وجل عن هذه »... فدمعت عينا محمد . ثم قال عمر ان الله بعث إلينا نبيه ﷺ . فصدقناه واتبعناه فعمل بما أمر الله به . فجعل الصدقة لأهلها من المساكين . ثم استخلف الله أبا بكر فعمل بسنته حتى قبضه الله. ثم استخلفني فلم أل أن أختار خياركم ان بعثتك فأدّ إليها صدقة العام وعام أول ..

ثم قدم لها دقيقاً وزيتاً ..



حول مؤلف " التصوف في تهامة

أذكر اني حين أتيت بمجلة « عكاظ » . العدد الخاص بتكريم أمير الشعراء أحمد شوقي الصادر بالقاهرة يوم الجمعة سنة ١٣٤٥ هـ، إلى غرفتنا في رواق الحرمين في الأزهر ، واسلمته لزميلنا في طلب العلم الصديق السيد أحمد العربي التف حوله كل زملائنا في الرواق . وأخذ السيد أحمد العربي يتلو علينا قصيدة أمير الشعراء الرائعة التي ألقيت في « الأوبرا » .

مرحبا بالربيع في ريعانه ... وبأنواره وطيب زمانه
نزل السهل ضاحك البشر يمشي ... مشي الأمير في بستانه

يتلوها وهو مأخوذ بسحر البيان وجمال الشعر ، حتى وصل إلى قوله :

يا عكاظا تألف الشرق فيه ... من فلسطينه إلى بغدانه
افتقدنا الحجاز فيه فلم نعثر « م » ... على قسه وعلى سحبانه

طرح العدد من يده ، والتفت إلينا يقول ، وعيناه مغرورقتان بالدمع : « أليس من العار أن لا نكون نحن من فرسان هذه الحلبة المجلين ، أليس من العار أن يفتقد أبناء عكاظ في يوم عكاظ ، أهكذا نتخلف فلا نكون أنداداً لاخوتنا أبناء العروبة في حلبة البيان ؟!! سنة الله أن لا يتقدم في الحياة ويمجد ويخلد إلا المجد الدائب السهران .. » .

وما زال يتحدث إلينا ساعة وانها لساعة من ساعات العبرة والحسرة وهل

تنسى ساعات العبرة والحسرة، واليوم أقول للصديق الاديب للسيد أحمدالعربي، « لو أقيم مثل ذلك المهرجان الأدبي في عاصمة من عواصم العروبة ، لفاضت عيناك بالكرامة والعزة والغبطة .

فها هم أبناء عكاظ يرفرفون بأجنحتهم في أفق البيان الأعلى ، وانهم ليبغون فوق ذلك مظهراً ، والمجالات فسيحة حيالهم والأضواء مشعة غامرة تنير الطريق وتزيح الظلمات . والهمم طامحة مشمرة عن سواعدها تقتحم ميادين الأمجاد اقتحامها العربي العبقري التليد .

* * *

اني ألمعت إلى المواطنين الطامحين بهذه الحادثة لتزاحم هذه المؤلفات القيمة ، والكلمات الرائعة التي تفيض بها أقلام كتابنا النابهين جزاهم الله عن مستقبل البيان العربي في مهده الأول جزيرة العرب أكرم الجزاء وأجزله . أليسوا هم قواعد نهضتنا الراسخة وأعلامها الخفاقة ، وبراهينها العملية الساطعة المؤكدة بالفوز .

هذا مؤلف قيم مما أتحفني به الصديق الكاتب الكبير الشيخ عبد القدوس الانصاري في فترة استجمامه في ربوع لبنان في صيف العام المنصرم — من مؤلفات المواطنين هو كتاب « التصوف في تهامة » ، تأليف الصديق السيد محمد بن أحمد عيسى العقيلي .. والاستاذ العقيلي كاتب من كتاب النهضة العربية الحديثة ، ومؤلف مكب على استخراج الكنوز الدفينة في جزيرة العرب ، من الآداب العالية ، والاحداث الخالية المشتملة على العظة والاعتبار .

وهذا دأب الامم الناهضة ، ان تراجع شريط ماضيها ، فما كان من قوة وخير أخذت به ، وما كان من ضعف وشر انصرفت عنه ، لتستقيم نهضتها على أسمى مناهج الاصلاح ولا تنتكس ، ولتستطيع أن تمارس الحياة ممارسة الاحياء الواعين الطامحين الجادين المضحين . وليكون في مقدورها أن تذود عن شرفها

وحريتها واستقلالها إذا تعرض للاخطار . وهذا الذي يقصده العقيلي في كل مؤلفاته ما طبع منها وما لم يطبع . تأمل قوله في الصفحة الخامسة [1] : وما أصدق المثل القائل : « الأمم الحية يحيا فيها أمواتها ، والأمم المتأخرة يموت فيها أحياؤها » وما أجدر الأمة العربية في وعيها التقدمي الحاضر وحكوماتها الناهضة - بالحرص والاهتمام بتراثها الادبي والعلمي » .

التصوف : —

وما ألفيت موضوعاً خليقاً بادمان الدراسة لتحريره وتجريده مما دخله من زيف ، مثل موضوع التصوف بناحيتيه العامة والخاصة . ومؤلف « التصوف في تهامة » وان كان خاصاً ، إلا أنه ألمع في صفحاته الاولى إلى التصوف بمعناه العام ، .. لذلك سأتناول في كلمتي هذه بسط التصوف بمعناه العام ، ثم أتوجه إلى المعنى الخاص الذي كان من أجله وضع هذا المؤلف حتى لا يذهب القارىء الشادي لدى مطالعته إلى مراد غير ما يقصده .

التصوف بمعناه العام : —

التصوف بمعناه العام « هو صدق الاستمساك بما يدين به المرء من دين ، مع تصفية المجموعة النفسية من كل ما يبعده عنه أو يشغله أو ينحرف به عنه .. فان كان أهل الدين وثنيين يعتقدون أن الخالق العظيم هو روح أزلي يحل في كائن ما مما يتخذ إلهاً معبوداً ، وفق ما تنص عليه كتبهم الدينية : كالشمس أو النار ، أو الظلام والنور أو الفيل الابيض وسواه من حيوان أو نبات أو جماد . كان التصوف لديهم حلولياً أي مبني على أن الخالق العظيم — في عقيدتهم — يحل في شخص المتصوف بالذات كما يحل في ذات المعبود الكائن لهم إلا أن حلوله في ذات المعبود حلول تأله وحلوله في ذات المتصوف حلول تقرب .

---

(١) من كتابه الجديد « ديوان السلطانين » .

وهذا التصوف الحلولي لا صلة له بالعقيدة الاسلامية – من كل جهاتها – فنصوصه غير نصوصها ، ومثله غير مثلها وعباداته غير عباداتها . وهو تصوف أهل أديان الشرق الأقصى منذ أبعد الأزمان – كما أشار المؤلف إلى ذلك في الصفحات الأولى من كتابه .

وقد حاول فريق من الشعوبيين الجاهلين بسمو الاسلام ومثله العليا وخصائصه العلمية التحررية أن يدسوه في المؤلفات الاسلامية ظلماً وعدواناً ، ولكنهم باؤوا بالفشل والفضيحة . لان بناء الاسلام قائم على نصوص علمية منيعة لا تقتحم ولا ينال منها أدنى نيل . وهي تصرع كل من يحاول أن يلبسها أساطيره وخرافاته وأباطيله وترده بخفي حنين ، ذلك لأنها آيات بينات وصلت إلينا بالتواتر العلمي القطعي الذي لا يزال قائماً وان خالق الوجود الذي أنزلها على خاتم رسله محمد صلوات الله وسلامه عليه قد تكفل بحفظها من التغيير والتبديل ومن الزيادة والنقصان .

وأن الخلائق أجمعين لو حاولوا أن يزيدوا عليها آية أو ينقصوا منها آية لما استطاعوا إلى ذلك سبيلاً ومن أراد دراسة آثار هذا الحفظ على مدى الأجيال ، وكيف كان يتم في كل جيل وما يشتمل عليه من قوة وعناية ليس لهما بد . فيجب عليه أن يتأمل القصد من هذه الآية المعجزة :

(إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُون..)

ثم يأخذ في الدرس ، وانه لواجب من أجل طمأنينة الفكر . للوصول إلى اليقين العلمي ..

وصفوة القول ليس في الاسلام تصوف من هذا النوع بتاتاً: في الاسلام تقوى والتقوى هي صدق الاستمساك بما أوحاه الله عز وجل على خاتم رسله سيدنا محمد صلوات الله وسلامه عليه – مع تصفية المجموعة النفسية من كل ماينحرف

بها عنه أو يشغلها بسواه بوسائل الدس أو الاخلاد إلى مفاتن الحياة وشهواتها أو الغرور أو الالحاد والجدل الفارغ . وهذه التقوى التي تنيل الولاية والقربى من الخالق العظيم . ولن تنال ولاية ولا قربى من الخالق العظيم في الاسلام إلا من هذا الطريق الذي لا وثنية فيه ولا اشراك . وبذلك نزل الوحي :

(أَلاَ إِنَّ أَوْلِيَاءَ ٱللهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ٱلَّذِينَ آمَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ) ١٠ ـــ ٦٢ .

وهذه التقوى هي المقصود من لفظة تصوف بين المسلمين . والمتصوفون المسلمون هم المتقون هذه التقوى .. وسيد المتقين هو رسول الله ﷺ . وقد أفهمهم أن من التقوى بناء الدولة وجمع الكلمة والضرب على أيدي المرتدين المنحرفين المزقين ـ وان من التقوى تسليح الامة بالعلم والصناعة وإقامة العمران في كل مكان. وان من التقوى العمل على إيجاد إنسانية مهذبة كريمة واعية وخلق حضارة مثالية رائعة. وان من التقوى التضحية والايثار وإسعاد الآخرين وإشاعة الطمأنينة والتفاهم والعدالة والتعارف بين الناس جميعاً . هذه هي التقوى وإذا شئت فقل هذه هي الصوفية الاسلامية التي جاء بها خاتم رسل الله صلوات الله وسلامه عليه إلى الانسانية كافة فعلم قيمتها ومنافعها وما تشتمل عليه من علم فأمن بها وأخذ في دعوة الناس إليها. وجهل كل ذلك من جهل فكفر بها وأخذ في تشويهها وصرف الناس عنها وقد تخيل بعض المؤمنين الأول من أصحاب رسول الله صلوات الله وسلامه عليه أن التقوى هي المبالغة في العبادة والزهد في ما خلق الله من متاع.. كمجافاة النوم وملازمة الصوم وتجنب الزواج.. وحاولوا أن يفعلوا ذلك فزجرهم سيد المتقين عن ذلك وأفهمهم أن التقوى التي تكسب رضوان الله وتنيل السعادة الابدية هي الاخذ بما هو عليه دون زيادة أو نقصان. لانه هو الاسوة والقدوة وبذلك جاء النص :

(لَقَدْ كانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ ٱللهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِمَنْ كانَ يَرْجُو ٱللهَ وَٱلْيَوْمُ ٱلْآخِرُ وَذَكَرَ ٱللهَ كَثِيرا ..) ٣٣ ــ ٢١

وحين وجدت لفظة تصوف في الاوساط العلمية الاسلامية جدت باسم التقوى والزهد والتبتل والاستقامة والعفاف وكل مـــا جاء رسول الله دون زيادة أو نقصان . وما مسخ هذا المعنى الاسلامي **المحض** إلا بعد أن انـــدس بين المتصوفين المسلمين الصادقين بعض المتصوفين الحلوليين بنيه الافساد والتشويش وفعلا دسوا على ألسنتهم ما دسوا مما تقشعر منه الابدان وتنفر منه العقول ويناقض نصوص الوحي كل المناقضة . ومهما يكن فكلمة تصوف التي قصد منها أن تكون مرادفة لكلمة تقوى في الاسلام غيرها في النـّحل الحلولية الاخرى . هذا مـا يجب أن نذكره دائماً ، ونبني دراستنا عليه دائماً .

قوام التصوف الحلولي : —

يقوم التصوف الحلولي على ركنين أساسيين : ركن العقيدة وركن العبادة .

١ — ركن العقيدة : —

أما ركن العقيدة فإنه يقوم على تصور أن الخالق المظم : « هو طاقة روحية أزلية قديمة وما دام الخالق العظيم في عقائدهم طاقة روحية كالكهرباء . فإنهـم يطبقون عليه كل صفات الطاقات .. وأولها الحلول في العوالم الثلاث : الحيوان والنبات والجماد .. من قريب أو بعيد .

وعلى هذا الاعتبار عبد الحلوليون منها ما كان يعبده أسلافهم . ونسبوا إلى أنفسهم رؤية الله في عالمنا هذا والتحدث إلية والجلوس إلى جانبه والاختلاط به وسوى ذلك مما هو مذكور في كتبهم ولعل الذي حمس فرعون ونمرود واضرابهما على ادعاء الألوهية هو هذا الاعتقاد الحلولي الذي طغى على الوثنيات قديماً . ومنه

انبثقت فكرة تأليه بعض أفراد عوالم الوجود من إنسان وحيوان ونبـات : أي انبثقت فكرة تعدد الالهة وفكرة تعدد الالهة جعلت كل جماعة تنحاز إلى مـا الهت هي دون سواها وجعلت صفات الالهة من حلول ونوم ويقظة وراحة وتعب وجهل بما يكون وندم على ما كان تتشابه حتى أن بعض هذه الصفات تسربـت إلى صفات الخالق العظيم في بعض الاديان السماوية ، فسمعنا أن احبـــار اليهود زعموا أن الخالق العظيم لما أتم خلق السماوات والأرض في ستة أيام مسه اللغوب، فاستراح في اليوم السابع « يوم السبت »[1] .

وهكذا نجد الذين اعتقدوا أن خالق الوجود طاقة روحية يعبدون مـا يعبدون من مادة باعتبار أنه حال فيها . فإذا انفصل عنها انفصلت الألوهية معه.

والخلاصة أن المتصوفين المنتمين إلى هذه النحل الحلولية يتخيلون أن الخالق العظيم حـل فيهم هم أيضاً أو يتخيل لهم أتباعهم ذلك ، لا ليكونوا آلهـــة يعبدونهم ولكن إعلاناً لوصولهم إليه وقداستهم والتماس الزلفى بهم إليه شـأن أهل الجاهلية ..

وهذا التصوف المبني على العقيدة الحلولية أجنبي عن الاسلام ولا صلة له بـه بتاتاً . والعقيدة الاسلامية تغايره كل المغايرة ، وتعتبر من يزعمه لنفسه أو يدعيه لسواه ليس مسلماً .

٢ — ركن العبادة : —

أما ركن العبادة في التصوف الحلولي فإنه مبني على هجران الدنيا بكل مـا

---

(١) ذكر لي ذلك الأخ الفاضل السيد محمد يعقوب المهتدي وهو يهودي الاصل وأسلم، وقد عجب هل خالق الوجود يشبه المخلوقين في التعب فأحب أن يعرف حقيقة خلق الكائنات والسموات والارض في خاتم الكتب السماوية القرآن المجيد فوجد قوله تعالى : « ولقد خلقنا السموات والارض وما بينهما في ستة أيام وما مسنا من لغوب » . واللغوب هو التعب ، وقوله ايضاً : « أولم يروا ان الله الذي خلق السموات والارض ولم يعي بخلقهن بقادر على ان يحيي الموتى بلى انه على كل شيء قدير » .

فيها من زينة أخرجها الله لعباده . وقوامه التقشف المرير وحرمان النفس والرياضة القاسية . وانفاق الوقت في الاحلام والتخيلات وتجسيمها بالاستغراق فيها حتى تنقلب مع الادمان والمثابرة ومرور الأعوام أشباحاً تروح وتغدو وتحس وتلمس وتخاطب وتجيب في عالم الخيال ، وآية ذلك أنها تفقد كل أثر ظاهر ملموس في عالم الحقيقة سوى ما يكون من أعمال الجان ، ومعظم طقوس عبادات النحل الحلولية ، تهاويل ورموز وأحجية وتعاويذ ورؤى وترهات : إلى تمسح بالانصاب والنساك واللجوء إليهم وطلب قضاء الحاجات منهم ونسيان الخالق العظيم الذي بيده ملكوت كل شيء .. ومن الايغال المسرف في هذا الركن التعبدي الحلولي استطاع أن يدعي الالوهية لنفسه من ادعاها أو أدعيت له عن رضا منه أو عن كره .

وهذه الدعوى هي السبب المباشر في اختراع الخوارق ونسبتها إلى أولئك النساك الخوارق التي هي أشبه شيء بخوارق بدء خلق الكائنات أو بمعجزات رسل الله التي أجراها الله تصديقاً لرسالاتهم .

وإنها لخوارق ضخمة تكتظ بها مجلدات ومجلدات وانها لتربو على امتداد العصور والاجيال وتشتد وتغلظ كأنها الغابة الخضراء في أرض خصبة غزيرة المياه .

وأحسب العلماء الباحثين في اثار نساك النِّحل الحلولية لو تيسر لهم أن يتغلغلوا في أدغال افريقيا وأبعاد الشرق الاقصى ويجتمعوا بأولئك النساك العاكفين في المغاور ومجاهل الغابات أو في شعاب الجبال أو في الصوامع لرأيتهم كأعواد الطرفاء اليابسة : أجساماً ضاوية وأعيناً غائرة وأوجهاً شاحبة وأنفساً مستوحشة حتى من أجسادها الهادية . ولرأيت الذي يملأ فراغهم الرؤى والاحلام والاستغراق في أوهام الأساطير وأشباح الرياضيات الروحية الصرفة التي لاتتصل بعالمنا المادي الذي نعيش فيه من قريب أوبعيد. كأشباح الجن والأرواح المنسوبة

أولها القداسة الألوهية. وقد افتتن فريق من المستشرقين الذين طوفوا في الأقاليم القاسية في الشرق الأقصى ، واجتمعوا بهؤلاء النساك الحلوليين من البراهمة والبوذيين وسواهم ، ودهشوا من أعمالهم الرياضية الروحية التي تبدو كأنها خوارق . وما هي إلا أعمال رياضية صناعية صرفة لها سننها الخاصة ولو أنهم زاولوها هم لجرت على أيديهم ولو لم يعتقدوا عقائدهم . فالعقائد لا صلة لها بأعمال السنن وان تخيلها المنتسبون إليها كبراهين تثبت صحة نسبتها إلى خالق الوجود عز وجل [١] .

هذان هما ركنا التصوف الحلولي ولا ريب أن هذين الركنين مغايران لركني العقيدة والعبادة في الاسلام . كما يأتي تفصيل ذلك . والذي جعل أساطير هذا التصوف الحلولي تتسرب إلى بعض المؤلفات الاسلامية المنسوبة بحق أو بباطل إلى بعض علماء الاسلام أمران .

الاول : — الجهل بالمثل الاسلامية اليقينية العليا التي أنزلها الله في خاتم وحيه وما تحمل للانسانية كافة . من رحمة وعلم وهداية وتقدم ورخاء وأمن وسلامة. فهذا الجهل هو الذي جعل النفوس مستعدة لقبول هاتيك الأساطير والانقياد لها والبذل من أجلها والتضحية.

الثاني : — الأحقاد الظالمة التي مني بها بعض المرورين من أهل النحل الحلولية ، على مثل الاسلام العليا ، واعراضهم عنها ونقدهم لها على غير بصيرة ودراسة وعلم . ويا ليتهم كتموها ولم يدسوها في المؤلفات الاسلامية ، أقاصيص بالية وأحاديث موضوعة وترهات ومفتريات بقصد التشفي والانتقام . كالمرضى الذين حملوا الفؤوس والمعاول وأقبلوا ليهدموا المستشفى المشيد لتمريضهم واصلاح حالهم . وهم مضمرون الكيد والأذى والانتقام والاحتقاد للاطباء الذين حبسوا

---

(١) على الذين يؤثرون الاطلاع إلى أعمال هؤلاء النساك الحلوليين فعليه بالوحي المحمدي للعلامة الكبير المرحوم الشيخ رشيد رضا ... وبما كتبه ابن تيمية في العقيدة الواسطية .

أنفسهم لخدمتهم ومعالجة أدوائهم . فإن قلت : «هل في الوجود إنسان له مسكة من عقل يحقد على الطبيب الناصح الشفوق الذي يحمل له أدوية الشفـاء والسلام والعافية والخير .. » قلت : « هذا الذي كان .. »

وطبيعي أن يكون ذلك في عصور التقاطـــع الانساني والجهالات المتفاقمة وأحقاد العصور الحجرية ذات التأثير الغريزي الوحشي . وأثر هذا التأثير الغريزي الغابي الوحشي ظاهر حتى في عالم الحيوان، ألا ترى الكلب الأليف المنعم الذي يقطن أفخم القصور إذا أراد النوم يدور حول مرقده كشأن سلفه في الغاب حين كان يمهد لنومه .

ولولا انفلاق الذرة وانكشاف ما في عالمها من القوى المرعبة الهائلة والمعارف العجيبة الجديدة لما أخذت البشرية المفكرة الواعية تدعو إلى السلم وتسير إليه بخطى فسيحة موفقة . وتعاود دراسة كل شيء دراسة علمية محررة أمينـــة ليتم التفاهم الانساني العام والتعارف والتآلف . ولا ريب أن خاتم الكتـــب السماوية القرآن المجيد سينال قسطاً كبيراً من هذه الدراسة العلمية الامينة المخلصة . ولا ريب أن هذه الدراسة لخاتم الكتب السماوية ستعطي البشرية من الوفاق والتفاهم العلمي التقدمي الصاعد والصدق والاخلاص في النوايا مـــا لم تكن تحلم بــه من قبل .

ركنا العقيدة والعبادة في الاسلام

ركنا العقيدة والعبادة في الاسلام لا صلة لهما بالتصوف الحلولي من كل وجه، لأن قوامهما في الاسلام غير قوامهما في النحل الحلولية .. وفيمـــا يلي تفصيل ذلـــك :

ركن العقيدة في الاسلام : —

ركن العقيدة في الاسلام ويشتمل على توحيد الربوبية وتوحيد الاسماء والصفات

وهذا الركن مبني على أصول علمية يقينية ثابتة : أنزلها الخالق العظيم في خاتم وحيه « القرآن المجيد » على خاتم رسله سيدنا محمد - صلوات الله وسلامه عليه .. -

تلك الأصول هي : -

الاول : -

خالق الوجود واحد لا شريك له :

(شَهِدَ ٱللَّهُ أَنَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ وَٱلْمَلَائِكَةُ وَأُولُوا ٱلْعِلْمِ قَائِمًا بِٱلْقِسْطِ لَا إِلَٰهَ هُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ) ٣ - ١٩ .

(وَإِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلرَّحْمَٰنُ ٱلرَّحِيمُ) ٢ - ١٦٤

(وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُمْ بِٱللَّهِ إِلَّا وَهُمْ مُشْرِكُونَ) ١٢ - ١٠٦ .

الثاني : -

الله هو الخالق لكل شيء سواء أكان ذلك الشيء طاقة من الطاقات المحضة كالمغناطيس والأرواح والملائكة أو مادة من المواد كالجمادات والنباتات والحيوانات -

(ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ فَٱعْبُدُوهُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ) ٦ - ١٠٢ .

(... أَمْ جَعَلُوا لِلَّهِ شُرَكَاءَ خَلَقُوا كَخَلْقِهِ فَتَشَابَهَ ٱلْخَلْقُ عَلَيْهِمْ قُلِ ٱللَّهُ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ ٱلْوَاحِدُ ٱلْقَهَّارُ) ١٣ - ١٦ .

(وَخلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فقَدَّرَهُ تقْدِيرًا) ٢٥ ـــ ٢ .

الثالث : -

الخالق العظيم ليس هو جزءاً من مخلوقاته ولا هي جزءاً منه ، ولا تماثله في ذاته وصفاته وأفعاله : وهي مخلوقة بعلمه وإرادته وقدرته .

(وَجعَلُوا لَهُ مِنْ عِبَادِهِ جُزْءاً أنَّ ٱلإِنْسَانَ لَكَفُورٌ مُبِين)٤٣ـ١٥ .

(قُلْ هُوَ ٱللهُ أَحدٌ اللهُ الصَّمَدُ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُواً أَحدٌ) .

« لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ ، وَهُوَ السَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ » ٤٣ ـ ١١ .

« إِنَّمَا قَوْلُنَا لِشَيْءٍ أَرَدْنَاهُ أَنْ نَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُون » ١٦ ـ ٤١

« وَلِلهِ مُلْكُ السَّمٰوَاتِ وَٱلأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَٱللهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِير » ٥ ـ ١٨ .

« أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلْخَبِير » ٦٧ ـ ١٥ .

الرابع : -

دلائل وجود الخالق العظيم تبدو في مخلوقاته ، لأنها من آثار قدرته ، ومخلوقاته مهما أتيت من العلم فإنها لا تحيط به علماً ولا تستطيع له وصفاً . وإنما هو يصف نفسه في وحيه لخلقه بما يليق بجلاله وسلطانه وكذلك أسماؤه ، ولله الاسماء الحسنى ، فما جاء في وحيه من الأسماء والصفات سواء أكان محكماً أم متشابهاً آمنا به كما أمرنا عز وجل دون زيادة أو نقصان . أما الحكم فأمره

واضح . وأما المتشابه فإنا لا نؤوله ولا نتبع الذين يؤولونه لاشاعة الفتنة بل نفوض الامر فيه إلى الله عز وجل تفويض السلف الصالح لان حقيقة ذات الخالق العظيم في ذاته وفي أسمائه وفي صفاته لا يحيط بها علماً سواه .

« يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ ، وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يُحِيطُونَ بِهِ عِلْماً » ٢٠ ـ ١١١ .

والتفويض شأن الراسخين في العلم ، لانه نجاة من الوقوع في مزالق الكفر وفي ذلك يقول الله عز وجل .

« هُوَ ٱلَّذِي أَنزَلَ عَلَيْكَ ٱلْكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ مُحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ ٱلْكِتَابِ ، وَأُخَرُ مُتَشَابِهَاتٌ فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ ٱبْتِغَاءَ ٱلْفِتْنَةِ ، وَٱبْتِغَاءَ تَأْوِيلِهِ ، وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا ٱللهُ وَالرَّاسِخُونَ فِي ٱلْعِلْمِ يَقُولُونَ آمَنَّا بِهِ كُلٌّ مِنْ عِنْدِ رَبِّنَا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا أُولُوا ٱلْأَلْبَابِ » ٣ ـ ٧ .

وقدرة الخالق العظيم فوق تقدير المقدرين وحسبك أن تتلو هذه الآية الكريمة وأنت خاشع :

(إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ) .

وما من شيء إلا هو صنع القدرة الالهية .

(وَتَرَى ٱلْجِبَالَ تَحْسَبُهَا جَامِدَةً وَهِيَ تَمُرُّ مَرَّ ٱلسَّحَابِ صُنْعَ ٱللهِ ٱلَّذِي أَتْقَنَ كُلَّ شَيْءٍ) ٢٧ ـ ٨٨ .

وإذا كنت تلمس صنع الكهرباء في آلة تحركها أو مصباح تضيئه أو ترام تسيره أو صور وأحاديث تنقلها من مكان إلى مكان . وأنت تجهل كنهها وإذا كنت تلمع صنع الطاقة المغناطيسية جاذبة ودافعه ، أو صنع سواها من الطاقات الظاهرة بأعمالها ، والباطنة بحقائقها ، فلم لا تلمس صنع الخالق العظيم في عوالم الطاقات وعوالم المواد . ولا أفعال أظهر ولا أدل على العلم الواسع الشامل لكل ما كان ويكون من أفعال الله عز وجل في مخلوقاته . ومن السطحية المضحكة أن يعلن ملحد طاغ أن أعمال عوالم الوجود الحية وغير الحية المادية وغير المادية لا تشتمل على شيء من العلم المقصود [1] وقد وجد العلماء في عالم الذرة وحده بعد انكشافه من المعارف ما ضاع بها المجلدات وهو أصغر عوالم الوجود فما بالك بسواه من العوالم الكبرى المترامية في ابعاد الفضاء المكتشفة وغير المكتشفة .

ومن الغريب أن هذا الملحد السطحي وأشباهه يرفضون بحماسة أن يتجه صاروخ إلى ناحية بعينها من القمر ويرسل شتى الصور والمعلومات ثم يعود إلى الأرض بغير علم بما أودعه فيه العلماء الذين صنعوه . ولكنهم لا يرفضون أن تكون نويات العوالم الحية من إنسان وحيوان ونبات هن اللائي صنعن ويصنعن عوالمهن أفراداً وجماعات وان كان ما في عوالمهن من دقائق المعارف وغرائب الصنع ما هو أعمق وأكبر وأدق وأخلد من سبعين صاروخاً [2] .

وان كان العلماء الراسخون في العلم ليحارون في أفعال الخالق العظيم في أصغر ذرة ، وما هي مشتملة عليه من غرائب العلم المقصود الدالة عليه عجائب الصنع وما هي معده له في الوجود سواء أكانت ذرة حياة أو ذرة جماد أو ذرة غاز أو ذرة سائل ان الذرات الحية المشتملة عليها خلايا النواة الحية لتأتي من

---

(١) أية سطحية هذه فهل يمكن ان يوجد علم في كائن ما ولا يكون مقصوداً .

(٢) هذه العبارة تدل على الكثرة لا تعين العدد .

الاعمال كما لو كان في باطنها ألف مهندس عالم وألف صانع ماهر . متوفرة لديهم كل المواد الأولية ، وكل آلات الصنع المطلوبة .

... وقل مثل ذلك في سواها من أعمال الكائنات غير الحية وفي أعمال كائنات الطاقات من أرواح حية وسواها ..

أجل يحارون ويدهشون ويخشعون لأنهم يلمسون أفعال الخالق العظيم فيها لمس اليد وكل ذلك مظهر الآيات المحكمة الدالة على شمول علمه الأزلي وكمال قدرته وتفرده في الخلق إيجاداً وإعداماً وأداء أعمال ووظائف قال الله عز وجل :

(إِنَّ ٱللَّهَ فَالِقُ ٱلْحَبِّ وَٱلنَّوَى، يُخْرِجُ ٱلْحَيَّ مِنَ ٱلْمَيِّتِ ، وَمُخْرِجُ ٱلْمَيِّتَ مِنَ ٱلْحَيِّ ، ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ فَأَنَّى تُؤْفَكُونَ « ٩٦ » ، فَالِقُ ٱلْإِصْبَاحِ وَجَعَلَ ٱللَّيْلَ سَكَناً ، وَالشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ حُسْبَاناً ، ذَٰلِكَ تَقْدِيرُ ٱلْعَزِيزِ ٱلْعَلِيمِ) ٦-٩٧ .

(وَهُوَ الَّذِي أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجْنَا بِهِ نَبَاتَ كُلِّ شَيْءٍ فَأَخْرَجْنَا مِنْهُ خَضِراً نُخْرِجُ مِنْهُ حَبًّا مُتَرَاكِبًا وَمِنَ النَّخْلِ مِنْ طَلْعِهَا قِنْوَانٌ دَانِيَةٌ وَجَنَّاتٍ مِنْ أَعْنَابٍ وَٱلزَّيْتُونَ وَٱلرُّمَّانَ مُشْتَبِهًا وَغَيْرَ مُتَشَابِهٍ أُنْظُرُوا إِلَى ثَمَرِهِ إِذَا أَثْمَرَ وَيَنْعِهِ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ) ٦-٩٩ .

(وَٱلْخَيْلَ وَٱلْبِغَالَ وَٱلْحَمِيرَ لِتَرْكَبُوهَا وَزِينَةً ، وَيَخْلُقُ مَا لَا تَعْلَمُونَ) ١٦ - ١٨ .

(وَٱللَّهُ خَلَقَ كُلَّ دَابَّةٍ مِنْ مَاءٍ فَمِنْهُمْ مَنْ يَمْشِي عَلَى بَطْنِهِ وَمِنْهُمْ مَنْ يَمْشِي عَلَى رِجْلَيْنِ وَمِنْهُمْ مَنْ يَمْشِي عَلَى أَرْبَعٍ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِير) ٢٤ - ٤٥ .

(خَلَقَ السَّمٰوَاتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا وَأَلْقَى فِي ٱلْأَرْضِ رَوَاسِيَ انْ تَمِيدَ بِكُمْ وَبَثَّ فِيهَا مِنْ كُلِّ دَابَّةٍ وَأَنْزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَنْبَتْنَا فِيهَا مِنْ كُلِّ زَوْجٍ كَرِيم) .

(وَمِنْ كُلِّ شَيْءٍ خَلَقْنَا زَوْجَيْنِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُون) ٥١ - ٤٩ .

وهكذا تجد العقيدة الاسلامية لا تزال كما نزلت من السماء صافية صفاء ماء المزن لا وثنية فيها ولا إشراك يطمئن إليها العلم والعقل لأنها عين الواقع .

وتجد التقوى المبنية على هذه العقيدة خالية من الخرافات والاباطيل ومن كل تخلف وانحطاط . كلها نور وحق وهدى .

ويجمل بالقارىء قبل ختام هذا الفصل أن يتلو بخشوع هذه الآيات :

(وَكَذَلِكَ نُرِيَ إِبْرَاهِيمَ مَلَكُوتَ السَّمٰوَاتِ وَٱلْأَرْضِ وَلِيَكُونَ مِنَ ٱلْمُوقِنِين «٧٦» فَلَمَّا جَنَّ عَلَيْهِ ٱللَّيْلُ رَأَى كَوْكَبًا قَالَ هَذَا رَبِّي فَلَمَّا أَفَلَ قَالَ لَا أُحِبُّ ٱلْآفِلِين «٧٧» فَلَمَّا رَأَى ٱلْقَمَرَ بَازِغاً

قَالَ هَذَا رَبِّي فَلَمَّا أَفَلَ قَالَ لَئِنْ لَمْ يَهْدِنِي رَبِّي لَأَكُونَنَّ مِنَ ٱلْقَوْمِ الضَّالِّين « ٧٨ » فَلَمَّا رَأَى الشَّمْسَ بَازِغَةً قَالَ هَذَا رَبِّي هَـــذَا أَكْبَرُ فَلَمَّا أَفَلَتْ قَالَ يَا قَوْمِ إِنِّي بَرِيءٌ مِمَّا تُشْرِكُونَ « ٧٩ » إِنِّي وَجَّهْتُ وَجْهِيَ لِلَّذِي فَطَرَ السَّمٰوَاتِ وَٱلْأَرْضَ حَنِيفًا وَمَا أَنَـــا مِنَ ٱلْمُشْرِكِين) ٦ ـ ٨٠ .

٢ – ركن العبادة في الاسلام : –

ركن العبادة وهو المسمى بتوحيد العبادة . وهذا الركن مبني على شـــيء واحــد في الاسلام لا ثاني له ، هو توجيه العبادة إلى خالق الوجود وحده دون إشراك أو وثنيـــة . وتحقيق هذا الركن هو أكبر أعمال رسل الله صلوات الله وسلامه عليهم من قديم الزمان . لميل الانفس إلى عبادة المخلوقـــات المادية أو المعنوية قال الله عز وجل :

(يَا أَيُّهَـــا النَّاسُ ٱعْبُدُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُون) ٢–٢١ .

(وَيَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ ٱللهِ مَا لَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنْفَعُهُمْ وَيَقُولُونَ هَؤُلَاءِ شُفَعَاؤُنَا عِنْدَ اللهِ . قُلْ أَتُنَبِّئُونَ اللهَ بِمَا لَا يَعْلَمُ فِي السَّمٰوَاتِ وَلَا فِي ٱلْأَرْضِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُون) ١٠ ـ ١٩ .

(قُلْ إِنِّي نُهِيتُ أَنْ أَعْبُدَ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللهِ ، قُـــلْ

لَا أَتبعُ أَهْوَاءَكُمْ قَدْ ضللتُ إِذَنْ وَمَا أَنَا مِنَ ٱلْمُهْتَدِينَ) .

ولئن كان اعتقاد غير الخالق من مخلوقاته انه الخالق ، - الذي هو الوثنية ، - يعد ظلماً فان عبادة غير الخالق من مخلوقاته - الذي هو الشرك - يعد أشد ظلماً ، وان صحة الاعتقاد الصحيح بالخالق العظيم . لأن الأول ما عرف الخالق بل ضل عنه واعتقد سواه من مخلوقاته هو الخالق . ولأن الذي عرف الخالق ، ولكنه عبد سواه وشتان بين العارف وغير العارف . وكون الشرك ظلماً عظيماً ، صريح في قوله تعالى :

(وَإِذْ قَالَ لُقْمَانُ لِابْنِهِ وَهُوَ يَعِظُهُ يَا بُنَيَّ لَا تُشْرِكْ بِاللهِ إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيم) ٣١ — ١٣ .

وهذا نبي الله نوح ينذر قومه بالعذاب الأليم إن استمروا على عبادة الآلهة المتخذه من المخلوقات .. قال تعالى :

(لَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحاً إِلَى قَوْمِهِ فَقَالَ يَا قَوْمِ ٱعْبُدُوا ٱللهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيم) .

وهذا سيدنا إبراهيم الخليل يضرع إلى الله عز وجل أن يجنبه وذريته عبادة الأصنام :

(وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ ٱجْعَلْ هَـٰذَا ٱلْبَلَدَ آمِنًا وَٱجْنُبْنِي وَبَنِيَّ أَنْ نَعْبُدَ ٱلْأَصْنَام) ١٤ — ٣٦ .

وهكذا نفهم من جملة نصوص القرآن المجيد أن العبادة إذا وجهت إلى شيء من المخلوقات المادية أو المعنوية كانت كفراً وفي ذلك ورد قوله تعالى:

(لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَدْ تَبَيَّنَ ٱلرُّشْدُ مِنَ ٱلْغيِّ فَمَنْ يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمِنْ بِاللهِ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ ٱلْوُثْقَى لَا انْفِصَامَ لَهَا وَاللهُ سَمِيعٌ عَلِيم) ٢ ــ ٢٥٦ . [1]

والطاغوت مشتق من الطغيان وهو مجاوزة الحد المتعارف ، فمن تجاوز بعبادته التي هي حق الخالق العظيم إلى كلّ مخلوق من مخلوقاته ، ولما كانت المخلوقات كثيرة ومختلفة كانت الطواغيت كثيرة ومختلفة . ونحن إذا درسنا الطواغيت التي كان أهل الجاهلية يعبدونها من أرواح وجن وملائكة وشموس ونجوم ونار ونور وظلام وأشجار وأحجار وسوى ذلك ، فإننا نجد أن عبادتهم لم تجعلهم يجحدون وجود الخالق العظيم ، وانه الخالق لكل شيء والمتصرف في كل شيء وهذا واضح في قوله تعالى :

(قُلْ مَنْ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ ، أَمَّنْ يَمْلِكُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَمَنْ يُخْرِجُ ٱلْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ ٱلْمَيِّتَ مِنَ ٱلْحَيِّ ، وَمَنْ يُدَبِّرُ الْأَمْرَ فَسَيَقُولُونَ اللهَ فَقُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ) ١٠ ـ ٣٢ .

والخلاصة أن توحيد العبادة في الاسلام هو أن يتوجه المتعبد في صلاته ودعائه

---

(١) جاء النداء بحرية العقيدة وعدم الاكراه من أوائل الدعوة في مكة : « قل يا أيها الكافرون لا أعبد ما تعبدون ... الخ » . ورفض المشركون قبول حرية العقيدة وأعلنوا المقاومة فرد الاسلام مقاومتهم وظل ينادي بحرية العقيدة ولم يفرض الجبر ، فقط من اختار الاسلام وأعلن الايمان فليس له أن يعبد سوى الخالق العظيم بالذات وهو يدعى الاسلام إذ في ذلك تمزيق للعقيدة وتخلخل في الصفوف ، لذلك أجاز الاسلام مقاتلة المرتدين ان أصروا على ارتدادهم كما فعل الخليفة الأول ... ومن أجل ذلك كان حكم المشركين غير حكم أهل الكتاب .

واستغاثته وخوفه ورجائه ورغبته ورهبته وتوكله ونذره وذبحه القرابين وضراعته وتذلله في ركوعه وسجوده وذكره وتلاوته وكل ما كان من هذا القبيل إلى خالق الوجود وحده دون وثنية أو إشراك .

ومن أجل ذلك كانت الكلمة الاولى التي يدخل بها المصلي في صلاته في الاسلام هي : « الله أكبر » ، الكلمة التي يعلن بها المصلي أن العبادة هي حق الله وحده لأنه هو الكبير وأن العوالم كلها صغيرة بالنسبة إليه يحرم أن يتوجه إلى شيء منها في صلاته وأن دعاء التوجه الذي يتلوه المصلي بعد دخوله في الصلاة يحرر توجهه من كل شائبة تمت إلى الوثنية والاشراك .

(وَجَّهْتُ وَجْهِي لِلَّذِي فَطَرَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ حَنِيفًا مُسْلِمًا وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِين، إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ لَا شَرِيكَ لَهُ وَبِذَلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا مِنَ الْمُسْلِمِين) .

ولا يكفي للنجاة من غضب الله وعذاب الآخرة أن تكون العبادة في ظاهرها على النسق الذي صح عن رسول الله ﷺ وفي باطنها انحراف في التوجه عن الخالق العظيم كالذي يصلي أو يزكي أو يحج رئاء الناس ليمجد ويوثق به . وعلى هذا الوجه تخرج قصة الرجال الثلاثة : العالم والكريم والمجاهد الذين لم يقصدوا الله في أعمالهم في الباطن وإنما قصدوا حظوظ أنفسهم فاستحقوا النار .. وصفوة القول :

« ان كل عمل يقصد به وجه الله وحده هو عبادة تنيل رضوان الله وحسن المثوبة وسعادة العالم الثاني وهو عين التقوى الاسلامية وعين التصوف الاسلامي ».

تفاقم الوضع على السنة الصوفية

الوضع على السنة الماضيين مسلك مكتظ بالدساسين والمفتونين والاسطوريين وذوي الأغراض الخيرة والشريرة.. ولم يكن الوضع على السنة المفسرين والمحدثين والفقهاء سواهم بأقل منه على السنة الصوفية . ولكن الذي جعل الوضع على السنة الصوفية يتفاقم هذا التفاقم المرعب هو ما دسه الوضاعون في تضاعيف مؤلفاتهم من وثنيات صوفية النحل الحلولية الوثنية القديمة .

ومهما يكن فالجهاد العلمي المخلص من أجل تحرير واقع المعرفة في كل ما كتب الماضون هو اليوم قائم على قدم وساق في شتى معاهد العلم . ويشرف عليه علماء عالميون أمناء مسؤولون لدى الامم كافة على التقدم العلمي وعلى التطور الحضاري وعلى السمو الانساني .

أما الوضاعون فهم – وان كانوا يرتدون « أرواب العلماء » ويندسون في أوساطهم ، فانهم ينكشفون للجماهير لأنهم يفقدون ميزتهم النفسية المتطلعة إلى الكمال وحماسهم المخلص لكشف واقع العلم في كل ما يقدمونه للناس .

أجل ينكشفون لدى كل دارس لأنهم لن يكونوا إلا حجار عثرة في وجه كل تقدم علمي وفي وجه كل تفاهم سلمي وفي وجه كل سمو إنساني . وما كانوا كذلك إلا لأنهم ذوو أخلاق وضعية منحطة وذوو أحقاد خبيثة مدمرة وذوو نوايا تستجير من شرورها الابالسة .قل لي بربك من وضعوا تلكم الاقاصيص الخرافية المتضاربة في أصل خلق العالم التي تطفح بها المؤلفات القديمة والتي بلبلت عقائد الأفراد والجماهير وجعلتهم طرائق قدداً ..

ومن هم الذين دسوا في ظلمات الليالي وغفلات الايام على السنة رسل الله صلوات الله عليهم ذلكم الركام الضخم من الاباطيل والمفتريات. وإذا كانوا تمكنوا أن يضعوا على لسان خاتمهم سيدنا محمد الآلاف المؤلفة من الأحاديث والأقاصيص

وهو منار المعارف العالية المحررة وباعث الأجيال الحديثة المثقفة فما بالك بمن سلفوا قبله بآلاف الأعوام . أجل وضعوا على لسانه الكثير الكثير حتى انهم ذكروا أن إمام أهل السنة أحمدبن حنبل حفظ ولده الافا من الأحاديث المنسوبة إلى رسول الله إفكاً ليميز الحديث الصحيح من الموضوع .. وذكروا أن الدارقطني قال « صار الحديث الصحيح من الأحاديث الموضوعة كالشعرة البيضاء في جلد الثور الأسود » .

ويكفي ليستوعب المطالعون هذا الواقع الموجع أن يدرسوا المؤلفات الآتية :ـ

: « الفوائد المجموعة في الأحاديث الموضوعة .. » و

: « تبرئه الشريعة المرفوعة عن الأخبار الشنيعة الموضوعة .. » و

: « تميز الطيب من الخبيث فيما يدور على السنة الناس من الحديث .. » و

: « اللآلىء المصنوعة في الأحاديث الموضوعة .. » و

وكم هناك من مؤلفات لعباقرة العلماء الراسخين في العلم في هذا الشأن . وإذا رمت التوسع في الاطلاع على مكايد هذا الوضع الذي يقصد منه الاضرار بواقع العلم الإسلامي الصافي وصرف المفكرين عنه فأدرس تفسير الخازن واضرابه وقصص الأنبياء وبدائع الزهور ونزهة المجالس وتنبيه الغافلين ومعراج ابن عباس وما كتبه الواقدي وأمثاله . حتى قال الإمام الشافعي : « مؤلفات الواقدي كلها كذب » أي تفقد نصوصها الوثوق العلمي القطعي .

والخلاصة التي نفيدها من كل ما تقدم هو أن تعرفنا إلى واقع العلم الذي جاء به خاتم رسل الله إلى الإنسانية كافة ممكن وذلك إذا طرحنا الأباطيل التي دست على لسانه واقتصرنا في دراستنا للاسلام على منابعه الأولى التي هي عين واقعه من غير زيادة ولا نقصان . ومنابع الاسلام الاولى ثلاث ولا رابع لها .

١ ـ القرآن المجيد .

٢ – ما صح عن رسول الله من قول أو فعل أو تقرير .

٣ – التقيد بطريقة السلف الصالح في تحري الواقع وتجنب الوضع ونبذ الخرافات والأباطيل والظنون والأوهام والصدق في الإيمان والفهم الصحيح والاهتمام بالإجماع العام ، وأخذ ما جاء به رسول الله صلوات الله عليه وسلم ، وطرح ما سواه ...

وهذا هو الصراط المستقيم الذي لا عوج فيه . وما أعظم قول امام دار الهجرة مالك بن أنس ، وهو يشير إلى قبر رسول الله صلوات الله وسلامه عليه: « ما من أحد إلا أخذ منه ورد عليه ، إلا صاحب هذا القبر .... » . يقصد ان ما جاء موافقاً لكتاب الله وصحيح السنة اعتمد ، وما جاء مخالفاً لم يعتمد . غير ملتفتين إلى شأن القائل في العلم ، لأن العالم وإن كان إماماً مجتهداً فانه غير معصوم عن الوقوع في الاخطاء ...

وهذا التحري الدقيق الناصح في الأخذ بما جاء به خاتم رسل الله عن ربه والتقيد به بكل صدق وإخلاص هو عين التقوى الإسلامية وقل أيضاً عين الصوفية الاسلامية . وهذا ما يتوخاه كل عالم أمين على واقع العلم من وراء دراسته للاسلام . ومن أجل ذلك نجد كل إمام يعلن لتلامذته : « إن ما جاء في القرآن المجيد وما صح عن رسول الله من قول أو فعل أو تقرير فهو مذهبه وما خالف فليضرب به عرض الحائط » .. وهذه هي عقيدة كل مسلم على وجه الأرض . ونسأل الله عز وجل أن لا يحرم إنسانا منها وعلى كل حال فمن طلب الاهتداء إلى الله بصدق وإخلاص من طريق واقع العلم فان الله عز وجل تكفل بهدايته :

(وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا) ..

والمقصود الجهاد العلمي الحر إلى الايمان به عز وجل .

طريقـــة تصفيـــة المدسوس

على السنة العلماء الماضين

أراد الكاتب السلفي الكبير السيد محب الدين الخطيب أن يبسط لنا طريقة تصفية المدسوس على السنة العلماء الماضين لكي لا نقع في الخطـــأ فننسب اليهم الباطل أو نكفرهم بأقوال لا علم لهم بها وهم أشد انكاراً لها منا فعرض علينا جملة مختارة من كلمات السيد عبد القادر الجيلاني الحكيمة الأصيلة لوفرة ما دس عليه من أقوال مريبة، فمن كان مثله في علمه وفضله وتقواه لا يسمح لنفسه بسماعها . بله التحدث بها . وكأنه رحمه الله كان مدركا ان من البشر أناساً خبثاء لا اكتراث لهم بعلم أو دين أو خلق . بل كان دأبهم الدس والتشويش على حقائق العلم الذي أنزله الله في القرآن المجيد ليصرفوا الناس عن الايمان به ظلما وعدوانا .

وإنك تحس ان هذه الكلمات المحكمة الحكيمة التي اختارها الكاتب السلفي في حديثه هي بمثابة البودقة التي يمكن بها أن نعزل بها كل الكلمات الغريبة التي دست على السنة مشاهير علـــماء الاسلام كما نعزل المعادن الغريبة الخسيسة عن الأصفرين . إذ ليس السيد عبد القادر الجيلاني واحداً مما أصيب بـه من التقول والافتئات على لسانه بل ما أصيب به سواه ادهى وأمر . وأحسب وعي العلماء لهذا الدس الخفي هو الذي جعلهم يتنادون في دروسهم الخاصة والعامة وفي مؤلفاتهم انهم يبرأون من كل كلمة تنسب اليهم وفي أدنى مخالفة لما جاء في القرآن المجيد أو في صحيح السنة المطهرة وقد تحدث عن الافتئات والمبالغـات التي حيكت حول السيد عبد القادر الجيلاني السيد مصطفى المنفلوطي في نظراته وسواه إلا ان ما صنعه صاحب الحديقة كان أوقع وأدق إذ دلنا على حقيقة السيد عبدالقادر الجيلاني بما عرض علينا من كلماته هذه (١) : —

(١) الحديقة : الجزء التاسع ، ص ١٧٨ .

١ - « كل حقيقة خالفت الشريعة فهي زندقه » .

٢ - « الشيخ من يلزمك الكتاب والسنة ويبعدك عن المحدثة والبدعة » .

٣ - « الشيخ ظاهره الشرع وباطنه الشرع » .

٤ - « الطريقة هي الشريعة » أي لا طريقة الا ما جـاءت به شريعة الله عز وجل .

٥ - « القرآن بحر الحكم كلها ، ولكن أين الآذان الواعية » .

٦ - « لا تجعل رواق شيخك حرماً ، و « قبره » صنماً . » .

٧ - « إذا رأيت الرجل يطير في الهواء فلا تعتبره حتى تزن أقواله بميزان الشرع » .

٨ - « من أيقن ان الله الفعال المطلق صرف همته عن غيره » .

٩ - « الصوفي لا يسلك غير طريق الرسول المكرم ﷺ فلا تجعل حـركاته وسكناته الا مبنية عليه » .

١٠ - « تعلق الناس اليوم بأهل الحرف والكيمياء (١) والوحدة والشطح والدعوى العريضة . إياك ومقاربة مثل هؤلاء الناس ، فانهم يقودون من اتبعهم إلى النار وغضب الجبار ويدخلون في دين الله ما ليس منه وهم من جلدتنا : إذا رأيتهم حسبتهم سادات الدعاة إلى الله تعالى قل إذا رأيت أحدهم : يا ليت بيني وبينه بعد المشرقين » .

١١ - « الاطمئنان بغيره تعالى خوف ، والخوف منه اطمئنان من غيره » .

والخلاصة التي نفيدها من كل هذه الكلمات ان أي عالم أعلن براءته من كل ما يخالف القرآن المجيد بمثل هذه الكلمات تنظر في أمره ، فإن كان من الأموات

---

(٢) يقصد الجماعـة الذين يزعمون انهم يحولون النحاس إلى ذهب وأنهم يتصرفون في الوجود بالحرف .

طرحنا كل جملة وجدناها مخالفة ، وأدركنا انها دست عليه ، وإن كان حياً سألناه قضاء عنها ، فإن تبرأ منها عزلت وطرحت وإن اعترف بها وأصر عليها وأبى الاقلاع عنها أدين ومنعت كلماته من النشر والإعلان .

وهذه هـــي الطريقة السديدة لضبط العلم واحكامه وأبعاده من التقول والافتئات .

كتاب التصوف في تهامـــه

إن كتاب التصوف في تهامه وإن كان خاصا إلا انــه ألمح في صفحاته الأولى إلى التصوف بمعناه العام ، ونبه انه موغل في القدم وإنه مناف للاسلام . انظره ص (٥) واسمعه يحدثك عن ايغاله في القدم .....

« الصوفية تاريخها موغل في القدم وهي ضرب من التبتل والتخلي والزهد في الحياة عرفت في شتى الديانات القديمة التي سادت العالم في تاريخه البعيد وتكاد تكون عالمية في شيوعها في مختلف الملل ، فقد مارسهـا اليونان في وثنيتهم ، كما عرفت في البرهمية ثم البوذية في الهند والصين ، ومارسها الفرس على اختلاف نحلهم من مانوية وزردشيته وغيرها في شتى رياضياتهم الروحية » .

فأنت ترى أن هذا النحل جميعها حلولية وانها سابقة على الاسلام . من أجل ذلك كان تصوفها حلولياً منافياً للاسلام . كما تجد بيان ذلك واضحاً في أكثر من موضع من كتابه ، الا تراه قد بسط منافاة التصوف الحلولي العام للاسلام من ص ٧ إلى ص ١١ حيث عرض توحيد العبادة الاسلامية الذي ينافي عبادة الاشراك والوثنية التي هي عين عبادة الصوفية الحلولية ... ومـــا قاله الامامان الجليلان الشافعي وابن تيمية وسواهما من العلماء ...

وذكر في فصل : « كيف وفدت الصوفية إلى اليمن » ص ١٤ ان بعض رواسب

الصوفية الوثنية الحلولية قد تسربت إلى التصوف الخاص في تهامه مع التعديل .
لان معالم الصوفية الحلولية الوثنية التي كانت في العهود القديمة قدمحاهاالاسلام.
فما بقي ان هو إلا رسوم ضئيلة اختفت بعد الاسلام.

ويجد المطالعون في فصل : « تـــأقلم الصوفية » كشف رواسب الصوفية الوثنية الحلولية المبنية على الاتكالية السلبية والانقطاع عن العمل المشروع وعلى تفشي الخلافات العقائدية وبيان ان كل ذلك تسرب إلى جزيرة العرب منذ القرن الثالث . ويجد المطالعون كل ذلك موضحاً في صفحة ١٦و١٧ من كتاب التصوف في تهامه .

وإن هذا الكتاب القيم يشتمل على تراجم رجال ، لا غنى لدارسي تاريخ الجزيرة العربية – بعد ظهور الاسلام والفتوحـــات الخيرة الصالحة التي حققها أبناؤها في العالم – من التعرف اليهم والالمام بأوضاعهم وما كان منهم لأنفسهم وأمتهم من خير أو شر .

وإنك تلمس وأنت تطالع تراجمهم انها تراجم مدروسة على أصول البحث العلمي الدقيق وانها محررة من كل زيف واختلاط . وان المؤلف ما أخرجهـا للناس على هذا اللون الفني الجذاب ونسقها هذا التنسيق الدقيق الرائع ووزنهـا بموازين العلم والحق والصدق ، إلا بعد جهود مضنية وسهر طويل وقداستغرقت هذه التراجم معظم الكتاب من ص ٤٧ إلى ص ٩٤ أي إلى نهاية الكتاب .

ولو لم يكن اختصار التراجم بعد التنسيق على هذا اللون الرائع وإخراجها للناس بعد تشويها لحقائقها وتبديداً لجهود المؤلف لفعلت .

وإني أكف عن ذلك وكلي حرص على الاطلاع والافادة وحث لطلاب العلم أن يطالعوا ويفيدوا ، لان النتيجة التي يفيدها المطالع بعد دراسة هذا الكتاب بالاضافة الى التراجم لا تقدر بثمن . يكفي أنــه يدرك الجزيرة العربية ، حين

كانت من أقصاها إلى أقصاها على التقوى الاسلامية التي كان عليها رسول الله ﷺ وأصحابه الكرام دون زيادة أو نقصان، ودون تساهل أو تخاذل استطاعت أن تقيم في العالم كافة الاصلاحات الخيرة التي لا تزال تحمل أسماءهم وأعمالهم الانسانية المجيدة الخالدة .

وحين أفسحت المجال للنحل الصوفية الوثنية الحلولية أن تتسرب إلى أوساطها ونسيت ما كان عليه رسول الله وسلفها الصالح انقصم ظهرها وانتابتها النكبات والأهوال ومزق شملها شر مزق وأصبحت عبرة المعتبرين .

وقد ذكر العقيلي بعض هاتيك الاحداث في كتابه الجديد « ديوان السلطانين » باختصار مقصود لأنها مخجلة جداً ومحزنة جداً . ولا يقبل الكاتب أن ينسبها إلى زنوج افريقيا الأُول الذين كانوا يقطنون الغابات والأدغال عريا ، فكيف يقبل أن ينسبها إلى أمة جزيرة العرب التي أقامت أكبر أمجاد التاريخ وأخرجت اعرق الشعوب المتحضرة السامية العظيمة من بابليين وآشوريين وفينيقيين وهكسوس وسواهم .

من أجل ذلك نجده يختصر الحوادث اختصاراً ويتجنب الافاضة فيما يسيء السمعة ويحط من الكرامة . ولولا ما تفيده الاجيال العربية الحديثة من وعي وانتباه وعظة واعتبار وبعد عن ارتكاب الأغلاط والأخطاء لما ذكر شيئاً من ذلك بل لما ألف كتاباً واحداً من كتبه التي يتابع إخراجها بهمة ونشاط عجيبين ..



الحبّ والبغض بين القديم والحديث

ما كل قديم مبغوض،ولا كل جديد محبوب خذ مثلا النيل الذي كان أقدم من آدم في الوجود ، لو أعرض المصريون عنه ، وقالوا قديم قديم ما انا وله .

وأبغضوه وانصرفوا عنه إلى صحراء التيه . أما كانوا هلكوا في متاهاتها كما هلك قوم موسى عليه السلام .

إذن فحب المصريين للنيل ، واهتمامهم به ، وإقامة الأرياف المزدهرة حواليه ، وتشييد السدود الكبرى ، وشق القنوات والمجاري واخصاب الصحارى ... لا باعتبار انه قديم أكل الدهر عليه وشرب ... بـــل باعتباره انه حياة وروح وريحان .

وقل مثل ذلك في التراث العظيم الذي خلفه رسل الله ، والحكماء والعلماء والأدباء .. في الزمن الغابر . وإن تكاثفت عليه الحقب ، ومرت عليه الأجيال تلو الاجيال ، والأحداث تلو الأحداث . فإنه يظل في حاضرنا ومستقبلنا جديداً جديداً . يهدي بابصاره وبصائره إلى أقوم السبل ، ويدني الأمجـــاد الشاسعة ، ويشيدها ويفتح اغلاق المعرفة ، ونيل الحكمة التي تظل بها الإنسانية تسمو وتسمو إلى مثلهـــا العليـــا ، وتصفى من خبائث الوحشية وفتكاتها هذا بعض صنع الماضي العظيم الماضي الإنساني .

يا لله انه كنوز من المعاني ، وطاقات الحياة العبقرية لاسعاد الحاضر والمستقبل ، وهو أغلى قدراً وأثمن قيمة من كنوز واسطات العقود ...

وما هو لكل تراث . انه محصول اقدار تكرم الانسان بايديه العطاء العبقري الدفاق . انه سر قوله تعالى .

٣-١٧« فأمَّا الزبد فيذهبُ جُفاءً ، وأمَّا ماينفعُ الناسَ فيمكثُ في الأرض »

وما ينفع الناس تسمو قيمة كلما تساقطت من حواليه الأحقاب فالعبرة بالنفع المؤكد ... لا بالجدة ولا بالقدم .

يا بشر

إذا كان علام الغيوب يخاطب خاتم رسله محمداً – صلوات الله عليه وسلامه – الذي قلب الدنيا رأساً على عقب ، وبدل مجاري الأحداث وغير المعتقدات ، ونمى المعارف ، وقضى على نزعات الشرك والوثنية ، والشر من العالم ...

وحول أتربة الارض الناطقة من حيوانات مفترسة غير مأمون انقضاضاتها المباغتة ، إلى أمناء كرام على تطور الحضارات الانسانية السلمية الراغدة ، وأمنياتها البناءة الوادعة . ومعارفها السامية النابغة ، وشمائلها الكريمة الراضية .

أجل رفعها من أسفل سفال الارض إلى أعلى منائر السماء ومحاريبها المقدسة ، وهي تهيب بالأجيال منادية من كل الآفاق على تداول فترات الليل والنهار خمساً . « الله الكبر الله الكبر » ...

هذا النداء المقدس الذي تسمعه يجلجل من أرجاء الدنيا ، من عواصمها وقُراها وأريافها وبواديها . وهو ينوه بشهادة الاعتراف برسالة خاتم الله محمد ﷺ ، إلى جانب التنويه بشهادة الاعتراف بوحدانية رب العالمين وخالق الخلق أجمعين الله الذي اصطفاه رحمة للعالمين وجعله خاتم رسله أجمعين ..

يـــا بشر

إذا كان هذا الرسول العظيم الذي رحم الله به العالمين ، واصطفاه لتبليغ وحيه للناس أجمعين يخاطبه سبحانه وتعالى بقوله :

(وَتِلْكَ حُجَّتُنَا آتَيْنَاهَا إِبْرَاهِيمَ عَلَى قَوْمِهِ ، نَرْفَعُ دَرَجَاتٍ مَنْ نَشَاءُ إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ (٨٣) وَوَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ كُلاًّ هَدَيْنَا وَنُوحاً هَدَيْنَا مِنْ قَبْلُ ، وَمِنْ ذُرِّيَّتِهِ دَاوُدَ وَسُلَيْمَانَ وَأَيُّوبَ وَيُوسُفَ وَمُوسَى وَهَارُونَ وَكَذَلِكَ نَجْزِي ٱلْمُحْسِنِينَ (٨٤) وَزَكَرِيَّا وَيَحْيَى وَعِيسَى وَإِلْيَاسَ كُلٌّ مِنَ ٱلصَّالِحِينَ (٨٥) وَإِسْمَاعِيلَ وَإِلْيَسَعَ وَيُونُسَ وَلُوطاً ، وَكُلاًّ فَضَّلْنَا عَلَى ٱلْعَالَمِينَ (٨٦) وَمِنْ آبَائِهِمْ وَذُرِّيَّاتِهِمْ وَإِخْوَانِهِمْ وَٱجْتَبَيْنَاهُمْ وَهَدَيْنَاهُمْ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ (٨٧) ذَلِكَ هُدَى ٱللهِ يَهْدِي بِهِ مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَلَوْ أَشْرَكُوا لَحَبِطَ مَا كَانُوا يَعْمَلُون (٨٨) أُولَئِكَ ٱلَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ ٱلْكِتَابَ وَٱلْحُكْمَ وَالنُّبُوَّةَ ، فَإِنْ يَكْفُرْ بِهَا هَؤُلاَءِ فَقَدْ وَكَّلْنَا بِهَا قَوْماً لَيْسُوا بِهَا بِكَافِرِين (٨٩) أُولَئِكَ ٱلَّذِينَ هَدَى ٱللهُ فَبِهُدَاهُمُ ٱقْتَدِهْ قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجراً إِنْ هُوَ إِلاَّ ذِكْرَى لِلْعَالَمِين) ٦ ــ ٩٠ .

يا بشر إذا كان رب العالمين يطلب إلى خاتم رسله محمد صلوات الله وسلامه عليه ان يتخذ ماضي هدى أولئك الرسل الكرام الذين ذكر اسماءهم له ، أسوة وقدوة ، فمن أنتم أيها الحقراء الملاحدة ، وما صنعتم للانسانية من أمجاد حتى ترفضوا ماضي السلف الصالح ومفاخر أمجاده ، وتحملوا عليه بطول الستنكم ، وقصر أعمالكم .

اسمعوا يا هؤلاء إن كانت لكم آذان تسمعون بها نداء الحق وتبصروا وإن كانت لكم بصائر تفقهون بها حقائق الأشياء ، وتميزون بها صحيحها من فاسدها وحقها من باطلها ومنفعتها من مضرتها ...

وخذوا الحكمة من مشيد دولة الادب أمير الشعراء أحمد شوقي .الذي كشف للأجيال وضع هذه العصابة الخاطئة الفاجرة الكافرة ، وحماقة ما تأخذ وجلال ما تدع في قوله

لا تحذ حذو عصابة مفتونة | يجدون كل قديم شيء منكراً
ولو استطاعوا في المجامع انكروا | من مات من آبائهم أو عمرا
من كل ماض في القديم وهدمه | وإذا تقدم للبناية قصرا

يا هؤلاء اخجلوا من أنفسكم بدلاً من خجل الناس لكم . واحذروا أن تجعلوا أمجاد الماضي هدف السنتكم البذيئة ، ونياتكم الرديئة .

اليس الماضي وعاء فيه الثمين والغث والدين والأسطورة ، والحقيقة والخرافة والعلم والجهل ، والنافع والضار ،والادب والهزر ، والمدنية والوحشية ،والايثار والاثرة ، والايمان والكفر ، والامانة والخيانة ،والاستقامة والاعوجاج ،والصدق والكذب .

وهذا شأن الحاضر الذي نحياه ، فهو وعاء للمستقبل بكل مافيه ،والمستقبل سيكون حاضراً لما بعده ووعاء من هذا اللون والدنيا دول .... وتلك الايام نداولها بين الناس .... فما أحوجنا أن نفيد من الماضي لحاضرنا ، وليكون مستقبل أجيالنا عظيما كعظمة ماضينا إن لم يكن أعظم وأجل وأروع وأبهج وأنضر . ولله الامر من قبل ومن بعد .

الإصرار العنزي

هو الاعتقاد الجازم بما يتمثل في المخيلة إنه الحق والواقع : بصنع التقاليد الفاسدة والايحاء المركز وتوجيه المنزل والثقافة . والبلاء الاعظم في إصرار الهوى والمصالح ...

ولو كان ذلك مناقضاً لواقع الوحي اليقيني والعلم اليقيني ..

وإني أعجب من الكاتبين الذين حصروا الاصرار العنزي في أعمال الباقليين وسطحيي المعرفة وأيدوا حصرهم بقصة الاحمق العنزي : « الذي كان يسير في طريق هو وصاحب له فأبصر عن بعد سواداً يتحرك على ذروة اكمة . فقال الاحمق لصاحبه :

– انظر إلى هذه العنز ما أشد سوادها ..

فرد عليه صاحبه بعد أن تأكد من رؤيتها .

: إنها غراب وليس عنزاً !!!

فاستشاط الاحمق العنزي غضباً وصرخ بكل تحد وإصرار .

– إنها عنزة ، انها عنزة ...

: « وثارت بين الصديقين عاصفة من الجدل وهما سائران .

هذا يصر انها عنز وذاك يؤكد انه غراب ... حتى إذا اقتربا من الاكمة طار الغراب . لعنف صخب الجدل . ومع ان الغراب طار ، فإن عناد الاصرار لم

يطر من رأس الاحمق العنزي بل تفاقم واستطار في أشد حماقاته وأصرم مباغتاته ورد مزجراً جازماً « عنزة ولو طارت !! ؟ »

إذن فهل من عجب إذا أبصرتم الاصرار بين العنزيين يرون تقاليدهم الكاسدة ومعتقداتهم الفاسدة هي وحدها عين واقع الوحي اليقيني ويرون الاخذ بهـا والاقتصار عليها والتضحية من أجلها واجباً ولو كان مأتاها الظنون والاوهـام والأساطير الوثنية . وكم أخطأ صغار المثقفين حين قصروا الاصـرار العنزى على الحمقى المهووسين .. ولو كان أولئك المثقفون من العلمـاء المتعمقين ذوي الاطلاع الواسع لوجـدوا الاصرارية العنزية التي تهدم حقائق العلم اليقيني وتبنى الظنون والأوهام شائعة حتى في آثار فريق من الكاتبين العلماء المستأجرين لخبث في تفكيرهم وصغار في أنفسهم وفساد في طوياتهم أكثر من شيوعها في آثار الحمقى والمهووسين.

وسبب ذلك ان العالم إذا كانت مجموعته النفسية موثوقة بالتقاليد الأسطورية والانتهازية الجشعة المتغلغلة انفعالاتها في أعماق نفسه ، فلن يكون مؤيداً للحق كاشفاً لواقع العلم اليقيني في الأشياء : ولو كان مصدره وحي الله اليقيني المؤيـد بالتحدي المعجز المؤيد والعلم اليقيني الثابت ..

ولا تنتهي إلى نهاية الويلات التي تنصب على الانسانية . إذا كان الدافع إلى الاصرار العنزي غرائز حقد غابي فتاك أو نعرة عقيدة انعزالية متخلفة ،أو تآمر شرير يدبر في ظلام الليل ...

ورب العالمين عز وجل صور النفسية العنزية في نصوص يقينية من وحيه .

ألا ترى جحود الاصرار العنزي الارعن لآيات الله المدعمة بالتحدي الصارخ ماثلا في قوله تعالى : « وإذا تتلى عليهم آياتُنا قالوا قد سمعنا لو نشاء لقلنا مثل هذا ان هذا إلا أساطير الأولين . » ٨٠ – ٣٢

(وَإِذْ قَالُوا اللَّهُمَّ إِنْ كَانَ هَذَا هُوَ الْحَقُّ مِنْ عِنْدِكَ فَأَمْطِرْ عَلَيْنَا حِجَارَةً مِنَ السَّمَاءِ أَوِ ائْتِنَا بِعَذَابٍ أَلِيمٍ) ٨ ــ ٣٣ .

وأحسبك تعجب أن يكون بين البشر من يحمل نزعة الاصرارية العنزية التي ترفضها الثقافة الانسانية من كل وجه ويرفضهـا الفكر الصحيح النير وترفضها الفطرة السليمة . ولو لم تكن على شيء من العلم .. ولكنك إذا علمت ان من البشر من يعطلون حواسهم عن أعمالها الأصيلة التي خلقها الله لأجلها يبطل العجب وفي ذلك يقول الله عز وجل ...

(وَلَقَــدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيراً مِنَ الْجِنِّ وَالأنسِ : لَهُمْ قُلُوبٌ لَا يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَا يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ آذَانٌ لَا يَسْمَعُونَ بِهَا أُولَئِكَ كَالأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أُولَئِكَ هُمُ الْغَافِلُونَ) ٧ ــ ١٧٩ .

هذا هو حالهم ، ولو انهم استعملوا حواسهم الاستعمال الذي أعدها الله له لاهتدوا إلى يقين وحي الله عز وجل وإلى يقين العلم الذي طهره العلماء من الظنون والأوهام .

ومهما يكن فالاصرار العنزي لا يصدر عن الكاتب المثقف ثقافة واسعة إلا إذا اتخذ الهه هواه لسبب من هذه الأسباب .

١ ــ الاعتقاد بالموروثات المتخلفة وطرح العلم اليقيني الذي يناقضها .

٢ ــ الانتهازية الضالة التي تهدم الحق بالباطل وغذاؤها الكسب الحرام .

٣ ــ إيثار الوجاهة والرئاسة على كل شيء .

٤ ــ إيثار الشر على الخير حبا في الشهرة والاذى .

(وَإِنَّ كَثِيراً لَيُضِلُّونَ بِأَهْوَائِهِمْ بِغَيْرِ عِلْمٍ) ٦ - ١١٩

(أَفَرَأَيْتَ مَنِ ٱتَّخَذَ إِلَٰهَهُ هَوَاهُ وَأَضَلَّهُ ٱللَّهُ عَلَىٰ عِلْمٍ وَخَتَمَ عَلَىٰ سَمْعِهِ وَقَلْبِهِ وَجَعَلَ عَلَىٰ بَصَرِهِ غِشَاوَةً فَمَنْ يَهْدِيهِ مِنْ بَعْدِ ٱللَّهِ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ) ٤٥ ـ ٢٣

ومن هؤلاء الذين يعبدون أهواءهم العلماء الذين يعرفون الحق كما يعرفون أبناءهم ولكنهم يجحدونه ولا يبالون ...

ولو أنهم كانوا مؤمنين لوقفوا عند قوله تعالى :

(وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ ، إِنَّ السَّمْعَ وَٱلْبَصَرَ وَٱلْفُؤَادَ كُلُّ أُولَٰئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْؤُولًا) ١٧ ـ ٣٧

ولزجرهم ذلك عن الافتراء والدس وجحود الحق بالباطل والعلم بالجهل والصدق بالكذب وإني أقول لهؤلاء الاصراريين المنزية ما قاله نبي الله صالح لقومه حين رفضوا الايمان بما جاءهم به من عند الله على الرغم من البرهان الاعجازي المشاهد .

(فَٱتَّقُوا ٱللَّهَ وَأَطِيعُونِ «١٥٠» وَلَا تُطِيعُوا أَمْرَ ٱلْمُسْرِفِينَ «١٥١» ٱلَّذِينَ يُفْسِدُونَ فِي ٱلْأَرْضِ وَلَا يُصْلِحُونَ) ٢٦ ـ ١٥٢ .

والناقدون افترقوا في تجريم هؤلاء الاصراريين إلى فريقين

١ ـ فريق يجرم الجميع ويرى العقوبة يجب أن تطبق على الجميع .

٢ – وفريق يعذر الحمقى السطحيين ويحصر التبعة وعقوبتها في من كانوا يعلمون واقع العلم اليقيني والوحي اليقيني في الأشياء ، ولكنهم يجحدونهما لسبب من الاسباب الانفه الذكر .

وفي النهاية اذكر المطالعين بقول الشاعر الحكيم أحمد المتنبي :

وكم من عائب قولاً صحيحاً   وآفته من الفهم السقيم .

★ ★ ★

لا أوبئة سارية
مع إداء الصّلوات الخمس في أمّة

كان الدكتور شعيتو »

أذاع أن لا ضرورة للتلقيح ضد وباء الكوليرا في ابان انتشارها بل تكفي النظافة . وذكر ان النظافة قسمان

١ – قسم يختص بالدولة والبلديات في كل بلد .. كنظافة ميـــاه الشرب ، والاسراع في إزالة القمائم وما إلى ذلك .

٢ – وقسم يختص بالاهلين .

كنظافة الابدان والثياب والأمكنة . وغسل الخضار والفاكهة والأيدي قبل الطعام وبعده وبعد الخروج من المراحيض ، وكل ما كان من خصائص الاهلين . وهذا القسم تتولاه فرائض الاسلام وسننه ، وعلم الوقاية الصحية .

الأهلون والصلاة

إذا صلى الاهلون الصلوات الخمس... بكل التزاماتها وآدابها مع تمام الرعاية واليقظة والاهتمام. فلن يصابوا بالامراض المعدية من أنفسهم، الا بعدوى مباشرة من الخارج .

وما أعلنه عن الصلاة حق وصدق ، وما فيه من مبالغة الاطراء من شيء . اني تكون المبالغة ؟ ولم ؟ ولأي شيء ؟ والصلاة مفروض فيها طهـــارة ثلاثة أشياء حتى تكون صحيحة ومقبولة عند الله جل جلاله .

وبدون تحقق هذه الطهارات الثلاث فلا صحة للصلاة . والطهارات الثلاث هي :

١ – طهارة البدن .

٢ – طهارة الثياب .

٣ – طهارة المكان .

الأولى طهارة البدن كله .

طهارة البدن كله هو غسله بالماء الطهور ، وهذه الطهارة . منها المفروضة التي لا تصح الصلاة بدونها . وتفرضها الجنابة والحيض والنفاس .

ومنها المسنونة المرغوب فيها ، ولها مثوبة فعلها وهي غسل الجمعة والعيدين ولدى الاحرام بالحج وأشباه ذلك .

الثانية طهارة أطراف البدن أي فرائض الوضوء

حددت الآية الأطراف التي يفرض تطهيرها ، لقبول الصلاة عند رب العالمين .

(يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا قُمْتُمْ إِلَى الصَّلَاةِ فَاغْسِلُوا وُجُوهَكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ إِلَى الْمَرَافِقِ وَامْسَحُوا بِرُؤُوسِكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ إِلَى الْكَعْبَيْنِ) ٥ – ٦ .

مضافاً اليها النية التي يتم بها التوجه من أجل التطهير قبل مباشرة الصلاة ، لقوله عليه الصلاة والسلام « إنما الاعمال بالنيات »

كمال الوضوء .

يتم كمال الوضوء إذا التزم المتوضيء كل الاعمال التي كان يلتزمها رسول الله ﷺ لدى وضوئه ، ومتى التزمها تحققت فرائض الوضوء التي عليها نص الائمة

الاعلام على أكمل الوجوه وحصل الفرض الاساسي الذي من أجله وردت فرائض الوضوء وسننه .

واسمعها بجملة

١ – النية والبسملة ، والنية عزيمة نفسية إرادية لدى مباشرة أعمال الوضوء،

٢ – غسل اليدين إلى الرسغين ثلاثاً .

٣ – السواك والمضمضة والاستنشاق ثلاثاً ثلاثاً .

٤ – غسل جميع الوجه ثلاثاً مع تخليل اللحية والأصابع .

٥ – مسح الرأس مرة واحـــدة والأذنين ومتى مسح الرأس كله دخل فيه البعض والربع .

٦ – غسل اليدين إلى المرافق ثلاثاً .

٧ – غسل الرجلين مع الكعبين ، رآى رسول الله ﷺ رجلا توضأ ولم يوصل الماء إلى كعبيه فقال ويل للاعقاب من النار ... في هذا الحديث منتهى الاهتمام بامر النظافة .

٨ – الدلك لدى الوضوء والغسل وهو مظهر النظافة التامة وهو مؤكد لدى الإمام مالك . وسمعت محاضرة لطبيب يقول لا فـائدة من الوضوء والغسل إلا بالدلك .

والصلاة كما تطهر المجموعة النفسية البـاطنة ، تطهر ظاهر الجسد فقد روى الشيخان البخاري ومسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه قال .

سمعت رسول الله ﷺ يقول . « أرأيتم لو أن نهرا بباب أحـدكم يغتسل فيه كل يوم خمس مرات هل يبقى من درنه شيء ؟؟؟ قالوا لا يبقى من درنـه شيء ... قال » فكذلك مثل الصلوات الخمس يمحو الله بهن الخطايا ..

طهارة الثياب .

طهارة الثياب سوى فخامتها فقد تكون الثياب متواضعة وهي طاهرة نظيفة

وقد تكون فخمة وهي بخسة قذرة وإذا لم تكن ثياب المصلي طاهرة فصلاته باطلة وفي ذلك يقول الله جل جلاله . « وثيابك فطهر » ٧٤ - ٤

وهذا سيدنا جبريل يعلم الذين يقصدون المساجد للعلم والصلاة ، ما ينبغي أن تكون عليه ثيابهم وأبدانهم من تمام الطهارة والنظافة قال سيدنا عمر في الحديث الذي رواه الامام مسلم.

« بينما نحن جلوس عنـد رسول الله ﷺ ذات يوم إذ طلع علينا رجل شديد بياض الثياب شديد سواد الشعر ، لا يرى عليه أثر السفر ، ولا يعرفه منا أحد، حتى جلس إلى النبي ﷺ ... »

فقول سيدنا عمر . لا يرى عليه أثر السفر ، لأن المسافر يقدم وأثر السفر من الغبار يظهر عليه ، وقوله ولا يعرفه منا أحد أي انه ليس من أهل المدينة حتى يظن انه اغتسل ولبس أحسن ثيابه . وهذا هو محل الشاهد .

ومهما يكن فطهارة الثياب والبدن تطرد الجراثيم والذباب الذى تعلق به . وكل أوبئة الأمراض السارية .

طهارة المكان .

طهارة أمكنة المصلين أمرها عظيم . لأن المصلين يسجدون على سبعة أعضاء الجبهة من الوجه وباطن اليدين والركبتين ، وباطن أصابع القدمين

وهذه الاعضاء إذا بلغت الأرض ، وكانت بها نجاسة علقت بها حتى لوعلمت ان سجادة أو ثوباً أصابته نجاسة . فلا يجوز لك أن تصلي عليها .

ألا ترى أن رسول الله ﷺ علم الصحابة الكرام أن يقذفوا على بول الاعرابي الذي بال في المسجد ذنوبا من الماء حتى يطهر على ان الله وضع في تراب الارض مادة تميت الأوبئة . ولولا ذلك لكانت الرياح الشديدة التي تثير غبار المقابر تملأ الدنيا باوبئة الأرض ، وتكون سبباً في انتشارها مرة ثانية . وكذلك ماء البحر . وهذا من دلائل تدبير الله في مخلوقاته ومن ذلك قال الفقهاء :

« إذا أصابت الارض نجاسة ، وذهبت أثرها جازت الصلاة عليها ،ولم يجيزوا التيمم وجماعة من الفقهاء أجازوا وهم يقولون ان من شأن الأرض جذب الأشياء إلى طبعها .. وجماعة منعوا حتى الصلاة ومهما يكن فالتطهير بالماء إذا أمكن أفضل .

وأثر طهارة الأمكنة في إبادة الأوبئة والذباب والحشرات محقق . واذكر أني كنت ليلة في حجرة مدير مجلة المنهل وجاء جماعة وأرادوا أن يدخلوا بنعالهم فطلب اليهم أن يخلعوها وهو يقول « نحن نصلي هنا » .

والحق ان أرض الصحراء طاهرة نقية والسير عليها لا يجعل النعل تتلوث بالنجاسات بخلاف السير في طرقات المدن الملوثة . وقد يكون هذا هو السبب الذي جعل علماء العالم الاسلامي يمنعون دخول المساجد بالنعل ، وقاية لها من الأوبئة والقاذورات ورأينا الخدم إذا جاء السواح الأجانب إلى المساجد يلبسونهم الأخفاف وقاية للمساجد من أذى نعالهم والمصلون يسجدون على أرضها بسبعة أعضاء ويجلسون على أرضها ، فيسهل التقاط أذاها .

وروى أبو داود من حديث الخدري قال « بينما كان رسول الله ﷺ يصلي بأصحابه إذ خلع نعليه فوضعهما عن يساره ، فلما رأى القوم ذلك القوا نعالهم فلما قضى رسول الله ﷺ قال: ما حملكم على القائكم نعالكم قالوا رأيناك القيت نعليك فألقينا نعالنا فقال رسول الله ﷺ . ان جبريل أتاني فاخبرني ان فيها قذراً وقال أي رسول الله ﷺ إذا جاء أحدكم إلى المسجد فلينظر فإن رأى في نعليه قذراً أو أذى فليمسحه وليصل فيها . وكان وجود القذر والاذى نادراً ما يكون في نعال الناس بخلاف مدن هذا الزمان وعلى كل حال فالتطهير مطلوب لمكان المصلي سواء كان مسجداً أو سواه . والمؤمن كيس فطن يقدر لكل حالة أقدارها التي لا ضرر فيها ولا ضرار .

أسباب تعدّد الآلهة وأساطيرها

كم تدهش الشبيبة المثقفة ؟ !! لهذه الكثرة الرابية ، من الأرباب التي اتخذها مؤسسوا النحل القدامى ، ونسبوا اليـها خلق الكائنات ، والتصرف فيها ، والهيمنة عليها .

وإنها لدهشة تتفاقم بواعثها ، كلما تقدم العلم ، واستطارت الحيرة ،واشتعلت اشتعالاً ، وبالحرى إذا أنعموا أنظـارهم في طبيعة تلـكم الأرباب ، وتبينوا أنها متخذة من بعض كائنات الأرض وطاقاتها ، أو مما هو قريب من سطح الأرض ، ويرى بالعين المجردة !!!

وكيف لا تتفاقم دهشتهم ، ولا يستطيرون حيرة ،ولايشتعلون بها اشتعالاً؟! وقد علموا ـ بعمق معارفهم الحديثة عن ضخامة العوالم الهائلة المكتشفة في أبعاد الفضاء الشاسعة ، وفي سحيق آفاقها ـ علماً لم يدر حتى في مخيلات علماء الفلك القدماء . !!!

بل وقد علموا أن وراءها من الكائنات ، ما هو أضخم وأكبر وأهول وأبعد، مما هو مترام منها في غيوب مجاهله ، ولم يدخل بعد تحديده ، في نطاق المعارف الحديثة ...

وهذه الحقائق العلمية اليقينية المدركة حديثاً عن عوالم الفضاء .. جعلت ما كان مكتشفاً من عوالمه ، قديماً بواسطة مقربات الابعاد الفلكية ، لا يعدو حبات من الرمل منثورة على شاطىء المعرفة : بالنسبة لما عرفوا : اليوم ، ولما يعرفون غداً : !!!

وليس هذا من باب الخيال بل هو الحقيقة اليقينية... إسمع مايقوله مكتشف معظم أصول الرياضة والطبيعة « نيوبتن »

« لا أدري ماذا سيقول الناس عني ؟ أما رأيي عن نفسي فلم اكن إلا أشبه بطفل يلهو على البحر ، يفرح بالاصداف ، التي تقذفها الأمواج ، بينما البحر في جوفه اللآلىء ... » (١) وكم وكم أمثال نيوبتن لهم كلمات تكشف حقائق هذا الواقع .

فهل يعقل أن الذي أحاط علما بهذه الحقائق اليقينية ،عن ضخامة عوالم الفضاء يصدق أن مخطط مخططاتها وموجدها والمتصرف فيها والمهيمن عليها والحافظ لها بسلطانه المطلق . هو ما اتخذه أهل النحل من آلهة على اختلاف أنواعها ، وتباين صفاتها ، من الكائنات ..

لا ريب انك تقول : لا لا : وستظل تقول : لا لا ، ما دام في الارض من يؤمن بألوهيتها ويعبدها ، ويرجو ثوابها ويخشى عقابها ...

والآن يود شبابنا المثقفون ، بكل ما تملك عقولهم من فهم إلى التوسعة في حقائق المعرفة ، اليقينية ، أن يطلعوا على الاسباب التي دفعت منشئي النحل القدامى ، إلى أن يتخذوا آلهتهم من كائنات المادة ، أو من كائنات الطاقة ، وجعلتهم يعبدونها من دون الله الخالق العظيم ، ويعتقدونها هي هو ...

طبعاً حسب ما اتخذ منها أهل كل نحلة من إله ، أو إلهين أو آلهة .

وباعث مثقفينا الشباب إلى التعرف إلى ذلك ، هو علمهم اليقيني بأن نسبة صنع الاهرام إلى كائنات الذباب ، أقرب إلى التعقل من نسبة صنع عوالم الوجود — ما كشفه العلم منها وما لم يكشفه — إلى آلهتهم تلك ، التي عبدوها واعتقدوا انها هي الخالقة المدبرة المهيمنة ذات السلطان المطلق الذي لا يقهر ..

---

(١) انظر كتاب الفلك والحياة ، ص ٤ .

وهأنذا أدلي بجملة الاسباب التي جعلت القدامى يؤلهون ما ألهوا من كائنات المادة أو كائنات الطاقة تفصيلاً ...

١ - أول الاسباب هو جهل المؤلهين بكنه سعة الفضاء ، وضخامة كائناته ، وما هي عليه من سحيق الابعاد وغرائب التكوين . وما يسودهامن نظام مهيمن عليها .. وجهلهم أن أكبر ما استكبروه من اجرامه المؤلهة ، لا تزيد أحجامها عن حبيبات من الرمل منثورة على شاطىء المعرفة . هذا إذا قيست بما وراءها من الاجرام الهائلة التي يتيقنون وجودها ، ولكنهم لم يكتشفوا مواطنها ...

ولا ريب أن الجهل بعظمة الاكوان ، ومـا هي عليه في واقع العلم اليقيني ، يفضي حتما إلى الجهل بعظمة المكون - جل جلاله -

ومن أجل ذلك كانت الآلهة المتعددة المتخذة من كائنات الارض وطاقاتها ، وما هو قريب منها شيئاً مقبولا لدى القدماء، ومؤيداً في منطقهم ، ومعترفاً به بينهم ، وموجوداً في تقاليدهم .

٢ - لولا أن منشئي النحل القدامى ، اعتقدوا أن الآلهة طاقات أزلية عالمية مريدة تتخير ما تحل فيه من الكائنات المادية : لتؤله وتعبد ،وهي قادرة أن تنفع وتضر ، وتسعد وتشقي ، وتحيي وتميت، لما ألـهوها وعبدوهـا ، من دون الله الخالق العظيم عز وجل باعتبارها هي هو ..!!

وهكذا تعددت الآلهة لدى القدماء ، وكان تعددها بالطبع ، تابعـاً لتعدد الكائنات المادية وطاقاتها ... التي تخيلوها أزلية ، وتحل فيها ...

٣ - حين جهل مؤسسوا النحل القدماء ، أن الخالق العظيم ، هـو السبب الحقيقي الفذ المباشر لتكوين كل أنواع الكائنـات : أي هو مخطط مخططات تكوينها ، بعلمه الازلي الشامل ، ومخصص أوضاعها وأنواعها ومواطنها وأعمالها

بإرادته النافذة ، وموجدها ، وموجد أعمالها المتسلسلة، التي تصدر عنها بقدرته التي لا يعجزها شيء ، ولم يشاهدوا أمامهم إلا الأسباب الظاهرة في الكائنات ، فاعتبروها هي الخالقة وألّهوها .

فلما شاهدوا الشمس وما يصدر عنها ، اعتقدوا أنها هي السبب المباشر لكل ذلك ، وهكذا اعتقدوا الحليب الذي تحلبه البقرة والنار التي يقضون بها حوائجهم أنها هي السبب المباشر في الوقود ، وقل مثل ذلك في كل ما ألّه البشر القدامى وعبدوا . !!

ولو أن القدامى الذين ألّهوها أدركوا أن سواها هو السبب الحقيقي المباشر في خلقها ، وخلق كل شيء في هذا الوجود . لما ألّهوها وعبدوها من دونه عز وجل ..

وهكذا فكل ما يصدر عن أي كائن مؤلّه معبود ، إنما يصدر بعلم الله وإرادته وقدرته .. وجهل القدامى به عز وجل هو السبب الذي أفضى بهم إلى تأليه أفراد الكائنات ، وإلى عبادتها باعتبار أنها تشتمل على طاقات أزلية عالية مريدة قارة على كل شيء ، وباعتبار أنها وحدها تستحق التأليه والعبادة .. !!

والعجيب أن كل الكائنات تصدر عنها أعمال مدهشة محيرة ، وكثير منها لم يعدم أهل نحلة يؤلّهونه ويعبدونه ..

ومن هذا الجهل بسبب الاسباب الحقيقي خالق الوجود الحق نجم تعدد الآلهة وتنوعها .. !

٤ — كان أرباب النِّحل القدامى ضيقي أفق التفكير ، تدهشهم غرائب الأعمال التي تصدر عن الكائنات ، وتحيرهم ، وتأخذهم تصوراتها مآخذ شتى .. ولكن شيئاً واحداً يظل مجهولاً لديهم هو خالقها العظيم ، وخالق غرائب أعمالها ، وبسبب جهلهم له عز وجل،نسبوا الخلق إلى سواه ، من كل ما أدهشهم

وحيرهم منها . ثم ألـّهوه وعبدوه ، وتوارثت الأجيال ذلك عنهم ..

فكان إذا افتتن جماعة منهم بعجائب أعمال كائن من الكائنات الأرضية ، أو السماوية حية أو غير حية ، اعتقدوا أنه هو الخالق العظيم وأنه هو مصدرها كلها ، وقصروا نسبتها اليه ، وتحمسوا له كل الحماسة ، وأخذوا يبالغون في مقت آلهة الآخرين . وربما كانت عجائبها التي تصدر عنها أدق وأعظم وأروع وأجل وأهول ..

ولو كان القدماء أهل علم بالخالق العظيم وجليل صفاته وكمالاته لما نسبوا إلى سواه عز وجل خلق تلك العجائب التي من أجلها اللهوا ما اللهوا . وجهلوا أنه وحده الخالق لها ولكل شيء سواها ..

وكثير هي الكائنات التي أدهشت عجائبها الأقدمين وفتنتهم وراعتهم حتى ألـّهوها وعبدوها ..!!

ومهما يكن فعدوى تعدد الآلهة وأدواؤها ، إنما أصيب بها البشر القدماء من صدور العجائب والخوارق التي لم يظهر لهم سواها ولم يجهدوا في البحث عن موجدها . كالذين يحسبون محطة إرسال المعلومات الفضائيه الخالية من إنسان مرسل ، انها هي التي تصدر الارسال من نفسها . جاهلين من وراءها من المخترعين الذين ينسب اليهم الارسال في الواقع ..

٥ – الاختلاط بين أمرين أساسيين بين ذات الخالق العظيم مكون الكائنات وذوات الكائنات وبين صفاته عز وجل وصفات الكائنات ، وعدم التميز بين خصائصها ..

أجل اختلط الأمر على مؤسسي النحل بين ذات الله مكون الكائنات ، وذوات الكائنات ، فلم يميزوا بينهما : أي جعلوا المكون جل جلاله عين الكائنات ، أو بعضها ..

ولما كانت الكائنات مؤلفة من المادة والطاقة ، فقد جعلوا مكونها

الخالق العظيم هو الطاقة وجعلوا المادة تدل عليه ، طبعاً المادة التي تروق لطاقته أن تحـل فيها ...

وقل أيضاً اختلط الأمر على مؤسسي النّحل الوضعية :

بين صفات مكوّن الكائنات عز وجل وصفات الكائنات ، فـلم يميزوا بينهما حتى جعلوا صفـات الكائنات هي عـين صفات الله الخالق العظيم ، وبالعكس ...

أنظر فهذه السّنة والنوم والخطـأ والغفلة والنسيان والاساءة والجهل والحسرة والندم والضحك والبكاء والعجز والإعياء والظـلم والمحاباة والصعود والهبوط والصمم والشح ، والحلول في كائن والتحول عنه ، والموت والحياة بعد الموت والإيلاد والولادة والانكسار ، فقـد جعلوها كلها صفات لله الخالق العظيم ـ تعالى الله عن ذلك : ولله المثل الأعلى ... ولما كانت في النحل القديمـة ذوات الطاقات ألـّهت آلهة متعددة ، والذوات المادية التي اعتقدوا أنها حلت فيها متعددة أيضاً ، وكان هذا شأنهم في الصفات ، ومن جراء ذلك تعددت الآلهـة المعبودة لديهم ، وكثرت كثرة فاحشة ..

وقد قصر أرباب كل نحلة تأليههم وعبادتهم على ما اختاروا من كائن أو اثنين أو ثلاثة أو أكثر .. وعلى ذلك قصروا تقاليدهم ، ورفضوا آلهـة الآخرين وتقاليدهم .. والآخرون بدورهم قابلوهم بالمثل ..

وهؤلاء وأولئك هم المشركون لأن حق الألوهية اختلط عليهم بـين الأكوان ومكونها ، خالقها العظيم عز وجل .

والذين لم يختلط عليهم الأمر .. فإن كانوا مؤمنـين بالله الخالق العظيم الأزلي الواحد الذي « ليس كمثله شيء » ، والمهيمن على كل شيء ، والفعال لكل شيء ، والمخطط خطط كل شيء . فهم أهل الأديان السماوية ، وإن لم يكونوا مؤمنين به عز وجل فهم الملاحدة ..

ومهما يكن فالمشركون يعبدون الله ، ويصلون له ، ويقدسونه في الذوات ، التي يعتقدون أنه يحلّ فيها : من أصنام وأوثان وأبقار وفيلة ، وبعض أعضاء النساء وفي بعض جوانب السماء ، وفي بعض السحب ، والنـار والنور والشمس والقمر والنجوم ، وفي الملائكة والجن والشياطين وسوى ذلك . وبالاجمـال عبدوه في كل شيء ، ما عدا الاشياء التي لم يكتشفها العـلم ، ولم يعلموا بها ، وإن كانت أعظم وأكبر وأدق وأروع مما علموا وألهوا وعبدوا آلاف المرات : – مثل الجاذبية والأثير والكهرباء والذرة والاوكسجين والهودرجين ، وبمجموع عوالم المجرة ، وكثـير من الاقـمار والكواكب المكتشفـة والعناصر المكتشفـة ، وعالم الالكترون ، ولو علموا بهـا ما تراجعوا عن تأليهها وعبادتها والضراعة لها ، والعكوف حولهـا أو حول شخوصها وانصابها .. وانك تجد السدنة القدامى يذكرون من مدهشات العجائب الأسطورية لمـا عبدوا من الكائنات أضعاف ما يذكره العلماء المحدثون من مدهشات عجائبهـا العلمية ، التي يكتشفونها فيها ، وهل من سبب ينتظر أن يعرف لتعدد الآلهـة أصدق من هذا السبب .

٦ – الاندهاش المحـير من دقائق تكوين الكائن المعبود ، ومن عجائب ما يصدر عنه ..

ومنشأ الاندهاش المحير المؤدي إلى التأليه والتقديس والعبادة أمران أساسيان :

الأول :

الجهل التام بأن بين ذوات الكائنات المؤلهة من مادية وطاقية : ما هو أعظم وأكبر وأقدر وأدهش منها : في دقائق تكوينه وعجائب ما يصـدر عنه ، من أعمال هائلة محيرة رائعة .

الثاني :

الجهل التام بدلائـــل العلوم اليقينية الكاشفة حقائق وجود الخالق العظيم مخطط خطط الكائنات ، وموجدها ، وموجد أعمالها والمهيمن عليها ، والذي بيده بقاؤها وزوالها .. نعم جهل منشئوا النِّحل القدامى أن الكائنات لا يصح أن تكون مماثلة لمكونها عز وجل ، في التأليه والأزلية والقدرة والسلطان والعلم الشامل الجامع – وهي مجتمعة – ، فكيف يصح أن تكون المماثلة محققـــة في بعض أفرادها .. ولو كانت الجاذبية التي تمسك الاجرام السماوية في أبعاد الفضاء بنظام محكم دقيق جداً .

أو ما هو أعظم من الجاذبية مما خفي من الكائنات هي وطاقاتهـا في أنأى أبعاد الفضاء !!

والواقع أن الإندهاش التكويني المحـير الماثل في الكائن ، كان بالأمس في عصر وهن العلم باعثاً إلى ألوهيته وعبادته ..

ونجده اليوم في عصر قوة العــلم باعثاً إلى اكتشاف معارف تكوينه ، ودلائل سلطان خالقه،وابطال التعلل بالصدف التي هي سند الملحدين الواهي..

وهكذا نجد كشف الحُجُب عن مخططات تكوين الكائنات ، وعن أسرار معارفها وعجائبها أزال الاندهاش المحير الذي أدى إلى تأليهها ، كما اقتلـــع تأليهها من جذوره ، وحوله إلى روايات أسطورية تُذكر خوارقها لتنمية ملكة التخيل في نفوس الأطفـــال ، وتشويقهم إلى القراءة الصحيحة ، وتركيزها في ألسنتهم . أشبه شيء بروايات الجن والمردة .

لذلك نجد تتابع اكتشاف مخططات الكائنات يوماً فيوماً في المراصـــد الفلكية الحديثة ، وفي المحطات العلمية الفضائية ، وفي مختبرات العلمـاء : هي دلائل العلم اليقيني المشاهد على حقائق وجود الخالق الأزلي العظيم جـــل جلاله

لا على أوهام الصدف التي ينسب اليها ، اشطار المثقفين العنزيين المقلدين تلك المخططات التكوينية التي تم ويتمّ بمقتضاها تكوين كل عالم من العوالم الحية وغير الحية من أصغرها إلى أكبرها ما أبصرنا منها وما علمنا ، وما لم نبصر ، وما لم نعلم ..

وانك تلمس العنزية والسخرية والتقليد الأعمى وطفولة الفكر العابث والقاء القول الجزاف على عواهنه في نسبة كل ذلك إلى أوهام الصدف وفاعليتها ، وبالحري بعد اكتشاف هذا الجانب الكبير من معارف المخططات التكوينية التي يعلنها العلماء يوماً فيوماً .. وفق التقدم العلمي المطرد ..

٧ – جهل مصدر الخوارق والعجائب التي تشاهَد في عوالم الوجود على اختلافها هو الذي سبب تأليهها وعبادتها ..

ولو علم المؤلهون العابدون أن كل عوالم الكائنات – ما ألـّهوا منها وما لم يؤلـّهوا – هي من صنع الله الخالق الأزلي المقتدر به الذي أتقن كل شيء صنعا .. والذي أعطى خلقه كل شيء ثم هدى .. لوَقفوا منها موقف العالِم الباحث المحقق لا موقف الجاهل العابد المستسلم .

إذن فالتأليه لأيّ كائن من الكائنات المادية أو الطاقية وعبادته والضراعة له ، منشأه الجهل ..

والجهل لا يُرفع إلا بعلم يقيني ، وإيمان به صادق ، وإيثار له ، وتربية فكرية ، وخلقية عالية : لأن انطباعات جهلهم لما ألهوا وعبدوا تظل مركزة في أعماق مجموعاتهم النفسية ، ومهيمنة عليها ، ومتحكمة في مسيرة سلائلهم ، على تداول الحقب ، وتظل صورها وبواعث انفعالاتها شاعلة في أعصابهم ، تساندها تقاليد آبائهم المتوارثة في منطق الفكر ، ويحسون توجيهاتها صارمة في أعمالهم واضحة . ومهما ينسب سدنة آلهتهم اليها من الخوارق والعجائب فهي

من المسلمات التلقائية لديهم ، ويرفضون كل معارضة لها ، ولو كان باسم واقع العلمي اليقيني رفضاً باتاً .

٨ – التربية على الإيمان بالآلهة المتخذة – ولو من الأحجار – وتلقينه وتهويله في أنفس الاطفال بكل اجلال ، ونقش ألوانه في الحواس ، وزخرفته بمفاتن الرؤى الراقصة الشادية ، والسحر الأخاذ ، والإيحاء المهيمن على الارادة الذي يشعل حماسها إشعالاً ، ويجعلها مأمونة الانحراف .

٩ – التقديس التعبدي المنبثق عن الاجلال والاعظام ، المحاط بسياج من الصلوات والضراعات والشفاعات والقربات ، لمختلف آلهتهم ، وجعلها محراباً لنيل المطالب وغفران المآثم ، ودفع الآلام كل ذلك قد جرّ إلى اختلاف الآلهة وتنوّعها وتعددها . .

١٠ – توسعة مجالي الأحلام والأماني المفرحة والمحزنة . المتصلة بالاقبال على عبادة الآلهة أو بالاعراض عنها ، وتضخيم تقاليدها المتوارثة في أخيلتهم بجملة من الأقاصيص : فلدى الإقبال على العبادة والتبتل تزهو أطيافها ضاحكة فتانة . وتنضر حولها حدائق الأماني ، وتغرد أطيارها ويتدفق سلسلها بمختلف المشتهيات الحِسان ، ولدى الإعراض عن عبادتها ، والضراعة لها ، تهجم الاشباح المخيفة ، وتزمجر ، وتعصف عواصفها وتدمّر ويترادف الظلام ويتراكم ، ويتعالى كلجج من المداد الأسود الفاحم . ومأتى كل ذلك ما ذكرنا من انطباع المجموعة النفسية بتقاليد الآلهة وتحكمها في منطق الفكر والعاطفة . لأن ما يحرزه المقبل من المكاسب باسمها من السيادة والشدة والجاه لدى الجماعات المؤمنة بها يحرمه المعرض الكافر بها كل الحرمان ، بل محاربته وحجزه من كل تلكم المكاسب .

ومن هنا تدرك أن توسعة مجالي الأحلام والأماني المتصلة بتأليه بعض

الكائنات وعبادتها ، بصدق أو بكذب مخفي ، هو من أسباب تعدد الآلهة .

١١ – الإعراض عن الأخذ بالأحسن والأصلح ، ولو جاءت به حقائق واقع العلم اليقيني .

وهذا الاعراض بلا ريب من بواعث تعدد الآلهة ، لأنه يجعل قصص أساطيرها وترهاتها مساغة مرضية ، بل يجعلها في عين معتنقيها عين يقين العلم .

ولولا إعراض أكثرية البشر الساحقة عن الأخذ بالأحسن والأصلح ، لما هجر أرباب العمل حقائق العلم اليقينية ، وتعلقوا بسواها ولما ظلت أساطير تعدد الآلهة . تقدم ، على عقيدة الإيمان بالله الخالق العظيم الواحد الحق المهيمن على كل شيء : –

العقيدة التي هي حقيقة علمية يقينية ماثلة : في كل ذرة ، فما دونها ، وفي كل مجموعة شمسية فما فوقها ، في هذا الوجود .

ومهما يكن فالابقاء على نحل تعدد الآلهة مرتبطة بالإعراض عن الأخذ بالأحسن والأصلح ، وبالاعراض من التعرف إلى حقائق العلم اليقيني ..

١٤ – المبالغة الفاحشة في التعظيم والاجلال ، والخروج به عن نطاق الواقع اليقيني . ومأتى المبالغة الفاحشة في كل ذلك ، من وَقْد الحب الأعمى أو من قلة العلم ، أو من وهن العقل ، أو من دس الملحدين المفسدين ، قصد الاضلال والافساد ، أو السيادة والاستغلال ..

وقد تأتي المبالغة ، من عدوى الاختلاط بجماعات لهم آلهة متعددة من كائنات متعددة ..

١٥ – ومن أسباب تعدد الآلهة المتخذة من الكائنات التي ترى ، هو اعتقادهم أن الإله الذي لا يرى هو إله خيالي أسطوري ، لا وجود له ..

ولم يكن العلم يومذاك ، قد اكتشف كائنات الطاقة التي يستحيل أن ترى كالجاذبية والأثير ونحوها ..

ومن أجل ذلك تجـــد معظم آلهتهم التي يعبدونها ، قلما تتجاوز الكائنات المادية التي شاهدوها حية أو غير حية ..

ولما تقدم العلم قليلاً ، وأدرك قدامى العلماء أن وراء المادة طاقة ، جعـــل أرباب النِّحل أن الإله الذي يعبدونه هو الطاقة التي تحـل في الكائن المادي الذي يختارونه ، ومن هنا انبثقت فكرة حلول الآلهة في الكائنات .

ولما كانت كائنات الطاقة المعنوية متعددة مثل كائنات المادة تعدَّدت الآلهة بهذه الصورة الواسعة المدونة في مؤلفات الملل والنحل ..

أجل ، كان موقف قدامى البشر من رسل الله ـ صلوات الله وسلامه عليهم ـ موقف النقض الصريح ، والمشاكسة الشرسة فالرسل يبسطون للبشر خصائص الكمالات الواجبة للخالق العظيم ذاتاً وصفات ، وأفعالاً ، وينزهونه في كل ذلك عن المشابهة والمماثلة لذوات خلقه وصفاتهم المحدودة من البداية إلى النهايـة . والبشر يأبون ذلـك ، ويريدونه ـ عز وجل ـ مثل مخلوقاته ذاتاً وصفات وأفعـــالاً ..

١٦ – وتعددت الآلهـــة بسبب تحريف نصوص وحي الله اليقيني .. وتحريفها يحصل بخمسة أسباب :

١ بالزيادة والنقصان في صميمها .

٢ – وباختلاطها بالنصوص الظنيَّة والموضوعة ..

٣ – وبعدم التميز بين كلام الله ، وكلام رسله وكلام أتباعهم ..

٤ – وبعدم التميز بـــين النصوص المتشابهة المشتملة على خصائص صفات المخلوقات في عالمي الأرواح والمادة ، والنصوص المحكمة المشتملة على خصائص صفات الله الأزلية الأبدية ذات الكمال المطلق التي هي « مُثُلٌ عليا » .

٥ ـ وباختلاط الأمر بين التأويلات المدسوسة على وحي الله اليقيني المشتملة

على الشطحات الغيبية ، والمبالغات المعطلة ، وأساطير الإشراك والوثنية الواغلة في تأويل وحي الله اليقيني الثابت بالتواتر .

١٧ – اعتبار قدسية الاحلام والرؤى ، والاعتماد عليها ، فيما يدين به الرائي وأتباعه ، وما ينجم عنها من عقائد ذات تأثير كثير في التأليه .

وبالحري إذا كان الرائي ، وأتباعه يجهلون مصادر الرؤى والأحلام في عالم النفس وتفاقمها من المخيلة حتى تستحوذ على معالم اليقظة أحياناً ، وبالحري في الخلوات ، ولدى الاستغراق الكلي . ويجهلون بواعث الأمراض العقلية في المجموعة النفسية ، وتأثيرها على مراكز القوى الفكرية ، وبالحري على الدماغ .

١٨ – التهويل في تخفي المعتقدات والكتمان المتطاول ، وتصريد اعلانها بعد جهد الانتظار بالتشويق والاغراء والوعود الجذابة المصورة والرؤى الهاتفة باليقظة والمنام مبشرة ومنذرة وفق تقلب أحوال النفس ، وتأثرها بدفقات التقاليد .

١٩ – كتمان الالحاد من الدهاة الماكرين الذين يتظاهرون بعبادة بعض الكائنات والعكوف حولها والتولع بها والخشوع – من باب ذر الرماد على أعين الأتباع العمشى للتسلط عليهم باسمها وكسب المكاسب ، ونيل المآرب والرئاسة عليهم .

وهم لا يكشفون أستار الحقيقة إلا لأخص تلامذتهم الذين يتدرجون بهم في السلوك ، ويدركون أنهم قادرون على وراثة الحادهم وكتمانه كتمانهم عن جماهير الاتباع ، واشطار المثقفين .

خاتمة

هذه هي ينابيع تعدد الآلهة التي يدين بها أكثر البشر المتخلف .

وهذه هي مصادرها وبواعثها وأسبابها ..

ومن أجل ذلك : —

كانت الدعوة إلى الإيمان الصحيح بالله الخالق الأزلي العظيم الحق المتصف بكل كمال ، والمنزه عن كل نقص ، مبنية على الأدلة العلمية اليقينية ، والبراهين القطعية الثابتة .

وكذلك الدعوة إلى الإيمان بكل وحي سماوي منزل على رسول من رسل الله الكرام — عليهم الصلاة والسلام — صافياً صافياً ، وخالياً من الزيادة والنقصان ...

ومعانيه واضحة كل الوضوح ، ومكشوفة للناس جميعاً دون اغراب أو ابهام أو جلبة أو اضطراب .

أما نحل تعدد الآلهة المتخذة من افراد الكائنات فإنها مبنية على عقد الأحجية ومغشاة بحالك الظلمات ، والفلسفات اللاهوتية الملتوية المركزة على الرؤى والأحلام والأساطير ، والنصوص الظنية ، والخوارق المتفجرة من ينابيع الخلوات والرياضيات ، والانعزال التنسكي والتنائي عن مصادر التجدد العلمي الصاعد ..

ومن أراد التعرف إلى نحل الآلهة المتعددة وظنونها وأساطيرها ووثنياتها واشراكها فليعمد اليها في مؤلفات الملل والنحل ..

ومن أراد التعرف إلى عين الوحي اليقيني فليصعد اليه وهو في سمائه صافياً مشرقاً لم يختلط بشائبة من شوائب التأويلات وتباين نزعاتها ، ولم

تتسرب اليه النصوص الظنية والموضوعة ذات المدلولات المتضاربة والتوجيهات السحيقة المنحطة ..

أجل فليصعد اليه على سلم العلم اليقيني ، وهو يحمل البصيرة الواعية الناقدة وصدق العزيمة لكشف الحقائق العلمية الحقيقة بالتضحية حتى الموت ، وصدق الإيمان بالله الأزلي الحق جل جلاله .

(... وَمَا يَتَّبِعُ الَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللهِ شُرَكَاءَ ، إِنْ يَتَّبِعُونَ إِلاَّ الظَّنَّ ، وَإِنْ هُمْ إِلَّا يَخْرُصُونَ) يونس ١٠ - ٦٧ .

(قُلْ هَـٰذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي وَسُبْحَانَ اللهِ ، وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ) ١٢ ــ ١٠٨ .

• • •

هـــذه خيـانة[1]

... جلست أمس على شـاطيء البحر ، في مكان منعزل عن الناس ، وفي زعمي أنه مكان لا يرتاده إلا من كان مثلي لا يريد أن يرى أحداً أو يراه أحد .

وكنت بسطت أوراقي ، وأمسكت قلمي ، واستغرقت متغلغلاً في أعمـاق موضوع كنت أعددته في نفسي . ولعلي لو لم أسمع حسيس حركـة أمامي على بعض المقاعد المتوارية بمظلة .

وحديثاً تساقط على أذني متقطعاً غامضاً في أول الأمر ، ظللت مستغرقاً في موضوعي ..

نظرت من خصاص المظلة ، فإذا شابان من مواطني ابنـــا الجزيرة الذين يرتادون هذه البلاد للبحث والاطلاع والاستمتاع ببهجة مزاياهـا يتحاوران في اتزان وعمق وهدوء ، ولم أفكر في التعرف اليهما ، وإن كان هذا يشوقني جداً ، لأن موضوعي كان ملتهماً كل مشاعري ،وحاولت أن أكتب شيئاً ، فلم أستطع ، لأن الحوار بين الشابين كان قد احتدم أواره ، واستغراقهما فيه جعلها لا يحسان بمجيء إلى هذا المكان ، ليعطياني حقي من الهدوء .

اعتزمت أن أتحول إلى مكـان آخر ، وجمعت طروسي ، ولكن ألفيتني في مكاني متهالكاً .. والعجب ان احتدام الحوار الذي أثارني للتحول ، هو نفسه الذي سحرني في مكاني .

---

(١) بمناسبة تهريب الأموال والثروات من البلاد . من طرف البعض الذين في قلوبهم مرض .

حوار يتصل بموطني ، وأي شيء أعلق بقلب الغريب النازح من الحديث عن الديار والأهل ؟

نشرت صحائفي نزلة أخرى ، وطفقت أتلهى بالنظر اليها ، وكلي أذن ظامئة تعبّ الحديث عبّا .

فهمت أن الحوار يدور حول تاجر من كبار تجارنا المواطنين ، وانه مجرح في أمانته الإسلامية ، وانه يخون بلاده ، لأنه لا يأتمنها على حفظ الثروة الطائلة التي يكتسبها منها ، بل يهربها تباعاً الأول فالأول ، وفهمت أنه داهية قادر على ابتكار الفخاخ اللاتي يتصيد بهن قلوب الحكام والموظفين الكبار ، بكثرة التردد اليهم ، وإظهار المودة لهم ، ونقل الدس والمفتريات اليهم ، واشعال الأحقاد بينهم ، ليضلهم عن استغلاله لثورة بلاده ، وتهريبها منها ، وأحسب مراقبي الدولة الأمناء المكلفين بحفظ ثروة المملكة وسلطانها وسياستها في الداخل والخارج ، يعرفونه هو وأمثاله جيداً .

أجل سمعت أحدهما يقول لصاحبه : اعتقادك فيه الأمانة ضرب من الخيانة ، وإذا لم يكن خائناً مَنْ كلما توفرت لديه كمية ذات شأن من الثروة ، احتال على الفرار بها من بلاده ، فمن هو الخائن ؟.. ثق يا صديقي أن من يبخل على بلاده ببقاء ثروته فيها فلن يجود لها بحياته ساعة العسرة ، هيهات هيهات .

تالله إن الأميّ المغمور الذي يفتدي دولته بحياته متحمساً مخلصاً إذا جد الجد هو لدى الدولة أحق بالاكبار من صاحبك ألف مرة ، لأنه في بلادة زاوية بناء ، وصاحبك الفرّار معول هدم .

- ويحك أتجهل ؟.. - وأنت ابن الجزيرة الصميم الوفي - أن لصاحبنا الفرار أيادي محتفية بنهضة بلادنا العلمية والأدبية والصناعية ..

- صدقت ، ولكن كأيادي ثعلبة في نهضة دولة الخلفاء الراشدين .

– أف ... انك جحود للغاية .

– وأنت سطحي للغاية. كم تمنيت أن يكون لك فهم ابن عباس ودهاء زياد ، وبعد نظر المغيرة ، حتى تدرك أن الرجل ليس على شيء من الاهتمام بنهضة بلاده – إن صح أنه مسلم غيور – يشهد الله أنك مخدوع ، فما مبراته إلا رواية تمثيلية يخدع بها أمثالك ، لو أنها عين واقعه النفسي لأبقى ثروته الطائلـة في بلاده ، وجعلها وسائل نفضات تقدمية مجيدة في الاجتماع والاقتصاد والمعارف والآداب ، ووسائل كفاية من العيش لأسر كثيرة من أبناء شعبه ، كما فعل سواه ، ولأفاد من الأرباح أوفر مما يفيده منها خارج بلاده ، وحينئذ يحمد من رجـال السيف والقلم في الدولة ، قبل أن يحمد من جماهير الشعب . وأي رجاء يصر على تهريب الثروة التي جعلها الله قياماً للدولة والوطن ، هذا هو الكفر بمصالحهما .

– المهربون لا يصرون ، ولا يتعمدون ، وإنما جهلهم جعلهم يعتقدون أن نقل أموالهم خارج المملكة أحفظ لها وأبقى .

– لا جهل ولا غباء اليوم ، كلّ الناس ، أصبحوا في منتهى الوعي ، يفهمون موارد الأمور ومصادرها بل قُلْ بصراحة هو الكفر بحق البلاد على أبنائهـا ، وعدم الاكتراث بأداء الواجبات الملقاة على عواتقهم تجاهها ، كما يفعـل البشر الأحياء الذين يعدون أنفسهم للتضحية بها ساعة العسرة .

ها نحن أولاء ليس لنـــا في لبنان ، سوى أسبوع واحد ، فكم شاهدت من آثار أبنائه المغتربين العامة والخاصة ، وهل تذكر أنك دخلت مدينة أو قرية ، ووجدتها خالية من مدرسة أو معبد أو مستشفى أو مكتبة ، أو رياض أيتام أو سارية ذكرى أو مسلة ، وناهيك بالبدر التي ترســل للجمعيات الخيرية والدعايات الدينية ، ومساعدة الاقارب والاصدقاء. وشتان بين هؤلاء اللبنانيين المغتربين المفكرين الذي لم تنسهم مفاتن أميركا ، وثراؤها الضخم حقوق بلادهم

وموالاتها في العسر واليسر وبين صاحبك وأمثاله الذين لو استطاعوا أن يسلبوا أمتهم ودولتهم كل امكانياتها ويفروا بها إلى الخارج لما أحجموا (١) .

فهؤلاء إذا لم يقوموا بالسيف لا يستقيمون ، أما يحزنك أن ترى الإيجاب في جانبهم .

تراه فهماً عميقاً لمعنى الحياة الاجتماعية العزيزة القادرة ، ووعياً لما يكسبه الصدق في حب النفع العام من المجد العام . وفي جانبنا ترى السلب المحض تراه ..

– اعترفت انهم يفقدون الفهم والوعي الاجتماعيين ، وفقد هذين هو الجهل ، والجاهل غير مسؤول عما تنتجه يداه من تأخر وسوء حال وخراب وشتات ، وبالتالي لا يعاقب .

ولو كان الجاهل يسأل ويعاقب لما اكتفى الشرع الحكيم ، بالحجر على السفهاء .

وهل السفاهة لدى انعام النظر سوى لون من ألوان الجهل .

– ويحك استدلالك بالحجر على السفهاء في غير محله من ناحيتين :

الاولى : الحجر عقوبة شرعية معروفة لدى الفقهاء ، وكيف لا يكون عقوبة ، وهو ينزل السفيه منزلة المجنون والقاصر ، في نزع ملكية التصرف منه .

الثانيـــة : اتفقنا أن السفيه المبذر لا يبالي بالنتائج السيئة التي تكون منه على نفسه وأسرته وشعبه وعدم المبالاة أسوأ أمراض الجهل ، والحكم بالحجر عليه ، دليل أن الجاهل لا يعفى من العقوبة ، واني لا أزال مصراً ان صاحبك ومن كان على شاكلته ، ما هم جاهلـــين اضرار ما يرتكبون تجاه بلادهم ، وأحسبهم لو آمنوا ببقاء بلادهم لهم ، لما خانوها بتهريب ثروتهم منها ، هـذه هي الحقيقـة .

والواقع ان الأضرار التي تصيب الدولة والشعب من جراء ذلك أبلـــغ من الأضرار التي تصيب الأسرة بسفاهة ربها .

يا صديقي تذكر أن مليكنا الراحل الكريم ، أفاض الله عليه كنوز بلاده ،

---

(١) ان وفرة أموال هؤلاء لم تكن من كسب حلال أو ذرة منه قط . ولو كان لأبقوه في أرض الحلال . وحسناً يفعلون باخراجه حتى يبقى البلد الطاهر حلالاً .

وأنه انتقل إلى جوار الله عز وجل، وما ذكر أحد أنه شيد خارج بلاده لنفسه، أو لأحد أنجاله ما يشيده لأنفسهم الأثرياء من قصور وحدائق ومنتزهات بله الملوك . ولولا الافادة من توفير النفقات في ميزانية الدولة ، لما أمر بتشييد بعض المفوضيات ، ولم يذكر أحد أنه رصد أموالاً في مصارف أمريكا وأوروبا أو سواها لنفسه أو لأنجاله وأحفاده ، لأنه يعتقد أن بلاده له ، وان ثروتها له، وأنه يعيش لأجلها ، وأنه يموت في سبيلها . وان انتزاع رؤوس من يفكرون في انتزاعها من يده أقرب إلى تصوره ، وهذه عقيدة آله وعشيرته ، بل عقيدة كل وطني حر من أبناء المملكة يؤمن بحقها في الحياة العزيزة الناهضة الراقية .

فلماذا ينفرد صاحبك بالجحود والأثرة والعبث بحقوق البلاد .

– أنت تحقد عليه كأن لك لديه وثيرة ، وإلا لماذا أغفلت ذكر فلان وفلان وفلان (١) وسواهم من الذين هربوا من الأموال أكثر مما هرب ، ولهم من العمائر الكبرى في القاهرة وبيروت والاسكندرية ودمشق وكراتشي وبومباي، ولهم من الودائع المالية في المصارف الجم الغفير .

– لي عليه وثائر ، لأن قتل المصلحة العامة هو قتل للشعب ، وقتل الشعب لا يجبر بالقود .

عفواً أنت تدافع عنه ، لأنه قريبك ، ولكن لا تنس أن مصلحة الشعب ، والمكافحة من أجل حياة الشعب هي أجدر بالدفاع .

آليت عليك برب البيت هل تعتقد أن قريبك هذا مستعد أن يقدم أنجاله

---

(١) تعمدت اغفال أسماء الذين ذكرهم الشابان ، لأن المقصود من الكلمة هو التوجيه الكريم لبلادي ، لا البذاءة والنيل من أحد ، أسوة برسول الله صلى الله عليه وسلم حين كان يوجه المنحرفين بقوله : « ما بال أقوام ... » ولم يذكر أسماءهم وهم معروفون لديه لأن المقصود الاصلاح ، على أن بعض اسماء الذين ذكروا ليسوا من ابناء المملكة ، فعذرهم أنهم اخرجوا اموالهم إلى بلاهم حباً فيها .

أو أمواله ، إذا اقتضى الابقاء على المملكة ذلك . وكل ممالك الأرض تمر عليها أيام رخاء ، وأيام شدة ، وأيام سلم ، وأيام حرب .

قل قل

صمت رهيب طويل ...

كدت أصعق من هول ما سمعت ، وأحسست كأن حاجب الأفق غشيني أو غشيته فما عدت أرى مما حولي شيئاً ، سوى زرقة الماء والسماء . وهاجتني أفكار ثائرة ملتهبة جعلتني أتغلغل في أعصر تاريخ بلادي حتى أنستني أني في القرن الرابع عشر الهجري ، واني مطل على البحر الأبيض المتوسط من ساحل بيروت ، وهنا رأيتني في أعماق جزيرة العرب ، في فجر نهضتنا الذهبية الأولى ، في عهد رسول الله ﷺ وهو يرشد أصحابه إلى المثل الاقتصادي الأعلى الذي أوحاه الله ليعلموا أن الأموال قيام لهم ، أي قيام أمجاد وشوكة وسلطان ومعارف وان حق التصرف المطلق فيها لا يعطى إلا لذوي الرشد أي أرباب العقول النيرة والقدرة على حفظها ، والافادة منها في أوجه إصلاح الحال كما قال ابن عباس رضي الله عنهما ..

وان السفهاء الذين يفقدون الرشد تنزع منهم ملكية التصرف المطلق في أموالهم ، لأن مقصود الشارع ربط حق التصرف المطلق في الأموال بالتعقل الاقتصادي المبني على قيام إصلاح حال الفرد والجماعة ، واستمداده من الوحي مبين في قوله عز وجل :

(وَلَا تُؤْتُوا السُّفَهَاءَ أَمْوَالَكُمُ الَّتِي جَعَلَ اللَّهُ لَكُمْ قِيَاماً وَارْزُقُوهُمْ فِيهَا وَاكْسُوهُمْ وَقُولُوا لَهُمْ قَوْلاً مَعْرُوفاً) .

وكم من معان عميقة معجزة نجدها في هذه الآية حيث لم تصنف الأموال فيها

إلى السفهاء الذين فقدوا الرشد ، كما نجد مثل هاتيك المعاني المعجزة العميقة في إضافة الأموال إلى الأيتام في الآية الآتية ، متى شبوا وامتحنوا وظهر رشدهم .

(وَٱبْتَلُوا ٱلْيَتَامَى، حَتَّى إِذَا بَلَغُوا النِّكَاحَ فَإِنْ آنَسْتُمْ مِنْهُمْ رُشْداً ، فَادْفَعُوا إِلَيْهِمْ أَمْوَالَهُمْ) ٤ ـ ٥ ـ ٦ .

وهكذا نجد الفريقين نزعت من أيديهم ملكية التصرف ، في أموالهم ، وسلمت لأيد أمينة قادرة على حفظها وتنميتها ، لعلة واحدة ، لتظل الأموال في الأمة وسائل تقدم بناء ، لا وسائل تأخر هدام وكأني في المدينة المنورة أشاهد وقد تجيب وهم يسوقون معهم زكاة أموالهم ويقدمونها إلى رسول الله ، ليرفه بها عيش الطبقة الفقيرة ، فيأمرهم أن يعيدوها إلى قومهم ويغنون بها فقراءهم ، فيعتذرون أنهم ما أتوا إلا بما فضل عن حاجة فقرائهم .

ورأيت أبا موسى الأشعري يفطن إلى مسألة اقتصادية ، لها أثرها الكبير في حفظ ثروة الدولة الإسلامية ، إذ لاحظ أن التجار الحربيين الذين يجلبون سلعهم ، لا يعشرها الدولة بيد أن التجار المسلمين الذين ينطلقون منها إلى بلادهم يعشرونها هناك . فكتب إلى رئيس الدولة الأعلى سيدنا عمر « ان تجاراً من قبلنا من المسلمين ، يأتون أرض الحرب ، فيأخذون منهم العشر » ، فكتب اليه سيدنا عمر : « خذ أنت منهم كما يأخذون من تجارنا » حفظاً على ثروة البلاد الإسلامية من الضعف ، فتضعف بالتالي الدولة .

ويا ليت أولئك المواطنين من أقربائنا الذين يضنون على بلادهم بإبقاء أموالهم فيها ، يذكرون ان سيدنا عمر ضن على نفسه ، ان يذهب إلى رمسه بثوب جديد كانت قد ادخرته له ابنته السيدة حفصة قائلاً لها : « دعيه ينتفع به الاحياء » وشتان بين من يعمل على اسعاد الأحياء من قومه ، ومن يعمل على اشقائهم .

فهذه ساعة فكر خاطفة قضيتها في حقبة ذهبية ممتعة بأمجد أعمال أبناء الجزيرة ، وأخلد آثارهم ، وأبعد غاياتهم وكم أدهشني وعيهم في حب النفع العام، وتهافتهم عليه ، وتحويل أموالهم التي بأيديهم إلى معاقل أمجاد ، وصروح معارف ، ومعامل صناعة ، ومشاعر قدس وخير وهدى .

وما أرجعني إلى ما بين يدي إلا لجب بحارة ألقوا مراسي سفينتهم الشراعية على الشاطيء .

رجعت وأنا أقول: « ان دولتنا لا يتأتى لها أن تستعيد أمجاد نهضة الجزيرة الأولى وسامي وحدتها وكبير عزها وغزير ثقافتها إلا إذا قطعت دابر هؤلاء الذين يعملون بوحي الأبالسة في إخراج الثروة منها، هؤلاء الذين لا يلذ لهم منظر العمارة وبهجة الحضارة وزينة الثراء إلا خارج بلادهم .

وبلادهم في نظركم حقوق استغلال وأهلها مواشي تسخير ، لا مواطنين يشاركونهم سعادة الحياة وشقائها ومسؤولية الذود عنها .

ذلك لأنهم لا يكترثون لبلادهم أتقدمت أم تأخرت ، أقويت أم ضعفت ، أبقيت في أيدي أهلها أم ذهبت من أيديهم .

ولم يخجلوا من أنفسهم أنهم ينتمون إلى أعظم دين اجتماعي سياسي اقتصادي خالد في العالم ، وانهم أبناء الجزيرة العربية التي أشعت القارات الخمس بهواها وإنسانيتها . الجزيرة التي ولد فيها خاتم رسل الله سيدنا محمد ﷺ ، ونزل في ربوعها نور القرآن ، ومنها انطلق أبطالها المفكرون قادة الإسلام وهواته إلى العالم ، يرفعون علم « لا إله إلا الله محمد رسول الله » : العلم الذي طهروا به ظلمات الوثنية والاشراك والاثرة والاستبداد واضاءوه بنور التوحيد والرحمة والهدى والإيثار والوفاء والفضيلة .

ويعلم الله كم لاقوا من أهوال وشدائد ، وكم كافحوا من مكائد أعدائهم وتألبهم عليهم . وكم صبروا على أذاهم واستطالتهم عليهم .. وكم بذلوا في سبيل

الله من أرواح وأموال .. وكم سهروا وجهدوا حتى تمكنوا من تهذيب قومهم « أبناء الجزيرة » وجعلهم قادرين على تبليغ دعوة الإسلام إلى النـاس بأعمالهم السامية ، وأخلاقهم الكريمة ، وطيب نفوسهم ، وصفاء سرائرهم ، وعفافهم ودواءهم وإيثارهم ، قبل تبليغها بأقوالهم .

وما انحط أبنـاء الجزيرة العربيـة وأصبحوا في مـيزان السياسية الدوليـة العالمية هملا ، كزنوج افريقيا لا يعبأ بهم ، الا يوم انحرفوا عن هدى سلفهم الصالح ..

ويشهد الله ما قرأت قول القائل فيهم إلا اعترتني رجفـة شديدة ودوار عنيف ، وآثرت الحمام على العي والحصر ، وان نكون في وضع تحمد في السلامة منه الاباعر ، وسترى الديار من اختلاف أمورها نطق البعير بها وعي الحادي .

يا قوم هذه حال بلادنا في نظر المفكرين قبل أن ترفع أعلام نهضتها الحديثة التي تستمتع اليوم بأمجادها وبركاتها . فحرام علينا على أن لا نتعاف في سبيلها بكل ما لدينا من إمكانيات وذكاء وعلم وثروة وجاه .

وكم من آثام يرتكبها الذين يعملون على تهريب الثروة من ربوعها رجـاء افقارها وضعف أهلها .

يا قومي احفظوا أموالكم في بلادكم ، واجعلوها لأنفسكم عدة تتنازلون بهـا فجاءات السياسية ودواهي المؤامرات ، ومكائد الأيام .

وأخيراً يجب أن يذكر شعبنا أن المجد والمال صنوان متكافئان قوة وضعفاً فالمجد الكبير حيث المال الوفير .

فلا مجد في الدنيا لمن قل ماله .

ولا مال في الدنيا لمن قل مجده .

حياد الحكومات العربية وحلف بغداد (١)

قال وزير خارجية الولايات المتحدة الأميركية مستر دالس في حينه :

« ان الذي جعل حكومته تمتنع عن الدخول في حلف بغداد هو وقوف الحكومات العربية على الحياد منه ، وعدم اجماعهم عليه ... »

وسأجمل في هذه الكلمة أهم الأسباب التي جعلت الحكومات العربية تقف على الحياد المطلق منه ومن سواه .

السبب الاول :

ان من أخطر الأحداث السياسية هذا الحلف الذي قصد بنسبته إلى بغداد – العاصمة التي تخفق بحبها قلوب العرب – الخداع والتمويه والعبث بعقولهم ، لإيقاعهم في حبائله المنصوبة . ولكن العرب فطنوا إلى المكيدة فقاوموه أشد المقاومة .

واقدام حكومة واحدة من حكوماتهم على إبرامه وارتباطها به لا يجعله شرعياً أبداً ولا يكون شرعياً إلا إذا عقد باسم أكثرية الحكومات العربية .

على أن عقده من قبل حكومة واحدة فقط يحمل العاقدين المصرين أفدح التبعات القانونية ، وأسوأ نتائجها من شعبهم والشعوب العربية الأخرى لأن الجميع أم واحدة ، ان في ناحية تداعت في شتى نواحيها ... ولا يرتاب المشرعون في العالم ان عقد الاحلاف التي تتصل بحياة أمة كبيرة ، لها حكومات

---

(١) لقد آثرنا اثبات هذا البحث رغم ابادة « حلف بغداد » لاهميته ولئن مات « حلف بغداد » بالاسم فانه يحيى في عقول الغرب كل يوم باسم جديد كيداً للعرب والمسلمين . وحلف « كمب دايفد » أسوأ حلف وأحكم فخ في القرن العشرين ولكن الذي أسقط « حلف بغداد » لقادر على اسقاط « كمب دايفد » وما ذلك على الله بعزيز .

عديدة كأمتنا العربية أو كأمة الولايات المتحدة هو من حق حكوماتها مجتمعة لأنه يتصل بحياتها مجتمعة ، وليس من حق بعضها دون بعض .

هب ان حكومة « كاليفونيا » أو سواها من حكومات الولايات المتحدة الأميركية ، ركبت رأسها ، وعقدت حلفاً ، مع دولة أجنبية ، أو دول بحجة أن مصلحتها الخارجية الخاصة اقتضت ذلك - ان صح ان لاهل اقليم من أمة واحدة ، مصلحة خاصة بهم دون اخوتهم أهالي الأقاليم الأخرى ..

بل هب اننا فرضنا المحال وزعمنا ان هناك مصلحة خاصة ، اضطرت قادة حكومة « كاليفورنيا » أن يعقدوا الحلف وحدهم ، فهل ينهض ذلك مبرراً دستورياً ، يجعلهم يفلتون من المحاكمة أمام الهيئات الجماعية الرسمية التي تتمثل فيها إرادة كل شعب من شعوب الولايات المتحدة الأميركية بالذات .

الجواب واضح جداً ، واشهد اني ذكرت هذا ، وأنا أعلم أن الزعماء الرسميين وغير الرسميين في أي شعب من شعوب الولايات المتحدة الأميركية ، محال أن يصدر عنهم ذلك ، وإنما قصت التمثيل ، وتقريب وجهات النظر لقادتنا الأبطال ..

« ضاعف الله وعيهم وشوكتهم وتضحياتهم في سبيل وحدة أمتهم العربية المجيدة » .

قد يعترض دخيل دساس ممزق ، وعين متآمر مأجور ، وسحطى ببغاء قزم .... قائلا :

« ان حكومات أقاليم الأمة الأميركية تملك وحدة اجتماعية راقية مفروضة في دستورها ، وحكومات أقاليم الأمة العربية ، متخلفة عن ذلك .. »

وردنا صريح للغاية :

ان وحدة حكوماتنا السياسية متعلقة في تاريخنا وثقافتنا ومصالحنا .

ومتقدة في دمائنا ومشاعرنا وهواتف قلوبنا .
ومركزة في طبيعة كيانها الاجتماعي الموحد .
ومفروضة في صميم دستور جامعتنا العربية الذي يمثل كل ارادات شعوبها .
« وان كان لا يزال في دور الطفولة الاجتماعية »

السبب الثاني :

ان شعب العراق المغـــامر في سبيل وحدة أمته العربية لم يكن راضياً عن هذا الحلف المنسوب على الرغم منه إلى عاصمته الحبيبة : ـ بغداد ـ

ومهما يكن أمر الذين فوضوه ضـــد إرادته ، حباً بالاستبداد والارهاب وأحيـــاناً بالاحتيال والمغريات ، فإنهم لم يفيدوا شيئاً ، لأن ارادة الشعب لا تكبت بشوكة مهما تفاقمت ولا بثمن مهما غلا .

والكبت دائماً ينتهي بانفجار مخيف يطيح بالكابتين شر مطاح .

وهكذا نلمس ان هذا الحلف كما هو غير شرعي من الوجهة العربية الجماعية العامة ، فهو غير شرعي من الوجهة العراقية الخاصة .

كبير في الإثم أن نتصور أن شعبـاً عربياً باسلاً ـ كالشعب العراقي ـ الذي هو سلاح ماض في يد أمته العربية ، تذود به عن حياتها ووحدة كلمتها يرضى أن يمزق كلمتها ويعرض حياتها للأخطار من أجـــل حلف أجنبي مدخول ، وعدوها المدجج بالأسلحة الحديثة من كل لون رابطة في قلبها ينتظر الفرصـــة المواتية للانقضاض عليها وإزالتها من الوجود ليحل محلها .

وكون الشعب العراقي غير راض عن هذا الحلف الآثم الممزق مكشوف .

وآية ذلك المعارضات والثورات المتتابعة ضده ، كما يبدو من كتابة الأوساط المثقفة الواعية الناقدة العراقية : ان جل مؤيديه :

اما من المتهمين في صدق نزعاتهم الاجتماعية واما من ذوي العقول السطحية

الفارغة، ذات الأحقاد الطفلية الشخصية البالية في الوقت الذي لا يتعرف أوهن زعماء الأمم سياسة ودهاء ووعياً لمصالح أممهم إلى أمثالهذه الأحقاد الشخصية التي لا علاقة لها بسياسات حكوماتهم الاجتماعية والسمو بها إلى الكمال . ولا تحول دون الاخلاص لها بسبب من الأسباب .

السبب الثالث :

ان القرب من الأحلاف المتحاجزة المتربصة من جهة واحدة ، هو عمـــل مباشر لإشعال نار الحرب .

وان البعد عنها هو عمل مباشر لإقرار السلام .

والأمم اليوم تسالم الذين يعملون للسلام ، وتحـــارب الذين يعملون للحرب

وآية ذلك وقوف الأمم جمعاء ضد بريطانيا وفرنسا لدى اعتدائهما الحربي على مصر .

السبب الرابع :

ان هـــذا الحلف أقامته بريطانيا – الصديقة التقليدية للأمة العربية – ونكبات هذه الصديقة التقليدية ، لا تزال شواهدها قائمـــة في العراق ومصر وجزيرة العرب . وما إقامة دولة إسرائيل في بلاد الشام – درع الأمة العربية الواقية ، إلا إحدى شواهد تلك الصداقة التقليدية الكريمة !!

وهل يعقل أن يشتمل هذا الحلف على ذرة من الخير للأمة العربية ومصانع السياسية البريطانية ، هي التي حاكت لحمته وخاطت سدته .

السبب الخامس :

طالع هذا الحلف شؤم . وأي شؤم أسوأ من حلف تنزل بالاباه بأمة عريقة ذات أمجاد وحضارة واجتماع – كأمتنا العربية الكريمة – فيجعلها تختلف على نفسها متعمدة شر اختلاف شأن أمة الزنج .

ولولا حنكة ساستها ، وبعد نظرهم ، وعمق معالجتهم للأمور وطيب نفوسهم لغشيهم من جرائه ما غشيهم ..

هذا الأمر الذي جعلهم يتجنبون الانضمام اليه جهدهم وجعلهم يتوسلون إلى اخوتهم الذين خدعوا به فتورطوا في الدخول فيه ، ان يتخلصوا منه بحكمة ولباقة وجزم من قبل أن يتسع الخرق على الراقع .

السبب السادس :

ان حكومات الأمة العربية مقيدة بمبادىء حقوق الإنسان التي فرضتها الجامعة العامة على الأمم كافة .

وما دامت الجامعة العامة تعتبر الاحلاف العسكرية الانحيازية المتحفزة التي تعقد ضد مبادئها السلمية الجماعية العامة غير شرعية فإن حكومات الأمة العربية تعتبرها كذلك ، ولن تنضم اليها أبداً .

ومن المخاطرة الانضمام اليها وهي فوهة جهنم ، إذا فتحت في يوم أحرقت سلام العالم وأحالته إلى رماد .

نعم لو أن جامعة الأمم عقدت حلفاً سلمياً عاماً ضد الأحلاف الحربية الانحيازية الممزقة ، لسارعت حكوماتنا العربية إلى الانضمام اليه بكل حماسة واخلاص وفداء .

وعلى كل حال فموقف جامعة الأمم من أحلاف المعسكرين المتناكرين المتربصين — الشرقي والغربي — موقف الحيادي الكريم والوسيط الشفيق والحكم العدل ، الذي يجهد للاصلاح والصلح والخير والحق وحل المعضلات بالسلام والتفاهم الإنساني النزيه .

وحسب قادة الدول العربية ، سموا في الانسانية ، واكبار الفضيلة السلام

أن يقفوا موقف جامعة الأمم . وهو خير ألف مرة ، من موقف الانحيازي الحقود الذي ينضم إلى أحد المعسكرين ليشعل فتيلة الحرب الذرية في ساعة طائشة هوجاء بما يزيد شقة التفاهم بعدا ، ونار الاحقادا وارا .

ولن يغير موقفهم انحراف نفر من اخوتهم في أمجد أقاليمهم – العراق – لأنه سحابة صيف سرعان ما تزول بانكشاف الحقيقة ، وقد انكشفت بضرب مصر ظلماً وعدواناً ... وان حز في أنفسهم انه افسح المجال لارصاد المستعمرين المرتزقين بخيانة الوطن ، والمتاجرين بالتآمر على تمزيق وحدته ، لكي يوغلوا في الافساد ، واسعار الضغائن ، واشاعة الأراجيف والريب ، اعداداً لإبادة أمتهم .

وكم يعزينا أن تجاهل الخائنين المتآمرين على سلامة مجتمعهم وجوب اعدائهم في كل دساتير العالم لا يجعلهم يفلتون منه .

كما ان تجاهلهم لدمار مجتمعهم – الذي يتقاضون السحب الساحق – ثمناً لدماره ، لا يجعلهم في نجوة من الدمار ، لأنهم من أبنائه لو كانوا يعقلون .

السبب السابع :

ان الانضمام إلى أحد المعسكرين دون الآخر ، يجعل المنضم – إذا اشتعلت نار الحرب بينهما عدواً محارباً للمعسكر الثاني لا يفلت من ضربات الذرة والهودريجين .

وحيث الذرة والهودريجين قادمة لا محالة ، ما دامت الدول الكبرى لم تقدم للجامعة العامة القوى التنفيذية التي تجعل أحكامها محترمة نافذة منذ صدورها .

ومن اللعب بنار الذرة والهودريجين احتجاج الدول الكبرى على

ضعف الجـامعة العامة ، وتهديدها بالانفراط ، وهي تعلم يقيناً أن قوتهـا منها ، وبقاءها بيدها .

ولو أن الجامعـة العامة تملك السلطة التنفيذية المطاعة ، كما تملك السلطـة القضائية العادلة ، لمـــا استطاعت حفنة من الاسرائيليين أن يشردوا شعبـاً آمناً في وطنه فلسطين على أعين جامعة الأمم ، وهم مصممون على ابادة شعب فلسطين ومحاربة الشعوب العربية ، وعلى هدم الجامعة العامة .

يضربونه ويحاربونه المرة بعد المرة ليصلوا في النهاية إلى ابادتهم ، وفي كل مرة يضربون أحكام جامعة الأمم التي تصدرها ضدهم في وجهها ليهدموها بهدم الثقة بها شيئاً فشيئاً .

وهم يعلمون ان السلام بين الأمم يبقى ما بقيت جامعتهم العامة وجامعتهم العامة تبقى ما بقي التفاهم سائداً بينهم ، والتفاهم بينهم لا يسود إلا بالاذعان الصادق لقوانينها وأحكامها .

وهم يرفضون كل ذلك ، يرفضون أن تبقى للأمم جامعة ذات شوكـــة وسلطان تهدم الافساد والمفسدين الذين يعطلون أحكامها إيقـاداً لنار الحرب العامة لأنهم هم المفسدون ولأن أحكامها لن تكون إلا ضدهم .

هذه بعض الأسباب التي جعلت جمهرة الساسة المفكرين في أمتنا العربيـة أن يقفوا على الحياد . من هذا الحلف والاحلاف الأخرى ، التي تعقـــد هناك وهنالك بين المعسكرين الشرقي والغربي .

ولعل هذه الأسباب هي التي جعلت حكومة الولايات المتحدة الأميركية ترفض الانضمام اليه حذرة يقظة على الرغم من إلحاح بريطانيا وتركيا ، قصد ان يحملانها على ذلك .

ويطيب لي أن أختم هذه الكلمة بالرباعية التي أنشدها المستشار السعودي الشاعر اللامع خير الدين الزركلي :

العربُ بالعرب تحيا وبالتفــــرق تردى
من حمَّل النفس غِلاً فقــد تحمـــل إدًّا
قد راح يجنى ضراراً من راح يحمــل حقدا
يــدُ الجماعــة تعــلو والفرد يسقط فردا

* * *

سؤال وجواب [٩١]

كلما أنعمت نظري في رأي سديد ، يمكن أن يعيـــد فلسطين السليبة إلى أهلهـــا الذين طردوا منها بالافساد والاغراء ، وقتل الضمائر ، واشعال الفتن الدينية ، ودس الأشخـاص المشبوهين بينهم ، وبالمؤامرات الظاهرة والخفيـة ثم بالحديد والنار .

وجدت مفكري أمتنا وسواهم قـد سبقوا اليه بحماسة وإخلاص وعمق وإسهـــاب ...

* * *

وأقول : ...

« ما جدوى الآراء السديدة العميقة التي تعرض على المجتمع ويكون حظهـا الإهمال أو التأثر الفردي الطائر .

والعدو هو الذي يفيد منها الحذر والوقاية ومعرفـــة الطريق إلى احباط تسلحنا وتجمعنا وقدرتنا على دحره إذا هجم لاجتياحنا على غرة ..

وكم من آراء سديدة ناضجة دوّى ذووها في الشرق والغرب ، وبحت بهـــا المساجد والأندية ، وأجهزة الاعلام من قبـل أن تسلب فلسطين ، لو تحولت إلى اعمال بجد وصدق لما سلبت ...

... بمثل هذه الوحشية المنكرة .

... وبمثل هذه السرعة الخاطفة ..

... وبمثل هذا التحدي الصارخ المستبد ..

يا لله !!.. قد كان أدنى ما تحملته دولة عربية واحـدة من تكاليف باهظة تعدل أضعاف أضعاف أثمان أراضي فلسطين .

التي بيعت للصهاينة في أول الأمر تمهيداً لاغتصابها ..

أجـــل أبدى مفكري المجتمع العربي بشطريه الآسيوي والافريقي أنضج الآراء الواعية الواقية ، لو أنها خططت أعمالاً حية على الوجه الكامل الصحيح لأحبطت مؤامرة الاغتصاب وهي بعد خلف الستار في دور المفاجأة والتخطيط .

ولكن ..!! وكلنا ندري ما يقال بعدهـــا .. ما دامت النتيجة ان تم الاغتصاب في أعنف ألوان القسوة ، وفي أبشـع صور الوحشية ، وفي أخبث خفايا التآمر ..

ومتى ؟!! يا أخي أصمت ، ولا تقـل في عصر الصعود إلى القمر ، وفي عهد فرض حقوق الإنسان حتى لا يدرى عن مثل هذا التخلف سكان السماء ، فيعدلوا عن رجم شياطين الجن إلى رجم شياطين الانس لأن شياطين الجن لم يسمع عنهم أنهم ارتكبوا فيما بينهم مثل هذا العار الفاضح ..

ولعلك تقول ..

« أين ذهب أهلها ..؟؟!! »

يا أخي كف عن هذا التساؤل ، في مثل هذه الأيام المشرقة بأضواء العـــلم الصاعد الباهر !!؟.

صه ، ولا تهمس إلى أنهم قذفوا في مهاوي الموت الأحمر ، ولهوات الصحارى المحرقة ..!! في وضح النهار .

وقل لهيئة الأمم — الحمد لله — تم تحريرك للجماعات المستعبدة بإتمام تحرير الأفراد المستعبدين من قبل .

واحذر ان تعلنها ان الأمر انتكس في العالم على أيدي الصهاينة .. طمعنا

انه لم يكن انتكاس استعباد واغتصاب حتى يفرض عليها أن تنهض لتصعيده بكل ما تحوز من شوكة واجماع .. بل انتكاس ، سحق ومحق وتشريد .

فإن ارتابت في قولك .. فاطلب اليها أن تنظر في خرائط الشعوب لديها فهي فيها لا تزال محل الصيانة والحفظ ، وفي هذا كفاية .

في قوانين العصر القمر المنير .

وإذا تساءلت على من تقع التبعة !! فأقول على الأيدي القادرة التي تناولت الآراء الواعية المنذرة ، وألقت بها في سلة النفايات ، متصورة أن النار أشعلت بعيداً في بلد غير بلدهم ، وما يضيرهم منها ، وقولك يا صديقي ..

« ان الرأي العميق البعيد المدى يعتبر بحق من أهم عوامل الفوز على الأعداء .. »

هو حق ، ولا يتنكر له ، من له لمحة من فكر ، أو خاطرة من رأي .. ولكن قل لي بربك !؟؟

(أي تأثير لرأي .. ـ مهما يكن عميقاً وبعيداً ومنقذاً من تهلكة زاحفة ، ما دام يقابل بالاستخفاف والجهل والاعراض .

والآن بعد أن أوشك أن يقطع الليل ساريه !! جئنا نخترق أجواء المغتصبين كلاماً صاروخياً ، ونشمل أنديتنا وصحفنا واذاعاتنا سخطاً بركانياً ، يقذف بالحمم ، وسيول القطر ..

وعدنا نندب الآراء التي طرحناها تحت أقدامنا أول مرة نادمين ..

والندم حسرة وبلاء وتقاعد ..

: « والرأي ليس نافعاً ، إذا أوانه مضى » .

وقولك – يا صديقي – :

« ان الخطر الصهيوني ، لا يزال مستفحلا ولا يزال يستهدف إذلال للعرب والمسلمين » .

هو الواقـع الماثل للعيان ، واحساسك المتقـد بخطره الداهم الذي أقلق راحتيك ، وشرد عن مقلتيك النوم ، هو إحساس المسلم الصادق والعربي الأبي البصير بعواقب الأمور .

وما أخالك يا صديقي تنسى تلك العبرات اللاتي فضن من مقلتي جلالة الملك فيصل اسى مبرحاً ، وحماسة متقدة ، وفكراً واعياً . حين استعرض في خطبة مؤتمر الحج كارثة اغتصاب البلاد المقدسة ، وبترها من جسم العالمـين الإسلامي والعربي . وضراعته أن يكون شهيداً في سبيل تحريرها .

وإذا لم يجتهد أولوا البصائر من علمائنا وكتابنا المقيمين والمغتربين في نقـل أمثال هذه المشاعر الحية الراقية إلى أنفس شبابنا في كل إقليم ،وإيقاظهم من سِنَةِ الكرى حتى يتنافسوا في تحرير البلاد المقدسة من ربقة الصهاينة ، وينقذوا أطراف أقاليمهـــم المجاورة من مخالبهم ، فإنهم يظلون في نزوات ترفهم ، وشطحات أحلامهم ، وغفلات إهمالهم يغطون ويغطون متجاهلـين ما يترصدهم من خفايا المكائد المعدة المركزة حتى تفاجئهم الضواجـع بأهوالها ، وترجمهم الرجم بنيرانهـــا ..

ويا حسرتي !! أي اعداد !؟ وأي تركيز أهول وأخطر وأشر .

١ – من هذه الأخلاق المنحلة التي أفسدت بطولات شبابنا التي كانت مضرب الأمثال ، وجهلتهم يهدمون مصيرهم بأيديهم ، وفي زعمهم أنهم يبنون .

٢ – ومن هــذه الاعراض العارية المفضوحة المشاعة المخفيـة بتدبير المعسكر الخامس الصهيوني . لتخمد فيهم حماسة النخوة وشعلة التضحية ، وثورة الطموح ، ونضوج الفكر ، ومضاء الارادة ..

٣ – ومن هـــذه الاحقاد الماكرة التي صنعوها بأيديهم ، ودسوها في سواد الليل بالايحاء مرة وبالتلقين أخرى !!.

١ – بين الدول العربية والدول الإسلامية : أولاً ..

٢ – وبين الدول العربية ذاتها .. ثانياً .

٣ – وبين طوائف الدولة العربية الواحدة .. ثالثاً ..

: باسم الدين حيناً ..

: وباسم الشمال واليمين حيناً آخر ..

: وباسم الوطنية والعنصرية في يوم من الأيام .

: وباسم إبليس اللعين في أكثر الأيام .

وجماهير شبابنا في كل اقليم ، إذا لم يجمعوا عزائمهم ، ويشحذوها ويثوبوا بحرارة إلى صادق إيمانهم ووقد ذكائهم ، وكبير بطولاتهم ، وكريم إيثارهم وتفوقهم في العدد والمعارف . فإن هذه المؤامرات الوحشية التي تدبر في غفلاتهم ستحشرهم ، كقطعان – إلى حظيرة المسلخ ، وترصدهم إلى أجل – على مرأى ومسمع وعلم منهم – وتجعلهم يؤثرون أن يظلوا اوزاعاً يسرحون ويمرحون ولا يكترثون ، وفي استطاعتهم أن يكترثوا ويبتروا الأيدي الحاشرة الراصدة ، ولكنهم لا يفعلون ، وكلما أدرك قطيعاً دوره إلى المسلخ وسيق اليه هزت فرحة النجاة الباقين وواصلوا أسمارهم . حيث لم يكونوا هم المساقين .

ولو أنهم أدركوا أن نجاتهم ، ما هي بنجاة ، وأنهم في حساب العدوان مرصودون إلى أجل .. لما فرطوا في مصيرهم كل هذا التفريط المفجع المحير ، وفرحوا كل هذا الفرح الساهي الأرعن ..

والآن لا ينقذهم من هذا المصير المرتقب إلا أن يفهموا بكل حواسهم وامكانياتهم وبطولاتهم ان أول الطريق أفلت من أيديهم .. بسبب محاربتهم لكلمة الله :

(وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا) ٣ ــ ١٠٣ .

وبسبب الآراء القيمة المنتجة التي أهملوها شر إهمال ..

وان وسط الطريق لا يزال الصراع دونه فإن تداركوا ما فاتهم في أول الطريق انتصروا .. وعادوا اليه ، وكانوا حقاً :

(خَيْرَ أُمَّةٍ أُخرِجَتْ لِلنَّاسِ) ٣ ــ ١١٠

وإلا صدق عليهم قول الله عز وجل :

(فَأَمَّا ٱلزَّبَدُ فَيَذْهَبُ جُفَاءً ، وَأَمَّا مَا يَنْفَعُ النَّاسَ فَيَمْكُثُ فِي ٱلْأَرْضِ) ١٣ ــ ١٩ .

والانابة ممكنة وتلافي الأخطار ميسر ، ان حجزوا نفقات استهتارهم ومباذلهم ، وحولوها إلى عدد صاروخية « نافالية » طائرة قادرة أن تبقى لهم حياتهم وأوطانهم إذا قصد اجتياحها ..

وان وعوا بعمق وتدبير وعمل ، ان عددهم شره مستطير ، وقسوته وحشية انتقامية ، ومكايده مدربة بصيرة تصيب الأهداف ، وقل أن تخطىء ، وافساده لعقائد الأمم واتجاهاتها ومصالحها بعيد بعيد للغاية . ومغشى بألف غشاء وغشاء حتى أنه يحوّل أبناءها إلى جنود له يخونون أوطانهم وشعوبهم وهم لا يعلمون ..

والعلماء المتعمقون – وإن استطاعوا أن يكشفوا الأقنعة عن كل ذلك .. إلا أنهم كان أنفذ منهم بصيرة ، وأعمق منهم دهاءاً ..

فهو لم يشتبك معهم في جد حول ما دس بينهم من اتجاهات ، بل اتجه إلى غريزتي حب التملك والميل الجنسي لاعتقاده أن شعب الله المختار وما عداه حيوانات ..

وأخذ يتألف بهما الأنفس المستعصية ، والإرادات الفولاذية حتى تسلس له القياد ، فيسوقها إلى مصالحه التي خططها باسم مصالحها .

وهو يسر النقمة والانتقام دينياً وسياسياً وأخلاقياً واقتصادياً وعسكرياً..
بحجة أن البشر آسوه على مدى الأجيال،وحاربوه وشردوه في شتى الأوطان..

وبدأ بالأمة العربية بحجة أنه سامي وأن الوطن وطنه ..

أي لم يجد محلاً لانتقامه الملتهب الحانق إلا الأمة التي حملت إلى الإنسانية رسالة السماء كما هي في منابعها الأولى صافية وضاءة ، راحمة ..

الأمة التي لم تسلف إلى أمة في التاريخ شراً ولا كيداً ولا حقداً ولا كراهية ولا نقمة ، ولا ترى أحداً خيراً من أحد إلا بالعمل الصالح : الأمة التي لم ير التاريخ أرحم منها ولا أسمى ولا أكرم ولا أبعد عن الظلم والحقد والانتقام .

وهكذا نصب نفسه هذا القريب البعيد عدواً بطاشاً ظلوماً لأمتنا ، بدون أن تضمر له اساءة في يوم من الأيام .

وهو يزهو أنه دوخ الأمم الراقية المتحضرة في عقر دارها بمكايده قديماً وحديثاً واستخرج من بين أشداقها ثرواتها ، وسخرها لمآربه بفتاتها ، وأفسد عليها أمورها وعقائدها وحياتها باسم الاصلاح .. المدخول والرأي المترصد العاق للاخوة الانسانية ..

ويهدد أنه قضى على جهود التقدم الألماني الحربي مرتين،ويخيف الأمم بذلك..

والآن أنفض اليراع مرتين وأقول بصراحة :

« إذا عرفنا الصهاينة منذ نشأتهم الأولى إلى اليوم ، وعرفنا الأدوار التي مثلوها في الأمم التي جعلوا أنفسهم من أبنائها مع اصرارهم على قوميتهم ولغتهم وتاريخهم ، وما هم منها في شيء سوى استغلالها لبناء دولتهم .

وإذا أحطنا بكل مداخلهم ومخارجهم في مصارف كل أمة وشركاتها ، وفي أجهزة اعلامها ، ومن الذين بأيديهم الحل والعقد ، وفي دور البغاء والملاهي .

وإذا تعمقنا دراسة نشوء النحل والمذاهب المنحرفة والأحزاب .

وتفرسنا في انطباعات الأيدي السوداء الخفية المحركة .

وفي الذين يفسدون الاتجاهات الصحيحة ، وينحرفون بها بما يضيفونها اليها وما يحذفونها منها ، وما يضيفونها اليها ، وإخفاء ما يتوخونه وراء حجاب وحجـاب .

وإذا وعينا كل حركاته الظاهرة والباطنة تجاهنـا وتجاه سوانا وهي الحذر المسلح المتأهب بأحدث الأسلحـة لخوض المعركة الفاصلة حين يفرضها ساعة يعلم أنه أعد كل وسائل الانتصار داخلاً وخارجاً .

وإذا نحن بدورنا أعددنا كل وسائل الانتصار بعزيمة ولهفة وإتقان وتفوق ، فإن معركة نصف الطريق الفاصلة تكون لنا ، وحينئذ نسترجع اعتبارنا لدى الأمم ، وتعود لنا الثقـة التي فقدناها بتخلفنا وجهلنا وضعفنا وبعـد عن شريعة كتابنا ..

وان أهملنـا كل ذلك ، ولم نبال – لا قدر الله – انهزمنا وقذفنا إلى آخر الطريق ..

وفي آخر الطريق نلقى الهنود الحمر في المجاهل .. لا في مجاهل امريكا .. بل في مجاهل الربع الخالي ..

هذا ان تُرك لنا خالياً .

والاعتماد على المثل العليـا التي جاءت بها الإنسانية الحديثة السامية كهيئة الأمم ودستور حقوق الإنسان ومحكمة العـدل الدولية ، والتعايش السلمي وحرية الشعوب .. وهو اعتماد على السراب ، ما دام في البشر من يفسدون كل خطة اصلاح انساني عام ، عامدين .

والحق ان البشر لن يخرجوا عن غرائزهم الحيوانية أو يكتبوها ويكونوا انسانيين في أعمالهم بصدق وإيمان وعمل حازم .

ما دام هؤلاء الصهاينة يحملون هذه النفسيات التي تمت إلى العصر الحجري

ويشيعونها بين الناس وتصرون على ذلك رغم التقـدم العلمي المتفوق والوعي والذكـــاء ...

وعلى الراغبين في التوسعة في هذا الموضوع أن يعودوا إلى ما جاء في الكتب السماوية الثلاث ، وما سطره الشراح والعلماء والمؤرخون قديماً وحديثاً .

وبالحري المحاضرات التي تلقى في هذا العصر كالمحاضرة التي ألقاها النائب الانجليزي آنتني ناتنك .

وفي النهاية يجب على كل واحد منها أن يلزم نفسه وأمته بهذه الآية المعجزة آية النصر :

(يا أيُّهـــا الذينَ آمَنوا اصْبِروا وصابِروا ورابِطوا واتـّقوا اللهَ لعَلـّكُم تفلحُون) .



الكلمة الاولى

أنواع أصوات البشر ولغاتهم

يجد العلماء الدارسون أن أصوات البشر ، ولغاتهم أنواع .

والسبب في ذلك أن الأصوات لدى أهل كل لغة : تنقسم إلى ثلاثة أقسام عليا ووسطى ودنيا . وإليك بيان ذلك .

١ - الاصوات العليا:

هي المعتمدة في التخاطب والافهام لدى أهل اللغة : عليا ، لأنهم وضعوا لها حروفاً هجائيه تدل عليها ، ويفرزون بها صوتاً عن صوت ومن مجموع هذه الأصوات المفرزة تتألف الكلمات التي يتم بها تبادل التخاطب بين الجماعات والافراد على مدى الأجيال ، ويطلق على نفس الصوت المستعمل حرفاً ، كما يطلق على نفس المخطوط حرفاً .

٢ - الاصوات الوسطى :

هي فروع الأصوات العليا ، وتدل على كيفيات خاصة في نطق صوت . الحرف الأصلي . لذلك جاءت في الدرجة الثانية ، ولم يرسموا حروفاً لها خاصة تدل على أنواعها المختلفة في جل اللغات بل اكتفوا بدلالات الرموز والمصطلحات والتلقين التربوي بعلمي النحو والتجويد ، أو التلقين الفطري كشأن العرب الفصحاء قبل انحراف ألسنتهم عن الصواب .

٣ – الاصوات الدنيا :

هي الأصوات المهملة التي تخترع في اللغات : بصور مختلفـة كالأصوات التي تبتكر لترنيم الأغاني والأشعار ، أو للتحبيب والتخويف ، أو لتقليد الحيوانات والجمادات ، وما شاكل ذلك من هذه الألوان .

وهذه الأصوات المخترعة المستجدة في اللغات أكثر ما تجدها في الأوساط الشعبية ويتناقلها الأميون ورواة التقاطع النبطية ، والأزجال العامية وأشباهها.

وكان أهل اللغات قديماً يقتصرون للتفاهم بينهم بأصوات الحروف التي تؤلف الكلمات ، ولما اخترعوا للاصوات ذات المعاني صور الحروف لتدل عليها جد التفاهم بالكتابة أيضاً ، ولكنهم لم يرسموا حروفاً لكل الأصوات بل اكتفوا برسمها للأصوات الوسطى ..

أما وضع حروف هجائية تدل على كل الأصوات الأصلية والفرعيـة على السواء فهذا يضخم عدد حروف الأبجديات حتى يجعلها كعدد حروف اللغـة الصينية ...

وإننا نجد أهل اللغات عينوا الأصوات العليـا ذات الحروف الهجائية ، والوسطى الفرعية ذات الرموز والإشارات والدنيا المخترعة وإذا جد شيء لديهم أضافوه إلى قواميسهم .

ونجد بعض ما يكون من الاصوات عليا ومعتمدة لدى أهل لغة ، قد يكون من الاصوات الوسطى الفرعية أو من الدنيا أو من الاصوات المفقودة بالمرة لدى أهل لغة أخرى . وقد نجد الامر بالعكس لدى أهل لغـة سوى هاتين اللغتين السابقتين : وهلم جرا .

وهذا هو السبب المباشر في اختلاف الاصوات الاصلية المعتمدة للافهام من اللغات واختلاف أعداد حروفها الموضوعة لها كثرة وقلة والسبب المباشـر في

اختلاف دلائل الاصوات الفرعية من رموز وإشارات وقواعد وتلقين ثقافي في اللغات كافة ...

١ – ولنأخذ مثلاً لغتنا العربية التي نحن بصدد أبحاثها. فانا نجد لديها أصواتاً أصلية عليها معتمدة من أجل التفاهم . وقد وضعوا لها حروف الهجاء الثمانية والعشرين .

٢ – ونجد لها أصواتاً فرعية وسطى مستعملة ، ولكن لم يضعوا لها رسوم حروف بل اكتفوا بدلائل الرموز والاشارات ، والتلقين التقليدي والثقافي مثل ضم صوت الحروف أو فتحة أو كسرة أو تسكينة وفق قواعد النحو .

ومثل تفخم صوت الحرف أو ترقيقه أو أدغامه أو فكه أو قلبه أو إخفاءه أو إظهاره حسب أصول علم التجويد .

٣ – ونجد لها أصواتاً دنيا معروفة من الاوساط الشعبية .

والتعرف إلى هذه الأوضاع المختلفة في أصوات أهل اللغات الكبرى هو من شأن المتخصصين في دراسة اللغات . القديمة والحديثة ، أصولاً وفروعاً فمن رغب في توسعة المعرفة والاحاطة فليعد إلى مؤلفاتهم .

وبما أني ملتزم الكتابة في كل ما يهتم لمعرفته كل شاب . عربي مثقف من أوضاع لغته العربية ومسائلها بسطت له ذلك .

ومعروف أن أصول الأصوات العربية التي يقوم عليها التفاهم ووضعت لها رسوم حروف الهجاء وهي ثمانية وعشرون حرفاً . دون نظر إلى حروف مد الصوت الثلاثة الألف والواو والياء ...

وذكروا أن غلاماً احتج بعددها هذا ، وأفحم به فيلسوف المعرة حين انتقد عليه قوله :

« إني وإن كنت الأخير زمانه   لآت بما لم تستطعه الأوائل »

انتقده بقوله : —

يا عم ان الأوائل جعلوا عدد حروف الهجاء ثمانية وعشرين حرفاً ، فهل تستطيع أن تزيد حرفاً أو أن تنقص حرفاً .

وكان جواب فيلسوف المعرة الصمت..

والحق أن في وسع أبي العلاء المعري أن ينبه الغلام أن ذلك بالإمكان. ولكن اكتفى بوسم الغلام بالذكاء والحق ان هناك امكاناً لوضع حروف جديدة لتدل على فروع الأصوات الأصلية كاختراع حرف يدل على الضم وآخر يدل على الفتح وآخر يعين الكسر وآخر يعين السكون باطباق الضم اما السكون بعد الصوت فقد وضعوا له الحروفة الثلاث التي تدل على مد الصوت الألف والواو والياء .

وكذلك ذكر علماء التجويد أن هناك فروع حروف منبثقة عن الحرف الأصلي ولكن لم يرسموا لها صوراً في الخط العربي إكتفاء بالرموز والتلقين .

راجع كتاب النشر في القراءات العشر. ص ٢٠١ وإليك ذلك.. « ولبعض هذه الحروف – يريد حروف الهجاء الأصلية – فروع صحت القراءة بها ، فمن ذلك . الهمزة المسهلة بين بين . فهي فرع عن الهمزة المحققة . ومذهب سيبويه انها حرف واحد . نظراً إلى مطلق التسهيل

وذهب غيره إلى أنها ثلاثة أحرف ، نظراً إلى التفسير بالألف والواو والياء ، ومنه ألفا الامالة والتفخم وهما فرعان عن الألف المنتصبة . وامالة بين بين لم يعتدها سيبويه وانما اعتد الامالة المحضة ، وقال التي تمال امالة شديدة كأنها حرف آخر قرب من الياء . ومنه الصاد المشممة وهي التي بين الصاد والزاي . فرع الصاد الخالصة وعن الزاي ، ومنه اللام المفخمة فرع عن المرفقة ، وذلك في اسم الله تعالى بعد فتحه وضمه .. » وكل هذه الفروع وأمثالها في الامكان ان تخط لها حروفاً يدل عليها ولكنهم لم يفعلوا ..

إذن فلا خلاف بين العلماء ان زيادة حروف الهجاء في امكان خطاطي العرب.

على خلاف ظن الغلام . والزيادة هي أربعة أحرف فقط ، وهي تشتمل على كل إصلاح النطق العربي على أوضح الأوجه وأكملها .

وإذا نظرنا إلى إمكان إيجاد أحرف تدل على التفخيم والترقيق والامالة ، وما هو من هذه الناحية، فإن ذلك يفضي بحروف الهجاء إلى سعة تطيل على الأطفال زمن ضبطها وتطبيقها . من أجل ذلك اقتصرت على ذكر الأحرف الأربعة التي يترتب عليها حفظ الألسن من كل الأخطاء النحوية . ولو كان القارىء في الصفوف الابتدائية .

وأقول للذي يطالب بوضع أحرف ستة للمد في حالتي التفخيم والترقيق زيادة على أحرفه الثلاثة الواو والألف والياء الدالة على المد العادي الوسط :

ان تفخيم مد الصوت أو ترقيقه يؤخذ بالتثقيف والتلقين ، كالامالة والاخفاء والقلب ووضع أحرف لها فيه إرهاق وعسر، على الأطفال بخلاف وضع الأحرف الأربعة التي ترفع عن ألسنتهم منذ طفولتهم الأخطاء النحوية التي يعجز عن رفعها حملة الاجازات الجامعية في أكثر الأحيان .

ولو صح أن تستجيب المجامع اللغوية الرسمية العربية ، ووزراء معارف الحكومات العربية لكل مطالب بوضع أحرف عربية جديدة ، زيادة على ما هو مصطلح عليه من حروف الهجاء ، لاختلط الحابل بالنابل ، وأصبح لدى أهل كل جيل من الأجيال العربية أبجدية لاحقة تزيد حروفها عن الأبجدية السابقة . وهذا عين الفوضى والانحلال ، وعين الانقسام والتلاشي ..

ولماذا نرهق أجيال أمتنا العربية الصاعدة ، فوق ما ترهقهم وفرة علوم الثقافة الحديثة وآدابها واجتماعيات هذا العصر ، وأوضاعه المتناقضة ، بوضع أحرف جديدة لا حاجة لهم بها .

حسبهم ما يتلقونه من معلمي اللغات الأجنبية من عنت النطق بأحرف سوى

حرف لغتهم فيما هو مخطوط بالأحرف اللاتينية لهم . وفي مخارج أصوات لم تكن من مواريث لغتهم اصالة .

ولولا ما توارثوه من أصوات حروفهم الاصلية الموضوعة لها حروف الهجاء ، وفروع أصواتها ، التي يستدل عليها بالرموز والاشارات والتثقيف والتلقين . وقدرتهم على النطق بهما معاً . أي بالاصوات الاصلية وفروعها . وهذه القدرة المحققة في مخارج أصوات العرب هي التي تجعلهم قادرين على النطق بحروف كل لغة وفق مخارج أصوات أهلها بشيء يسير من المران ، إلى التدريب التربوي والتثقيف أو الاختلاط والمساكنة.

بيد أن سوى العرب ، وان تثقفوا في اللغة العربية ثقافة واسعة تفوق ثقافة علمائهم بها . حتى ولو اختلطوا بهم كالاب فيشر الالماني ، والمستشرق الكبير « ماسينيون الفرنسي » . فانهم يظلون عاجزين عن النطق ببعض الاصوات العربية من مخارجها الاصلية ، كما ينطق بها العربي الاصيل أو من ولد وعاش بينهم زمن تكوين مخارج الاصوات ..

ومن أجل ذلك نجد علماء اللغات المتعمقين يتسامحون إذا نطق الاجانب بأية لغة بغير الاصوات التي ينطق بها أهلها ، لعلمهم أنهم يفقدون مخارجها .

ومحال أن ينطق ناطق باصوات لا يملك مخارجها .

وهنا أعلن بجدارة اننا عرفنا جانباً من الاسباب التي يرتكز عليها تباين حروف الهجاء في اللغات كثرة وقلة ، وتفخيماً وترقيقاً وتوسطاً ، واعراباً وعدم اعراب حسب وضع كل لغة بالذات .

وعرفت أن باعث خلافات اللغات الاساسية ، ليس هو وليد وضع علماء قانونيين متعمقين ، ولا هو وليد شهوات وتمنيات .

وإنما هو وليد اعراف تقليدية متوارثة ، منذ اليوم الذي أخذت الجماعات البشرية تتفاهم فيه باصوات خاصة وليدة الحاجة والبيئة .

وعلى هذه القاعدة تكونت اللغات وانطلقت في مسيرات التطور – بعد أن تبلبلت الالسن في بابل – .

وكل أعمال علماء اللغات القادرين المتعمقين هو ضبط مسيرات التطورات اللغوية ، بحكمة المقتضيات ، وبيد التهذيب والتشذيب التي ترفع الاهمال والتخلف والموت عن اللغة ، وتمنحها القوة والتقدم والحياة الخالدة .

هذه هي أعمال علماء كل لغة . حية خالدة صاعدة . وهذه العلوم اللغوية تجدها موضوعة لكل لغة بالذات هي صنع أيديهم .

ولولاهم لاستمرت اللغات تسير هوجاء سبهللا، تضر ولا تنفع، حتى تسقط اللغة في هوة العدم وتصبح آثارها من العاديات الرديئة ..

وليس بين علماء اللغات الامناء العباقرة الذين يملكون القدرة على التجدد والابتكار والذين بيدهم مقاليد حفظها والذود عنها من بغتات الهدامين .

والمستخفين أشطار المثقفين .

والماجور من الذين يحملون أدباء القرون من يسمح لهؤلاء بالعدم والعبث بلغته ..

واني أحي كل هؤلاء العلماء لانهم ذادة ، وأبطالها وحفاظها والساهرين على النهوض بها ، وأخص من بينهم أبطال لغتنا العربية ، وعباقرتها من اللغويين والكتاب والشعراء الذين هم حصونها المنيعة القوية المدججة بالعتاد .

الكلمة الثانية

اختلاف مخارج الأصوات وتأثيرها في اختلاف اللغات واختلاف اللهجات في اللغة الواحدة

لا ريب ان اختلاف مخارج الأصوات لدى أهل اللغات . له كل التـأثير في اختلاف أبجديات اللغات قلة حروف أو كثرتها ، وله كل التأثير أيضاً في اختلاف اللهجات بين أبناء اللغة الواحدة ...

والذين جهلوا هذه الحقيقة اليقينية المشاهدة هم الذين فكروا في وضع لغـة انسانية واحدة ذات أبجدية واحدة . وهي معروفة بالاسبرنتو Esperento

ولم يفطنوا إلى استحالة توحيد النطق بمخارج أصوات حروف أبجديتها بين الأمم كافة : دون زيادة أو نقصان ، ودون تضخيم أو ترقيق أو انحراف ، حتى يصبح تفاهم الجماعات البشرية وأفرادها بها ممكناً .

وما دام توحيد صيغة مخارج الأصوات الأصلية والفرعية غير محققة حتى بين جماعات اللغة الواحدة ، فكيف يمكن تحقيقها بين أهل اللغات كافة .

قد يكون ذلك في الاستطاعة إذا تمكن العلم من إجراء عمليات جراحية في مخارج الأصوات الأصلية ، لأهل اللغات كافة ، حتى يتمكن كل الأفراد من توحيد الأصوات ، بالحروف المفروضة للتفاهم بها ، بين الناس جميعاً .

وما دام العلم عاجزاً عن اجراء هاتيك العمليات ، فلماذا هذه البلبلة في وضع لغة جديدة ، وأبجدية جديدة لأهل اللغات كافة .

وكم من سهولة في وضع أبجدية جديدة لكل البشر ، ولكن العسر هـــو أن ينطقوا بأصوات حروفها بصورة موحدة وكل علماء اللغات يقولون ، إن وضع لغة موحدة ذات أبجدية موحدة لها مخارج أصواتها الأصلية والفرعية ، لكل البشر ، يستطيع أن يقوم به عالم لغوي واحد .

ولكن الذي لا يستطيع أن يقوم به كل علماء اللغات ، بل لا يستطيع أن يقوم به كل البشر على تباين لغاتهم هو أن ينطقوا بـــأصوات حروفها الأصلية والفرعية بصورة موحدة . هذه هي العقبة التي يعسر مرتقاها . وما دام العسر مؤكداً .. فليس لنا إلا أن نترك كل لغة ينطقون بحروف اللغة العـالمية حسب استطاعتهم ، وما توارثوه من مخارج أصوات لحروفهم الأصلية والفرعية ، وحينئذ نظل في مكاننا نمارس الوضع الطبيعي المشاهد في اختلاف ألسن البشر ، ونكون انتهينا من حيث بدأنا . ولم نحقق أي اصلاح مزعوم . ولم نفد من كل صراخنا سوى التفكير في مسألة إصلاح رسوم الحروف ، ورسوم الحروف هي بحكم طبيعة التطورات تختلف مع تداول الحقب وتوالى الأجيال . كما هو مشاهد في تطورات رسوم حروفنا العربية منذ اليوم الذي كتب كتاب الوحي القرآن المجيد في زمن رسول الله ﷺ على لخاف الحجارة البيضاء الرقاق . وسعب النخل ورقاع الأدم ... إلى يومنا هذا الذي يطبع فيه بأنواع الخطوط الفنية الرائعة المشكلة .

وإنك تلمس آثار هذه التطورات ماثلة في المصاحف المخطوطة المحفوظة في المكاتب العامة والخاصة في الشرق والغرب ، إلى جانب أنواع المخطوطـات من مؤلفات ووثائق تاريخية وسندات ، ومنشورات حكومية وما أشبه ذلك ..

ناهيك بأنواع خطوط مغرب الأمة العربية . ولكن حكومات المغرب رعاها الله ، أوقفت تفاقم الخلف والتباين بين خطوط مشرق الأمة العربية ومغربهـــا ففرضت أن تكون الخطوط واحدة في المؤلفات وفي الصحافة وفي التعليم في كل

أقاليم المجتمع العربي وذلك بفضل قادتها المفكرين الأبرار ...

وكم من سطحية في قول بعض المحاضرين « إن مشكل الخلف بين مشرق الأمة العربية ومغربها ، لا يرفعه إلا جعل الحروف اللاتينية مكان الحروف العربية التي هي السبب المباشر في تفاقم هذا الخلف .

وجهل هذا الداعية السطحي نهضة الجامعة العربية . وعمل حكوماتها الجاد من أجل توحيد الثقافة العربية ، وتوحيد الخطوط ...

كما تجاهل حقيقة يقينية ملموسة : هي اختلاف مخارج أصوات الحروف اللاتينية ، واختلاف النطق بها ، حتى في الشعوب الأوروبية ذاتها خذ مثلا لفظة « طاولة » التي تكتب بالحروف اللاتينية هكذا table ولكنها تقرأ في اللغة الفرنسية هكذا « تابل » وبالانجليزية هكذا ، « تيبيل » إذن فكم يكون اختلافها بين أبناء الشعوب العربية .

وإذا كانت الشعوب اللاتينية مسمّرة في نكد هذا الخلف على تتابع فوادحه المزقة ، ولم يرفعه عنها وحدة الخطوط اللاتينية ، واهتمام جامعاتها الكبرى بها ، ولا وجود الآلات الحديثة الضابطة لمخارج الأصوات ، فما بالك بما يكون عليه وضع الشعوب العربية من المخلف في مخارج الحروف اللاتينية ، وحالها هذا الحال ولو كانت الحروف توحد الاصوات وتسهلها لوحدت أصوات الحروف اللاتينية أصوات الأمم المتكلمة بها وما أوسع الخلف بين لغاتهم وأصوات حروفها الاصلية والفرعية لديهم ..

والاستشهاد بما فعله من وسد اليه الامر في تركيا بعد الحرب العالمية الاولى : من طرح الحروف العربية ، واستبدالها بالحروف اللاتينية يدل على خفة في موازين التفكير : لان أولئك الزعماء ليسوا عرباً ، ومـا هم على علم بسمو مثل الاسلام العليا ، حتى يتحرجوا من الاقدام على ما أقدموا عليه . على أنهم حين اتخذوا الحروف اللاتينية اتخذوها اتخاذ الحروف العربية مـن قبل . إذ يستحيل أن

يأخذوا حروفاً ، لا من مخارج لها في أفواههم ، ولا أصوات ... ومحال أيضاً أن لا يزيدوا حروفاً يملكون أصواتها ومخارجها .

وهذا هو القانون المتبع في وضع كل أبجدية في عالم اللغات بدون تخلف ، إلا تخلف التحكم السطحي ، وتوارث التقاليد العرجاء العاقدة .

وما الحروف الهجائية في كل اللغات إلا رسوم وصور تدل على أصول الأصوات التي يتفاهم بها البشر وفق لغاتهم ، ووفق كيفيات النطق المتوارث لديهم بكل حرف بالذات ...

وليس الذي يتفاهم به البشر هو رسوم الحروف وصورها . بل دلائل كلماتها المؤلفة منها . وعلى سمو هذه الدلائل وسعتها وعمقها وصلاحيتها لشمول كل ما يجد من الدلائل في الحياة من علوم وفنون وصناعات يرتكز إطراد التقدم الحضاري ، ويرتكز طراد الأدب الخالد ...

وفات زعماء الاتراك ان الحروف الهجائية قابلة التطور بتطور الحضارات ، ولو انهم طوروا الحروف العربية وفق مقتضيات حضارتهم لكان ذلك خيراً لهم الف مرة ..

ولن يجدوا حروفاً تسير سائغة مرينة مع التطور الحضاري الإصلاحي الصاعد طبقاً فوق طبق إن لم نقل انها تسبقه ، ما يجدونه في الحروف العربية ...

وأصولها التاريخية الموجودة في الكتب الخطية منذ فجر الإسلام إلى اليوم ، وما تحمله من براهين التطور الجبار هو أكبر برهان يقيني مشاهد .

وكانت تركيا تملك زعامة الخطوط العربية وكانت بحكم هذه الزعامة تملك مورداً مالياً ضخماً بطبع المصاحف التي تصدرها إلى العالم ، ومجلدات الأحاديث النبوية ، وكان في استطاعتها الآن أن تطبع الكتب الخطية التي هي مصدر شراء ضخم في لبنان ومصر ، لكثير من الناس . وكانت مكاتب تركيا ذاخرة بالمخطوطات . ولكن سلبها إياها الوراقون وكم في ذلك من خسارة لا تعوض .

والعجيب اننا نشاهد الدول الكبرى في الشرق الأقصى الحديث تحرص على حروفها الهجائية الأصلية حرصاً متطوراً مع حفاظها على مواريث لغاتها ، ومقوماتها الاصيلة ، مع ان بعض هاتيك الدول الكبرى أفضت إلى قمة المعارف الحديثة العليا الخفية ، وقد اكتشفت أفتك أسلحتها : القنبلة الهودروجنية والقنبلة الذرية وقنابل الغازات الخانقة ، وما تزال جادة في توسعة الاكتشافات إلى غير نهاية .

وهنا سؤال يطرح :

س : هل السهولة في الكتابة والقراءة لأية لغة وسرعة اتقانها والتفنن فيها ، ودقة استيعابها للعلوم والآداب والفنون ... من خصائص الحروف الهجائية ، وأصول املائها ونحوها ؟ !! أم خصائص العلماء الفنيين العاملين في وزارات المعارف على تطور التربية والتعليم والصعود بها إلى مثلها الأعلى ..

ج — وإجابتنا على هذا السؤال : هو نفس أعمال أولئك العلماء الفنيين العاملين في كل بلد على التربية والتعليم ، وتطويرها إلى بلوغ مُثلها الأعلى .

أما أعمالهم التقدمية المتطورة فانها ماثلة في مناهج التربية والتعليم التي أقروها وفي مطبوعاتهم الحديثة التي يجددونها في كل بضعة أعوام ، وفي المشاريع التي يستحدثونها ، ويفرضونها على مناهج التعليم . وهي أبداً في تحسين مستمر ، وتقدم رائع ...

ولا شأن لرسوم الحروف المتواضع عليها ، إلا ما يدخل في نطاق التحسين والتطوير .

على ان شأن صور الحروف الهجائية واشكالها الخطية كشأن الاملاء والنحو واشتقاق الكلمات وتنسيق القواميس ، لا تمس أصول ذواتها الأساسية بتغيير أبداً . وإنما الذي يمس هندامها وطرازها : يمس بتطورات التلفزة والسينما والصور

المتحركة الناطقة وبالقصص التمثيلية والروايات ، والمعارف المستحدثة في الآلات الالكترونية ، وما يجد من وسائل تقدمية جذابة في سبيل التربية من عام إلى عام.

والخلاصة ان الحروف توضع ، وفق عدد الأصوات الأصلية المنطلقة من أفواه أهلها من مخارجها الأساسية ، أما أشكال رسومهـــا فهي تأتي على الف شكل وشكل . وإنك تراها في مراحلها الأولى القطرية متشابه مماثلة ، ولايظهر الخلف واضحاً في رسوم الحروف : ما بين لغة وأخرى ، إلا بعد تطورات التجميل الفني وإبداعه الاخاذ ...

ومهما يكن فالمعلن على السنة الفنانين المتعمقين في دراســـة الخطوط سهولة الحروف الهجائية العربية ، وطواعيتها الألوان من الفنون الجميلة واشكال سحرية شق قلما يحصل لسواها ، فما بالك بحسن تركيبها الذي يفوق كل حسن الخطوط على العموم .

أما النقد المتصل بزيادة حروف الهجاء في هذه اللغة ونقصانها في تلك ، فهو نقد زائف ، لأنه خـارج عن نطـــاق إمكانيات الأعمال الفنية القابلة للزيادة والنقصان .

وأعتقد لو نهض ناقد في فرنسة مثلاً زاعماً ان الأبجدية الفرنسية ناقصة ، لأن ثمة حروفاً في الفارسية أو العربية أو الاوردية ، لا توجد فيها . أو انها خير من العربية لأن حرفي الحاء والغين لا يوجدان فيها ، وذلك أقل كلفة : لكان جواب قومه له السخرية والاعراض عنه . فما بالك بأهل اللغات الأخرى .

ويستحيل أن تطالب أهل لغة ما بوضع حروف في أبجديتهم لا يملكون لها في أصواتهم مخارج حروف الآخرين الأصلية .

ولو حمق علماء لغة ، وبدلوا حروف أبجديتهم بالزيادة أو النقصـــان ، لظل أهلها ينطقون بكلمات لغتهم ، وفق مخارج أصواتهم الأصلية المتوارثة المستطاعة

غير ملتفتين للزيادة أو النقصان المقحمين في حروف أبجيديتهم . إلا إذا لقن ذلك منذ الطفولة في مدارس الحضانة والروضة ...

ولا ريب أن خلف النطق للكلمة ما بين لغة وأخرى واسع جداً . ولو كان توحيده سهلا . لسهل على أهل اللغات المتعددة أن ينطق بعضهم بحروف بعض حسب مخارج أصولها المتوارثة والمستعملة لديهم ، ولكن أنـــى تكون السهولة ومخارج الحروف الهجائية الأصلية تحفر مخارجها في الطفولة الباكرة اللاواعية..

انظر هؤلاء الانجليز ينطقون القاهرة « كايرو » وموسى مسس والافرنسيون ينطقون دمشق : « داماس » وموسى « موييز » ويقولون في يعقوب جاك والذين يقاربون النطق كالطليان يقولون « جاكوب » .

وأصوات هذه الكلمات وأمثالها . يستطيع أهل اللغات الأجنبية النطق بها عربية صحيحة لأن لها أمثالاً ينطقون بها في أصواتهم الفرعية .

ومع ذلك يرونها عسيرة مرهقة ، فانصرفوا عنها . فما بالك إذا طلب اليهم أن ينطقوا بحروف لا أصوات لها في لغاتهم بتاتا كالحاء والغين الموجـــودتين في حروفنا العربية . ولا وجود لها في حروفهم ، ولا يملكون لها من مخارج أصوات حتى في فروع أصواتهم .

إذن فعذرهم يكون واضحاً، إذ قالوا «مؤمد أو مهمد» في محمد و « مأمود» في محمود و « كالب » في غالب وهلم جراً ... وتكليفهم بغير ذلك بما لا يستطـاع بالنسبة اليهم .

وقدرة مثقفي العرب على النطق بمخارج الحروف الاجنبية كاهلها تماماً ، لا تعود إلى ذكائهم ، بل إلى وفرة مخارج الاصوات الاصلية والفرعية ، بحكم نشأتهم الاولى التي تتكيف فيها أوضاع مخارج الحروف .

وحسب الناشئة العربية لينطقوا بمخارج حروف أية لغة كأهلها أن يعيشوا بينهم قليلا ، أو يتثقفوا لديهم ..

وكل المثقفين يعلمون ان أصول الاصوات العربية التي يملك العرب مخارجها ثمانية وعشرين صوتا ، ولما اخترعوا حروف الهجاء وصنعوا لكل صوت حرفه الخاص به .

ثم لديهم ثلاثة أحرف لمد الصوت الالف للمد المرتفع والواو للمتوسط والياء للمنخفض فيصبح عدد حروف الهجاء واحد وثلاثين صوتا ثم يمكن أن يدخل صوت كل حرف من هذه الحروف الواحد والثلاثين: التفخيم، والترقيق والتوسط: فيصبح عدد مجموع الاصوات العربية مع كيفياتها الثلاث التفخيم والترقيق والتوسط ثلاثة وتسعين صوتا .

فمن كان مستعداً بفطرته واستعداده على النطق بكل هذه الاصوات بالتربية والتعليم والتلقي فلا يعجزه احسان النطق باية أصوات لغة . بله اللغات الحديثة .

طبعاً الانجليز والفرنسيون لا يحسنون النطق بكل أصوات حروفنا : لان الحروف الدالة على الاصوات الاصلية لدى الانجليز واحد وعشرون حرفاً ، وإذا أضفت اليها أحرف مد الصوت الخمسة تصبح ستة وعشرين حرفاً ومعظم أصوات الانجليز ساكنة مفخمة .

وإذا نظرت إلى الأحرف الاصلية لدى الافرنسيين وجدتها عشرين حرفاً وإذا أضفت اليها أحرف مد الصوت الستة يصبح العدد ستة وعشرين والأصل في أصوات الحرف الفرنسية الرقة إلى جانب قليل من الحركات ، والتفخيم أحيا وقل مثل ذلك في الايطالية وسواها .

وهذا هو السبب الحقيقي الذي يجعلهم يعجزون عن إحسان النطق بكل ما لدينا من أصوات حروف .

وصفوة القول ان كيفيات النطق باصوات الحروف الهجائية يختلف من أمة إلى أمة ، والإختلاف ظاهر للعيان ، وليس في طاقة العلم ابطاله ...

ذكر محاضر ان شيرون الخطيب الروماني ، كان يعجز عن النطق بمخارج بعض حروف لغته ، فاضطر أن يذهب إلى شاطىء البحر ، ويضع حصاة تحت لسانه ويرفع صوته في سخط الامواج مروضاً نطقه على الاحرف المستعصية حتى استقام له النطق في النهاية ، وأصبح خطيب الرومان المشهور ...

وذكر ان شابا افرنسياً أراد أن ينطق بالحاء والغين العربيتين لانه كان يعيش في لبنان ويتعلم اللغة العربية ويجب أن ينطق بكل حروفها مع أصول مخارج أصواتها ، فكان يذهب إلى شاطىء الاوزاعي مع بعض رفاقه من المراكشيين العرب ويتناول حصاة ويضعها تحت لسانه ، ويعالج النطق بالحاء والغين ، وظل على ذلك أشهراً ولم يتمكن من النطق بالحرفين حسب مخارجها ولولا أنه فوجىء بسقوط الحصاة في حلقه يوماً ، وكاد يختنق .

ولماذا نوغل في ضرب الامثال ، ونحن نجد بين أبناء العرب من لا يحسنون النطق بالراء مثلا ومع ذلك لا يعيب أحد عليهم عجزهم في حسن نطقها .

ومن أدباء العرب القدماء الذين اشتهروا بعجزهم عن نطق الراء واصل بن عطاء ومن أدبائهم المحدثين طانوس عبده ..

ويقال ان واصلا لتعمقه في اللغة العربية تجنب النطق بالراء في كل مواقف الخطابية ...

وقصة انتصاره على الذين حاولوا العبث به أمام أمير المؤمنين مشهورة . إذ أرادوا أن يتلو منشوراً أمامه حشوه بالراءات فإذا هو يتلوه دون أن ينطق براء واحدة .

المنشور : « أمر أمير الامراء بحفر بئر في الصحرا ليشرب منها الشارد والوارد » .

وتلاه واصل بين عطاء هكذا أو قريباً من ذلك .. لاختلاف الروايات

« حكم حاكم الحكما بنقب جـــب في الفـــلا ليستقي منـــه الذاهب والآيب » .

وما فعل ذلك الا تجنباً أن ينطق بالراء التي لا يملك لها مخرج صوت ..

إذن فوسم الحرف منطلق لناظره إلى صوته الاصلي المتوارث ، من دون تغيير أو تبديل ، ومن دون زيادة أو نقصان .

وهذا شأن كل ناطق بالحروف المعتمدة لاصوات لغة أيا كانت أصواتهـــا المتوارثة وأيا كانت كيفاتها وأيا كانت الوان صور حروفها المعتمدة للدلالة عليها .

والله يرفع يقين العلم وحقائقه ، ويخفض الظنون والاوهام .

* * *

بحث تطوّر الأصوات المفلتُ والمنظّم بأصُول العِلم

التطور المفلت هو تطور أصوات العامة بالكلمات وتراكيبها ، دون قيد أو شرط ، ودون مراعاة الأصلح ، والتزام مخارج الأصوات وأصول قواعدها أي هو تطور متروك للانقلابات السياسية ، والأحداث الاجتماعية ، وتسرب رطانات اللغات الأعجمية من هنا ومن هناك إلى أوساط العامة .

هذا هو التطور المفلت ، وأقرب صوره وأوضحها لمرآة أفكارنا هو تيارات المياه المفلته التي تتحكم مجاريها على طبيعة الأرض ، دون مراعاة الأصلح للافادة ..

ولكن لما تقدمت الأمم بالمعارف والحضارات لم تترك المياه تجري مفلتة سبهللا .. بل أقامت في وجهها السدود والخزانات ، وحفرت لها الترع ، وعينت لها اتجاهات الري .

فعلمت ذلك طلباً لنمو الافادة منها ، وإيثاراً لازدهار حياتها الاقتصادية وتأميناً لرخاء العيش للجميع ..

ومثل هذا : نجد الفرق بين اللغات العامية المتروكة تطوراتها لمجاري لهجات العامة المفلتة .. ومن اللغات الفصحى المقيدة تطوراتها بأصول المصلحة والنظام ومعارف الحضارة الصاعدة .

أنظر كيف طغت تطورات اللهجات العامة المفلتة على اللغة اللاتينية الفصحى

التي كانت تشمل : فرنسا وإيطاليا وأسبانيا ورومانيا والبرتغال، بمقتضى وحدة الحكم الروماني الجامع ..

أي كانت اللغة اللاتينية هي لغة العلم والأدب والفن والتعليم لأوربا قبل تطغيان تطورات اللهجات العامية المحلية المفلتة من أصول اللغة اللاتينية الفصحى وقواعدها ..

وكان من نتائج طغيان اللهجات العامية السيء عليها ، انهدام الوحدة اللغوية في أوربا بين شعوبها ، وتبعها انهدام كل الوحدات التي كانت مرتكزة عليها ، والتي من أجل اعادتها ، كان يعمل المصلح الفرنسي الكبير ديكون ..

وكان ضياع الوحدة اللغوية أكبر خسارة خسرتها أوربا على الاطلاق ..

ولو كانت التطورات التي دخلت على اللهجات العامية في أوربا في حدود القواعد والأصول التي تفرضها المصلحة الجماعية العليا ، والتقدم اللغوي العام في أعراض اللغة الفصحى لا في أصولها بالذات ، لما كان ذلك الانهدام الفادح، الذي نزل بالوحدة اللغوية الأوروبية ولا كانت تلك الخسارة المميتة التي تستحيل أن تعوض بثمن ، والتي كان من أثره تفاقم نفوذ العالم الجديد عليها ، وتحكمه في اقتصادياتها ، واتجاهاتها السياسية .

ولا يعلم إلا الله ما يكون الحال في المستقبل أمام نشوء الوحدات السياسية الكبرى في العالم ، إذا بلغت رشدها الحضاري ، واستوت على قواعد العلم ، وتسلحت بعدد الذرة والهيدروجين ، وخندقت على سطحي القمر والمريخ ...

وردت أوربا إلى حافرتها ، واضطرت كل حكومة من حكوماتها، أن تبذل كل امكانياتها من أجل الحفاظ على لغتها الفصحى التي حلت محل اللغة اللاتينية ، وإيقاف تطورات الأصوات المفلتة من ضوابط الأوساط المثقفة .

بذلا لو قدموا عشر معاشره ، للحفاظ على لغتهم اللاتينية الفصحى الأولى

للتطور بها إلى الحياة الحضارية الصاعدة ، لما أفضحت بهم كوارث الانفصال إلى ما أفضت إليه حتى غادرت أوربا كسفينة ممزقة القلوع ، تطوح بهـا لجج الدول الكبرى الناشئة في العالم ، وتتحكم في مصايرها .

والآن وقد فطنت أوربا إلى مشاكل اختلاف اللغات في المجتمع الواحـــد ، وما يجر عليه من بلايا الانقسامات التي تقصمه قصماً . فها هي كل دولة من دولها تحرص كل الحرص على وحدة لغتها الفصحى ، وحراستها من التمزيق والضيـاع بالأصول والقواعد التى تصنعها المجامع اللغوية بتتابع. وتفرضها وزارات المعارف في مناهج التعليم فرضاً .

ولو ترك الأمر في رحاب الفوضى لكنت ترى لكل لغة من لغات أوربا الفصحى الحالية لهجات عامية عدة، في استطاعتها أن تحل محلها ، وتميتها كما أماتت هي اللغة اللاتينية من قبل وحينئذ تصبح كل لهجة ، في كل ناحية ، هي فيه اللغة الفصحى . . وهكذا دواليك ولا يستقر أمر الثقافة والأدب ولا يثبت على مدى الأجيـال ، وتضيع جهود الأدباء الفحول والعلماء الراسخين أدراج الرياح لأن التطور المفلت يجعل اللغة الواحدة غيرها من جيل إلى جيل حتى يضطر الراغبون في دراسـة أدبهم وعلومهم أن يترجموها إلى لغتهم ذاتها ، كما تترجم إلى لغـة أخرى . . !!

وحينئذ يفقد فن الأسلوب مجده الخالد وتضيع جهود أهله في أعصار تطور اللغات المفلت . .

هذا الأمر هو الذي يخيف الدول الأوروبية المعاصرة ويجعلها تبذل الجهـود الجبارة والأموال الطائلة من أجل الحفاظ على لغاتها الفصحى . . خشية تمزيـق التحويل وإفساده . .

خذ مثلاً اللغة الفرنسية ، على ترامي أبعادها، وسعة آفاقها ووفرة الشعوب التي تتكلم بها ، تحرسها المجامع اللغوية، والثقافة الجامعية اللغوية وسواها بالقواعد

والأصول والتمرين على مخارج الأصوات وأطرادها خشية معاول التطور العامي المفلت أن يهدمها ..

لذلك تجد تطورها في إطار الأصوات والقواعد المبوبة وقل مثـل ذلك في سواها من اللغات التي اشتقت من اللغة اللاتينية .

فالاهتمام هام ومطرد وكل دولة تهتم بلغتها بمستطاع امكانياتها الواسعة .

ولعل اهتمام الانجليز بقواعد لغتهم ومخارج حروفهـا [١] لدى كل الشعوب التي تتكلم بها في أمريكا وافريقيا يعزي إلى حذرهم أن يحل بلغتهم الفصحى ، ما حل باللغات الفصحى التي ماتت بتفاقم لهجاتها العامية المفلتة . وطغيانها عليها دون أن تلاقي حراساً إيقاظاً وأعين يحافظون عليها مع نطـاق التطور العرضي النافع الحافظ . وهذا ما يصنعونه اليوم ..

ولو أن الدول الأوروبية لم تنهض، بلغاتها في حدود التطور المحصن، بأصول الآداب الراقية ، وقواعد الثقافة الواعية ، وحراسة المجامع اللغوية الواقية، التي تحفظها من أعاصير التطور .. المفلت ، وضربات معادلة الهدامة لحـــل بلغاتهم بكل تأكيد ما حل باللغة اللاتينية من قبل . وأصبح التفاهم بين الشعوب المتكلمة باللغة الواحدة منها مستحيلاً كالفرنسية أو الانجليزية أو سواها .

والمجتمعات البشرية المتحضرة تجدها تعمل جاهدة لازالة تحاجز التمزيـــق اللغــوي ، وتفاقمه بين أقاليمها ، كما هو الحال في المجتمع الهنــدي والروسي والصيني .

ولن تجدها تعمل لخلقه واثارة ويلاته، وتمكين حواجزه شأن بعض السطحيين

---

(١) لعل اهم ما اكتشفه المكتشفون في هذا العصر الآلات التي تعين مخارج الحروف ، تجنبا لاختلاط مخارج حروف الكلمات وضياع اللغة من جراء ذلك ...

المدفوعين على غير علم منهم ، لهدم وحدة لغتهم العربية الفصحى الجامعـــة !
والحمد لله لم يتجاوزوا الواحد في المليون ..

ويا ليتهم يعلمون أن الشعوب المتحضرة تبكي كثرة لغاتها ، ومتاعبهـا من جراء ذلك وتتمنى لو تقتصر على لغة واحدة .

وهنا يلقاك سطحي مأفون ويعترض قائلاً :

التطور طبيعي ، وليس في مقدور الشعوب أن تصد تياراته العارمة الساحقة عن أية لغة . وقديماً أتى على اللغة اللاتينية ، وسواها من اللغات القديمة المندثرة، وهو آت حتماً على اللغة العربية ،لأنها لغة قديمة وهي لا تخرج عن أمثالها وامتثالها لسنة التطور .

وإن قلتم ما قلتم ، وإن فعلتم ما فعلتم . !!

ولا ريب أنك تلمس من اصرار هذا المأفون في قوله : أنه يجهل حقيقة التطور وأثره التكويني في الأشياء ..

ولو علم أن التطور منه المرسل المفلت . وهذا هو التطور الهدام الذي يقضي على الأشياء ويحدث البلبلة والفوضى والخلف بين أبناء اللغة الواحدة ..

ومنه التطور المقيد بحدود النواميس والخاضع لسنة البقاء : كتطور الشمس فهي متطور في حدود فلكها، ولا تخرج عن مستقر جريانها وخضوعها لنواميسه .

ولو خرجت لاضطرب النظام الشمسي وتداعت كواكبه ..

وهذا شأن اللغة العربية فإن تطورها كتطور الشمس:

داخل في فلك نحوها وصرفها ومخارج حروفها واشتقاق كلماتها ، وأصول معاجمها . أضف إلى ذلك معارف علمائها ، وآداب أدبائها وفنون فنانيها، المتتابعة المتواصلة من جيل إلى جيل ..

بل قل إن تطور اللغة العربنة جار في نطاق الحضارة الصاعدة ، ومناهجها

التقدمية المبتكرة ، ومثلها العليا التي جاء بها وحي الله . عز وجل .

وهكذا تمر القرون والأجيال واللغة العربيةالفصحى تمد أجيالها المتتابعة بدفق قوة الروح ، ونماء جدة الحياة وحماسة شعلة المعرفة دون أن يمس كيانها تحوير وتخلف مفلتان من عوامل سنة التطور الصاعد البناء .

هذا هو قوام اللغة العربية ، وفطرة كيانها الطبيعي .. وكيف لا تكون اللغة العربية كذلك - والقرآن المجيد الذي هو قمة بلاغة اللغات على الاطلاق ، والمثل الأعلى العملاق المعجز الذي لا تخفت صرخات تحديه لمعارف الحضارات ، حتى ولو استطاعت أن تقيم على رأس كل كوكب مرصداً للافلاك ، ومختبراً للأبحاث العلمية الفضائية الجديدة ..

* * *

أسبابُ صمودِ اللغةِ العربيّةِ الفصحى وفشلُ العاميّة

تشتمل اللغة العربية الفصحى ، على عدة أسباب ذاتية أبدية الحياة ، تجعل فشل الدعوة – إلى أية لغة عاميّة ، لتحل محل اللغة الفصحى ،وتفي بالتزاماتها ، وتمثلها في كل مجال – قدراً مقدوراً .

ومثل فشل هذه الدعوة منذ اللحظة الأولى ، مثل سِقْط طرحته أمُّه في « مارستان » خيل لها جنونها أنها إذا احتفظت بـه يحيا ، ويتكامل ويحقق العجائب ، التي لم تحقق بعد . ولم يدر في خلدها أنه سقط مائت ، وأنـه لن يحقق شيئاً سوى ما حققه الموت فيه . !!

أو مثل أعمى غاظته الشمس وإكبار الناس لها ، وفي زعمه أنها قديمة ، ولا تصلح للحياة الجديدة ، لأنها لم تضيء لهأحاسيسه في الأشياء التي يمسها من قريب ، فأوقد شمعة وأخذ يصرخ وهو يلوح بها .

« أيها الناس ، إلى متى أنتم في عمى ، هيا اقبلوا وأفيدوا مما أوقدت لكم ، فهو أحدث نور في الوجود ، وهو وليد الساعة ، واهجروا ، الشمس فإن الدهر أكل عليها وشرب » . . !!

وهكذا انتقل ظلام عينيه إلى قلبه فأطفأ نور بصيرته . .

وأخيراً احترق بما أوقدتْ يداه ، وكشفته أشعة الشمس الحية المتجددة ، فحمة خامدة مطموسة المعالم ، وهذه نهاية الظالمين المعتدين المحتومة . .

.. والآن أباشر عرض الأسباب التي وفقني الله – عز وجـــل – إلى درسها وتدوينها ..

الأول :

تطور اللغة العربية الفصحى . هو تطور ذاتي طبيعي أصيل مرتبط بنواميس كيانها الصاعد النامي أبداً ، ومتصل بوحدة حياتها المصيرية في نطاق تقدمهـا الصناعي العلمي المتصل بأصولها الالزامية ، وقواعدهـا الأساسية الخالدة ، أي هو تطور حيوي ذاتي صاعـــد في نطاق النواميس لا يختلف ، ولا ينهزم على مدى الأجيال .

وليس تطوراً مفلتاً ينتاب اللغة الفصحى بالخلل المميت ، والأدواء التي تأتي عليها من جذورها ، وتمزقها أشلاء ، شأن اللغات القديمة الأخرى ، أمثالها ذات التطورات المفلتة المتروكة لتقلبات ظروف العامة ، وتفاخرهم بالتواء ألسنتهم بالكلمات وتعسفهم بها التعسف الأجش .. الخطر ..

الثاني :

تمرين ألسنة الناشئة في كل اقليم ، من أقاليم المجتمع العربي على إخراج أصوات الحروف الفصيحة من مواطنها الأصلية بواسطـة التعليم والتربية الفنية الحديثة حسب المناهج المفروضة من قبل وزارة المعارف في كل دولة عربية .

ولا توجد في المجتمع العربي مدرسة واحدة تدرّب طلابها على مخارج أصوات الحروف العامية أياً تكن ..

وليس في استطاعة الذين يتنادَون بتفضيل مخارج أصوات الحروف بالكلمات العامية المنحرفة ، عن منهاج أصوات اللغة الفصحى أن يفرضوا مخارج الأصوات العامية على المعاهـد العلمية الوطنية والأجنبية التي تثقف ناشئة العرب سواء في مجتمعهم أو خارجه ، لأن فرضها لا يكون إلا باجمـــاع الشعوب العربية

وحكوماتها .. وما يؤذي أسماعنا من ذلــك سوى لغوٍ ملغى ، لا يتجاوز أقلام ذويه الخمس أو دون ذلك ..!!

الثالث :

اشتمال اللغــة الفصحى على المثل الأعلى الذي هو روح حيٌّ أبدي بطبعه ، وليس صنعُ المثل الأعلى في طاقة البشر ، بل هو من صنع الله الذي أتقن كل شيء صنعاً ..

وتحققه في شيء هو تحقّق الابدية في ذلك الشيء ..

واللغــة العربية تشرّفت اشتمالها على أبدية المثل الأعلى ، ولا ريب أن الذي أكسبها ذلك هو اشتمالها على وحي الله المعجز ـ القرآن المجيد ـ الذي نفخ فيهـا الروح الخالد .. وفي ذلك يقول الله عز وجل :

(وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحاً مِنْ أَمْرِنَا) ٤٢ ـــ ٥٣ .

إلى جانب أبدية تحدّي الاعجاز ..

(قُلْ لَئِنِ ٱجْتَمَعَتِ ٱلْإِنْسُ وَٱلْجِنُّ عَلَىٰ أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِ هَذَا ٱلْقُرْآنِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ ، وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرا) ١٧ ـ ٨٩ .

ومن أبدية تحدي الاعجاز للمتكلمين باللغة العربية الفصحى جاءت الضمانة السماوية بحفظه الدائم في قوله تعالى :

(إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ ، وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُون) ١٥ ـ ٩ .

الرابع :

كلُّ جماهير الأقاليم العربية يفهمون ألفاظ اللغــة الفصيحة المستعملة في التثقيف العلمي القريب ، وفي الآداب السائدة، وفي الصحافة والإعلان والتلفزة والإذاعــة ...

ولولا أنهم يفهمونها لما تقيدت بها كل وسائل الاعلان الأجنبية في صحافتها ، ونشر ثقافتها ، وفي استشراقها ، ونشراتها الطبية ، وقدّمتها على كل اللهجات العامية المنتشرة في كل أقاليم المجتمع العربي .

حتى انها لو أرادت أن تعلن أمراً من الأمور لاقليم بعينه ، لما تجاوزت اللغة الفصحى إلى عاميته ، لأنها تعلم أنه يوجد للعامية الواحدة ، في الاقليم العربي الواحد، عدة لهجات فإعلانها بإحداها دون سواها فواتٌ للغاية المرجوة من تبليغ أهله كافة .

الخامس :

معظم الجامعات الكبرى الأجنبية في العالم ، تشتمل على فروع للتخصص العالي في العربية وفلسفة حضارتها وشريعتها وآدابها وتاريخها .

وتدرس ذلك باللغة الفصحى إلى جانب لغة الجامعة الأصلية التي تقدم بها أطروحة نيل إجازتها العليا : الدكتوراه ..

فعامية أي اقليم عربي يريد هذا النفر النافر أن يفرضها على فروع هاتيك الجامعات لإحلالها محلّ اللغة العربية الفصحى ..

.. أعاميّة اليمن بقسميه ؟!! أم عاميّة السعودية .. أو المغرب العربي بأقسامه الثلاثة ، أو السودان ، أو مصر أو العراق أو سوريا ولبنان ..

ناهيك وطلابنا في هاتيك الجامعات ، لا ينتمون إلى إقليم واحد من أقاليم المجتمع العربي ، بالاضافة إلى سواهم ، حتى تتخذ لهم لهجة اقليم واحد .. حتى لو فرضنا المستحيل وكان كل الطلاب من إقليم واحد ، فإن العُسر يظل قائماً في اختيار إحدى لهجات ذلك الاقليم .

السادس :

اللغة العربية منذ نزول الوحي الإلهي بلسانها ، قد نهض بها تطور علمي

صناعي مطرد على مدى الأجيال ، يقوم به فحولُ علمائها المتخصصين ، واعلام أئمتها المجددين بالإضافة إلى التطور الطبيعي الذاتي الأصيل الذي لا ينفك عنها أبداً ..

وهذان التطوران هما للغتنا كجناحي الطائر ، إذا سَلِما من الآفات فإنها تسلمُ من التخلف ، وتسمو بها إلى أوج منارات الخلود ..

ولو لم تصبْ لغتنا العربية الفصحى في تطورها الصناعي العلمي المرتبط بعلومها بالعقم وجمود التخلف ، وشلل الاتكال على موائد الآخرين ، والاعراض عن مناهج التجدد والابتكار ، لما تفوقت عليها أية لغة راقية في عالم الحضارة الحديثة — وإن بلغ أهلها بسلطان العلم سطح القمر ، وتحدثوا بها منه إلى الناس جميعاً ..

السابع :

التطور العامي المفلت يظل مرصوداً منعزلاً في زاويته ، ولن يختلط باللغة الفصحى في ميدان من ميادينها ، حتى يستطيع أن يقضي عليها .

وما أكثر ميادينها وهي : التعليم ، الصحافة نشرات الأنباء الإعلام دواوين الدولة ، الترجمة من اللغات الأجنبية الأدب الراقي نظماً ونثراً ، التخصص الجامعي العربي القومي والأجنبي ، المؤتمرات الخاصة والعامة .. التأليف ، السَّمر الأدبي ، القَصَص ..

ولم تقبل أية دولة من الدول العربية أن تجعل لغتها العامية ولا سواها رسمية في شيء من ذلك .. بدلاً من اللغة الفصحى .

وكل فرد من أي إقليم عربي ينحرف عن منهاج دولته وشعبه أدنى انحراف ، يهجر هو وأدبه وعلمه ومؤلفاته ، من قبل دولته وشعبه ، والدول العربية الأخرى وشعوبها ..

ولم لا يهجر وهو أكبر عامــل هدّام لبناء أواصرها الاجتماعية ووحدتها اللغوية ، وقاض على قِوامها الاقتصادي العام بين شعب إقليمه وشعوب الأقاليم العربية الأخرى ..

الثامن :

اللغة العامية في صعود مستمر إلى قمــة الفصحى ، وليس بينهما من تنافر في أي إقليم من أقاليم أمتنا العربية ..

وسبب ذلك أن نابتة أمتنا الناشئين يتلقون ثقافتهم بمنهــاج لغتهم الفصحى المفروض عليهم من قبل دولتهم ، وهم يمارسون لغتهم العاميـــة تلقينا ، بحكم الاستمرار البيئي غــير المثقف . ولكن ممارستهم لها في أحاديثهم وفي أدبهم العامي فيه سمو وترفع عن السقوط في أخطاء الأميين الفاحشة .

وبالجملة فالأدب العامي المثقف اليوم يكاد يكون في ألفاظه وتراكيبه وأسلوبه وسموه صنو الفصحى ما خلا الحركات الاعرابية واقحام بعض الألفاظ الدخيلة ..

لأن رجاله بحكم ثقافتهم وان كانت وسطى يرفضون أن يكون أدبهم قاصراً على أهل اقليم واحد أو فريق واحد ..

على أننا نجد الأدب الأمي العامي نفسه يجهد ليكون قريباً من الفصحى حتى يكون قريباً من فهم الجماهير العربية في كل إقليم ..

وهذا بشير بقرب التقاء العامية بالفصحى في مجال واحد .. ويومذاك يتكلم العامي بعاميته الموحدة ، كما يتكلم المثقف بلغته الفصحى دون أن يجـد عسراً في التفاهم ، أو بعداً يغلق ما بينهما الأبواب ..!!

التاسع :

وَفْرةُ إمكانيات اللغة العربية وطواعيتها في تجدد الكلمات على ألسنة أهلها.
ألا تشاهد تفجر الكلمات الجديدة من محيط اللغـــة العربية ، وقواميسها ،

بأيسر قاعدة من قواعد نموها وتجددها كالاشتقاق والنحت والتعريب والاشتراك في الأوزان المتعارفة ، ووضع المصادر الجديدة المبتكرة .

يدلك على ذلك قدرة قدامى العرب في وضع الألفاظ الجديدة التي يضطرون إلى وضعها بحكم تطور مطالب الحياة وتجددها يضعونها على صيغ صحيحة من المصادر المتناقلة بين أيديهم ، أو من مصادرهم يبتكرون وضعها على حسب الأوزان المعروفة لهم ، ووفق مشتقاتها .

أنظر كيف اشتقوا من مصدر « الجنون » لفعل جنّ وأجَنّ بمعنى الاخفاء والاظلام « الجن » لأنهم في خفاء عن أعين الناس ، و « المجن » أي الدرع لأنها تخفي صدر المتدرع به و «الجنين» للولد في بطن أمه لأنه مخفى أيضاً و «الجنة» البستان لأنها تخفي وجه الأرض وتغطيه بمزروعاتها و « الجنان » القلب لخفائه في الصدر ، و « المجنون » لخفاء عقله عنه « والمنجنون أو المنجنين » لمخضة الماء التي يستقي بها وهذه أدنى مناسبة لأن الماء الذي يخرج بها يغطي وجه الأرض عن حوضه أو في مجراه .. وتستطيع أن تلمس من هذه السهولة عن وضع الكلمات لأدنى المناسبات . السبب الذي من أجله كثرت المرادفات في اللغة العربية للشيء الواحد ، أو لتمييز بعض الصفات عن بعض . أنظر ما وضعه العرب من أسماء الأسد أو السيف أو الإبل وإلى الصفات الخاصة بكل اسم من الأسماء تدرك هذه الحقيقة .

وهل تظن المثقفين من العرب المحدثين يعجزون مباراة الأقدمين الأميين في وضع الكلمات المناسبة لما يجد بين أيديهم من مقتضيات الحضارة الحديثة التي تتكاثر يوماً فيوماً تبعاً للتقدم العلمي الصاعد ، وهم أهل علم وقدرة وفن وتجديد ووعي وذكاء وحرية وخبرة ونشاط ..

ومهما يكن فستظل امكانيات تجدد الألفاظ العربية الفصيحة لديهم كدفق الينبوع السّرمدي .

العاشر :

سهولة النطق بالألفاظ العربية الفصيحة وعذوبتها وصفاؤها وسحر جريانها على الألسنة ، إذا هي قيست ، بالألفاظ العامية المحرّفة ، أو الدخيلة الضخمة.

خذ مثلاً : لفظة ماء الفصيحة وقارن بينها ، وبين تحريفات العامة التي انتابتها الأدواء في مختلف أقاليم الأمة العربية ، فإنك تألم لهول التحريف والتوائه على الألسنة » . فهناك فريق من العامة ينطقون : « مويه » وآخرون « ميه » وآخرون « ما » وآخرون وآخرون ..

وخذ أيضاً لفظة « شطيرة » العربية الأصيلة ، وامرر لسانك عليها . وعلى جمعها « شطائر » فإنك تحس سهولتها وخفتها بالنسبة للفظة « سندويش » مدلولها الدخيل الأجش ..

ولا غرابة إذا رأينا من يؤثر الألفاظ الأعجمية المنحرفة ، على الألفاظ العربية الفصيحة ، لأن شيوع اللفظة يسهّل استساغة الانحراف ، ويجعل الداء عين الدواء .

على أن التثقيف اللغوي الحديث آخذ نشاطه الناشط في كل دولة عربية وبالحري في مجال الإعلام العام والخاص . وفي الوظائف الرسمية للدولة ، وذلك بفضل رؤساء الحكومات العربية ، وسهرهم على حفظ مصير الأمة العربية ولغتها ، والابقاء عليها من الزوال والفناء ، حفظاً لكتاب الله من الضياع ، وللاسلام من الانفراط ..

الحادي عشر :

السهولة الجذابة الممتعة في لغتنا الفصيحة الحديثة التي تنسكب أساليبها المتجددة الدفاقة على ألسنة المنشئين والمتحدثين سحراً ساحراً ، وفتنة فاتنة .. تخلب الألباب وتطير بالأفئدة متعة ولذة ..

سواء أكان المنشئون والمتحدثون من أدبائنا الفنانين العباقرة ، أو من علمائنا الأعلام الراسخين .

فالأدباء جددوا وابتكروا وتفننوا حتى جـاءوا بألوان من البيان كباقات الزهر له جاذبية المغناطيس ، واشراق الفجر ، وشدو البلابل ..

والعلماء نزعوا بأساليبهم العلميـة إلى الوضوح الناطق في الصور المتحركة ، حتى يكاد السامع أو القارىء يتخيـل ان ما يلقى اليه هو بعض ما يحسه ويعيه من قبل .

الثاني عشر :

انك تجـد مثقفي عصرنا ، ومن ينزعون منازعهم من العامـة المهذبـين والممثلين : المتفوقـين يؤثرون التراكيب العربية الفصيحة ، في أحاديثهم العادية ، وسمرهم ، ومحاوراتهم وفي القصص التمثيلي ، إذ يلذ لهم رنة وقعهـا الموسيقى على اسماعهم ، وخفتها على ألسنتهم ، وسحرها البياني ، ولو لم يتقيدوا بقواعد الاعراب من كل وجه .

وهم يتجنبون جهدهم إغراب العامـة والتواء ألسنتهم ومعاظلة كلماتهم وتعمدهم في تضخيم الحروف .

وتجنب الشبان المثقفين هذا الاغراب والتضخيم والتواء الألسنة في الكلمات، أمر قائم على قدم وساق في كل اقليم عربي ..

واني كلما أصغيت إلى هؤلاء الشبان المثقفين في أحاديثهم في الاذاعـة أو التلفزيون ، أو إلى كلماتهـم في الندوات والصحافة ، أبارك لهم هذا النشاط العجيب ، وأفخرُ به وأعتز ..

الثالث عشر :

ضخامة التكاليف والمشاق التي لا بد أن تتحملها الجامعة العربية ، ودولهـا

كافة ، إذا فرضنا المستحيل وقرروا إحلال إحدى اللغات العامية محل اللغة الفصحى : لتصبح صالحة للتدريس والتأليف العلمي والفنون الأدبيه والصحافة والاذاعة والمحاضرات وكل وسائل الاعلام .

أجل ، هي مشاق ضخمة وتكاليف باهظة هائلة تفوق المشاق والتكاليف التي يمكن أن يتحملها المصلحون للنهوض باللغة العربية الفصيحة لتصبح لغة عالمية علمية فنية حديثة ، يتوافد المثقفون في كل أمة على مناهل معارفها وآدابها وفنونها ..

والآن نصارح النفر الذين ينفقون الأموال الطائلة ، والجهود المتتابعة محاولين القضاء على لغتنا العربية الفصيحة الجامعة ، نصارحهم أنهم محلّ الرثاء الساخر ، والتندر الباكي .. لأن كل محاولاتهم تبوء بالفشل المبرم ، لأنها لن تتجاوز ألسنتهم وأسماعهم . ومدادها يجف على أثلاث أقلامهم .

الرابع عشر :

نشاط أهلها واهتمامهم بها ، ومودتهم لها وجدهم للنهوض بها ، وبذلهم في سبيل ذلك الكثير الكثير ..

وكم قرأنا ونقرأ للمهاجرين الأبطال الذين يغادرون المجتمع العربي إلى سواه من المجتمعات . فإنهم لا ينفكون يوالون لغتهم الفصحى كل الولاء : يثقفون بها أطفالهم ، ويدوّنون بها آدابهم ومعارفهم ويخلدونها .

وأبرز هؤلاء المهاجرين ، المهاجرون من لبنان وسوريا إلى أميركا وافريقيا ، والمهاجرون من حضرموت إلى الهند واندونوسيا والباكستان ..

وانك تجد لهؤلاء وأولئك علماء : لهم مدارسهم وصحفهم ومؤلفاتهم وآدابهم العالية ومناهج ثقافتهم الخاصة .

وهذا يدل أن اللغة العربية الفصحى القريبة السهلة الموصولة بالقلوب

والاسماع،هي لغة التفاهم بين أبناء الأقاليم العربية، إذا اجتمعوا في دار هجرة، أو مؤتمر، أو ناد، وما إلى ذلك ..

هـــذا واضح في محاضراتهم وآدابهم ومؤلفاتهم ومراسلاتهم وصحفهم ومجلاتهم وأمثالها ..

الخامس عشر :

لن يكون طغيان اللغات العامية في مجتمعنا العربي على لغته الفصحى الخالدة، لتحل محلها، وإن عمل دعاتها بكل جهودهم أن يظهروا دعوتهم أنهـــا ذات قيمة، وأن لها أنصاراً عداهم ..

وهيهات هيهات أن تطغى أية لغة عامية في مجتمعنا العربي، على لغتـــه الفصحى، إلا إذا فرضنا المستحيل، ومُسخ أبناؤه قردة وخنازير، لا يميزون بين الخير، والشر، وبين وحـــدة اللغة الفصحى وروابطها الثقافية ومنافعها الاقتصادية المتشابكة .. المتغلغلة في كل ألوان حياتهم الاجتماعية، وبين العامية التي تشتمـــل على تمزيق لغتهم، وبالتالي على تمزيق مجتمعهم، وإقامـــة السدود والحواجز بين أقاليمه .

وما دام المســخ مستحيلاً فستظل وحـــدة اللغة الفصحى، هي الروح الجامعة، في هذا المجتمع العربي، ضد كل مؤامرة تمزيق تستهدفه من أية جهة حاقدة دست ..

ولن يقبل أهل العلم والأدب والسياسة والاقتصـــاد والفنون الجميلة – الذين تملأ آثارهم آفاق هذا المجتمع العربي أمجاداً وسحراً وبهجة وخلوداً – أن ينطووا على اقليمهم،ويتجاهلوا إخوتهم أبناء الأقاليم الأخرى، الذين تربطهم بهم وحدة المصير والمصلحة واللغة والتاريخ والثقافة ..

.. لا لا لن يكون هذا . ومحال أن يكون ..

بل هم سيظلون عرباً مخلصين لوحدة لغتهم الجامعة ، ومدركين ما توفره لهم من إمكانيات ناهضة لهم ولأمتهم ، وما تقدمه من منافع كذلك لكل إقليم لهم بالذات .

وأيهما أنفع لنفسه وأمته وأكبر اسماً وأسمى إنسانية وحكمة وأخلد أدباً وعلماً وفناً وأوسع افادة : المؤلف أو الكاتب أو الصحافي الذي يكتب ويؤلف بلغة يفهمها عنه مئة مليون وما وراءهم ممن يتابعون النهضة العربية الحديثة ، وما يصدر عنها من مؤلفات أم الذي يكتب لأهل اقليمه بلهجة من لهجاته العامية ، ولو كانوا أهل الإقليم المصري الذين يقارب عددهم على الأربعين مليوناً ولا حاجة إلى الجواب لأنه صريح في منطق العلم والأدب والفن ، وما يقدمه من الخير لأهل العلم والأدب والفن ، له ثقلة في موازين الخلود ، وله نفعه غير المحدود لأمتهم العربية أفراداً وجماعات في كل أقاليمها ..

السادس عشر :

طواعيّة لغتنا العربية الفصحى وسيلانها ووفرة امكانيات تجدد كلماتها لأدنى المناسبات ، في كل عصر ومصر .. والسبب سهولة مصادر الاشتقاق والتعريب والنحت والترادف والاشتراك اللفظي والمعنوي .

وإذا كان أهل الجاهلية الأميون قد استطاعوا أن يصعدوا إلى أعلا قمم الترادف اللغوي ، حتى أفضى بهم الأمر في وضع الكلمات أن يضعوا للمعنى الواحد جملة من الالفاظ ..

أنظر إلى أسماء الجمل وأعضائه ، وأسماء السيف وأجزائه والماء ومجاريه ، والصحارى وأنواعها .. فهل يعقل أن يقصر عن شأوهم أهل الحضارة المثقفون القادرون ، وبين أيديهم المخترعات تكثر يوماً فيوماً : كأنواع الطائرات والصواريخ والمحطات الفضائية والمراقب الفلكية ومختلف الموازين مما يفوق

الحصر ، وما سيُكشفُ يتخطى ما يفوق الحصر : نعـــم عجز مثقفوا عصرنا عن وضع أعلام عربية فصيحة لكل ما جـد من المخترعات .. ولكن تبعـة العجز كما ذكرت مراراً ،

لا تعود ولن تعود إلى تحجر في قواعد اللغة ، أو ضيق في أصولهـــا ، أو التواء في طرقها ، أو ضباب في آفاقها ، أو ضآلة في مادتها ...

– ما دامت لا تزال تلك القواعد والاصول والمادة هي هي . كما كانت في الجاهلية – والعرب يومذاك أوهن خلق الله شأناً ، وأقلُّ خلق الله علماً ..

وإنما تعودُ على نفسيات معظم المثقفين العصريين الذين يستعملون اللغـــة العربية الفصحى في كتاباتهم الخاصة أو العامــة . إذ تشتمل على القلق والخوف والإهمال وعدم الحماسة لهـــا ، وعدم المبالاة بها ، وعلى الضعف والتخلف والخنوع والنفعية ..

ولو كانوا أولي قوة وحماسة وتضحية من أجل لغتهم كما يفعـل الغربيون من أجل لغاتهم لاستعملوا الألفاظ التي تضعُها المجامع اللغوية ، أو علماءُ اللغـــة ، ولم يفرطوا في كلمة واحدة منها . وإذا لم يجدوا كلمات موجودة لِمَا يريدون الكتابة عنه ، فليضعوا هم الكلمات التي يحتاجونها وليستعملوها بحزم ، وهـذا الاستعمال هو الأساس في القضاء على سيل الألفاظ الأجنبية التي تكاد تقضي على عروبة اللغة ، وأساليبها الفصيحة الصحيحة في عُقر دارها لأن عدم الاستعمال هو جريمة قتل : لا قتل فرد بل قتل أمة بأسرها ..

نعم رجال السلطة التنفيذية ،قادرون أن يفرضوا على رجال الثقافة والتعليم والصحافة والأدب والموظفين استعمال الألفـاظ العربية الصحيحة . إذا كانت موضوعة ، ولكن هم لا يستطيعون أن يضعوا الكلمات المطلوبة .

وهكذا تتبـــين أن التبعة تنصب على علماء اللغة والأدب القادرين على

اشتقاق الكلمات ، من قبل أن تنصب على رجـال السلطة القادرين على فرض استعمال الكلمات الموضوعة من قبل رجال رسميين .

إذ مصيبة المصائب ، وداهية الدواهي ، هي أن تنفق الدول العربيـة النفقات الطائلة على المجامع اللغوية التي تكلف بوضع الكلمات ثم تهمـــل تلك الكلمات بعد وضعها ، إهمالاً بغيضاً .

ومصيرُنا الثقافي الأصيل متوقف عليها كلّ التوقف ، تُهمل بدون حـذر ولا مبالاة ولا شبه مبالاة ، كأن أمر لغتنا الفصحى الجامعة ، لا يهمهم بقاؤها أو زوالها . هذا كثير . هذا كثير .



دفاعاً عن حرية الفكر[٧]

جاء في رسالة لصديق لي : « ان هذا الشيخ – يقصد به الشيخ عبد الله القصيمي – يعلن أنه من بلادك ، وهو يدافع عن العرب والاسلام بهدمها فلا بد أن تنظر فيما يكتب ، وتعلن للجمهور واقع المعرفة ، فليس كل قارىء يستطيع أن يزيح السجف ويدرك المواربات البعيدة المتوارية خلفها ، ويكشف النوايا الخفية الهدامة .. »

والصديق يقصد مقاليه الحرية والفكر » « ودفاعاً عن العرب والاسلام » .

نظرت المقالين فألفيتها يلبسان أفكار الزعيم الصهيوني « انيشتين » ويعرضانها على أبناء المجتمع العربي بصورة جذابة مغرية فتانة .

. . .

سبق أن نادى مفكروا مصر أن هناك أيادي خفية تحاول أن تهدم الاسلام في مصر ، وفي غير مصر من الأقطار بما تغدق من أموال كثيرة لتمجيد مبادىء انيشتين وسارتس وماركس وسواهم من زعماء الصهاينة الذين سبق لهم أن هدموا من المسيحية ، ما هدموا باكبار مثل هذه المبادىء الهادية الهدامة وتلقيب أربابها المنسوبة إليهم بالخلاقين والعباقرة والمفكرين والأحرار ، وسوى ذلك من ألقاب التمجيد ، التي يقصد بها الضحك على عقول السذج من ناشئة المتأدبين في المجتمع العربي .

وقد تبين لي من المقال الأول الذي خال بعض النقدة .

ان الشيخ القصيمي يرتاب في استطاعـة العرب أن يكونوا هدامين جاحدين فأخذ يناقشه في صدقه والواقع أن الشيخ القصيمي لاينكر ذلك لأن الجهلة الأغمار في مقدورهم أن يكونوا جاحدين هدامين، وإنما هو لون خفي من الاغراء باسلوب الكيد والدهاء ، إلى طرح العروبة والاسلام ، أي طرح أنفسنا في هاوية الشباب فالموت الابدي ومهما يكن الامر ، فليس من قصدي هنا بالتعرض بالنقد للمقـال الاول ، بل للمقال الثاني الذي هو « دفاعاً عن العرب والاسلام » إذ الفيتـه يشتمل على نواح مختلفة ، وألفيت كل ناحية تهدف إلى تحقيق خطة هدامة باطلة ولكنها مدرجة في أثواب الحقائق العلمية الثابتة ، قصد التعمية والتلبيس وقديماً قيل : « كلمة حق أريد بها باطل » .

وفيما يلي أدلي بنصها إلى القراء في كلمات متتابعة ، لينعموا أنظارهم فيهـا ، وليتحققوا وضعها المقلوب ، وليلمسوا الايحاءات المنحطة التي يتوخاها الكاتب من وراء ما كتب .



دفاعاً عن الحرية والفكر

جاء في كلمة الأستاذ عبد الله القصيمي « دفاعاً عن العرب والاسلام » هذه العبارة :

التوافق والاختلاف

« ان الشعوب المتحضرة القوية هي أكثر الشعوب تفاوتاً واختلافاً ، وان البداة المتأخرين لأكثر توافقاً في الاعتقاد والتفكير والاحتياج .. »

لا ريب أن المطالع الناشىء حين يقرأ هذه العبارة يقذف في روعة أن التوافق في الاعتقاد والتفكير والاحتياج هو من خصائص البداة المتأخرين، ولكي لا يكون من البداة المتأخرين سيخالف، ولو كانت مخالفته ستناكر واقع المعرفة وتضرّ به وبأمته ، وهذا هو عين الفساد الاجتماعي المراد من العبارة .

وأياً كانت البواعث فإن هذه النظرية عرضها الكاتب بطريقة مقلوبة مريبة . ومنار الريبة هو قصره التوافق في التفكير والاحتياج والاعتقاد على البداة المتأخرين . ولا ريب أن هذا القصر يجعل ناشئة المتأدبين يعتقدون أن الاختلاف من خصائص المتحضرين المثقفين وهذا إيحاء مركز لتوجيه الشبان العرب إلى اصطناع الخلف ليكبروا في عين أنفسهم لكي لا يقال عنهم أنهم من الهمل الرعاع الذين يثقفون في التفكير والاحتياج والاعتقاد .

والحق أن هذه النظرية ذات وجهين صحيحين ومناط الباطل في عبارة الكاتب هو اخفاء أحد وجهيها .. وبيان ذلك أن بدء شوط الحضارة وما يليه من قريب وان بدء شوط البدوة وما يليه من قريب . جهتا اتفاق معاً ..

ومن هنا ندرك أنه ليس بصحيح إعلان أن البداوة محل توافق وأن الحضارة محل تخالف ونظرة واحدة في تاريخ أحوال الانسان الفطري في مختلف البيئات توقفنا على مدا الاختلاف الشاسع في التفكير والاعتقاد والاحتياج لدى البداءة المتأخرين وأكبر شاهد بالامس اختلاف بدو الجاهلية في كل ذلك وأكبر شاهد اليوم اختلاف زنوج افريقيا في كل ذلك أيضاً كما أن نظرة واحدة في تاريخ البيئات المتحضرة المثقفة توقفنا على أوجه التوافق في التفكير والاعتقاد والاحتياج. بل وفي السياسة والاقتصاد والاجتماع. نعم اختلاف البداءة يأتي في الصميم الصميم. واختلاف المتحضرين أكثر ما يكون رياضياً في التفسير والفهم ووسائل التطبيق، ولو لم يكن كذلك لما استطاع المتحضرون المثقفون أن يحققوا لمجتمعاتهم وحداتها الكبرى ذات الأمجاد.

والمجتمعات تهدف في جهادها الحضاري وتطوراتها السريعة وثباتها الكبرى الوصول إلى المثل العليا التي هي ضمان أكيد لتحقيق السعادة الاجتماعية العامة بالمقدار الذي يدخل في إمكان الانسان والمثل العليا وجودها محقق في مجتمعنا العربي وقد أنزلها الله على خاتم رسله سيدنا محمد ﷺ وهي معروضة للناس جميعاً ولا ريب أن الدعوة إلى منابذتها والخلف فيها انتكاس ما بعده انتكاس، وتزيينه للشبان جريمة ما بعدها جريمة ولله در أبي الطيب المتنبي حيث يقول :

وكم من عائب قولاً صحيحاً وآفته من الفهم السقيم

والذي يثلج قلوبنا في هذا المجتمع العربي أن كتابه الأحرار المفكرين هم بالمرصاد لكل هدام لواقع المعرفة سواء عن قصد أو عن غير قصد، وأنهم سائرون بشعوبه إلى توافق في الاعتقاد والتفكير والاحتياج .. مبني على روح المثل الانسانية العليا التي أوحاها الله رحمة للناس أجمعين.

وعلى كل الأمر فيجب الحذر من هؤلاء الكتاب المدسوسين عن الأمة العربية

وليسوا منها ومثلهم كمثل عبد الله بن سبا ، وجودهم للاضرار والتمزيق وإشاعة الفوضى والالحـــاد وهم خطر ولا كمثله الأخطار غرضهم تدمير الأمة العربية وإقلاعها عن مصدرها الاسلام ، وكان يزورني وأنا مدير الكلية الشرعيـــة في بيروت . فلما عرفت حقيقته مما يكتب عرفت ما يحمل لهذه الأمة من الدواهي والويلات فالحذر الحذر من وحي أمثاله. فلعلّهم يكونون بيننا في السعودية ولا ندري ، ولكن فطنة العرب ، ويقظة المسلمين ، تجعلان ، ما يبثونه من سموم ، هباءً تذروه الرياح .



المفكّرون الأحرار

الفكر العربي تقدمي متطور، وما انطلق باعلامه الخضاقة، وجيوشه الجرارة وقواه الموحدة ومعارفه وفنونه وحرفه الا بمثل وحي الله العليا . انطلق فهدم جاهلية ضيقة مُستضعفة ممزقة مستعبدة وأقام مكانها اسلامية عالمية سامية قوية موحدة عالمة حرة .

وما ضعف الفكر العربي الحر ، ولا استكان وتخلف عن ركب حضارته المثالية السامية إلا يوم هوى عن قمته الاسلامية الرفيعة .

هذه حقيقة يعرضها المطالعون في نهضة العرب الاسلامية الكبرى التي شملت العالم بمثلها العليا، وغمرته بأضوائها . ولكن هذا الكاتب يتعمد في كل مايكتب أن يخفيها عن ناشئة العرب ، ويتعمد أن يجعل الداء عين الدواء. أي يجعل السبب الذي أسقط الفكر العربي عن قمته هو الذي رفعه إليها . وهـذا افتئات على الواقع التاريخي . فإذا تخوف أن يفطن الشباب العرب إلى الموارسة سجاها بافتئات أكبر هو أن الفكر العربي ما كان في يوم من الأيام في القمة ، لا لشيء إلا لأن العرب لم يوجد بينهم المفكرون العمالقة المردة الذين تسميهم المجتمعات الزنادقة الذين في استطاعتهم أن يهدموا مثل الاسلام العليا ، ويقيمون مكانها طوراً جديداً من أطوار التاريخ مخفياً وضع تكلم المجتمعات التي ضرب بها المثل بأن قديمها التي حاربته هو كقديم جاهلية العرب . وأن الجديد الذي شيدته ، هو في كل حرياته

ومعارفه ومثالياته وابتكاراته وقواه . صبابة مما يزخر به . وحي الله عزوجل من كل ذلك .

وإلى القراء المفكرين الأحرار العبارة المدخولة المنطوية تحتها ما أشرت إليه.

« لم يقفز التطور الفكري العربي في مداه كله إلى القمة التي ينطلق منهـــا المفكرون الاحرار المـــردة الهدامون الذين يهدمون القديم ليقيموا مكانه طوراً جديداً من أطوار التاريخ ..

في كل الأمم وجد أولئك العمالقة الذين تسميهم المجتمعات بالزنادقـة إلا في الأمة العربية .. »

الا نلحظ إذا الكاتب في هذه العبارة يحاول بكل ما أوتي من دس أن يلقى في روعنـا أن العلماء والمفكرين والفلاسفة والباحثين ، وكبار المخترعين ، إذا لم يلحدوا ويتزندقوا فإنهم لن يكونوا من المفكرين الاحرار العباقـرة الخلاقين — مهما كشفوا من حقائق وأوجدوا من معارف !!!

ويزعم أنه لم يوجد في التاريخ العربي في مداه كله مفكر عربي حر لأنــه لم يوجد فيه الملحد الزنديق الهدام. يكفي أن يلحدوا ويهدموا مثل الاسلام العليا. ويحقروا من شأن الثقافة العربية ويمزقوا دنيا العرب ليكونوا أحراراً مفكرين ، وعباقرة خلاقين ، وعلماء منطلقين ولا نجد مثلاً لهذا الأمر إلا قصة ذلك المجنون الذي سيق إلى طبيب الأمراض العقليه . فلما فحصه وتبين جنونه أمر بحجزه بين جماعة المجانين ، ولكنه أخذ يتوسل إلى طبيب الامراض العقلية ضارعاً ملحاً ، أن يأمره بحجزه بين جماعة العقلاء . حتى أضجره فقال له الطبيب — « أي فائدة لك من ذلك . فقال « يا مجنون حتى يعرفوني اني مجنون . »

أو قصة ذلك الملحد المهووس الذي حكم عليه بالسجن المؤبد .. فاحتج قائلاً « أيها القاضي اتؤبدني في السجن وانا أكبر عالم فيلسوف حـــر مفكر منطلق مقدام !!

قال القاضي « وبهاذا كنت أكبر عالم فيلسوف حر مفكر منطلق مقدام؟؟!

قال : « أنكرت الخالق وعوالم الآخرة والرسل والأرواح والكتب المنزلية والملائكة والجن و ال ... ... فقاطعه القاضي قائلا « حسبك حسبك لقد اتسع علمك وفلسفتك وحريتك وفكرك وانطلاقك واقدامك حتى زاد اتساعها عن حاجـــة البشرية زيادة مخيفة . فلا بد من حجزك وتلافياً من وقوع كارثة الفيضان .

وكم في هذه الدنيا من مهاوبس ممرورين يستحقون الحجز عن الناس.

* * *

عقاب المرتدين

عقاب المرتدين
والحرية والفكر

هاتان قضيتان مفترقتان في الاسلام ، ولكن بعض الكاتبين يخلطون بينهما عن جهل وحسن نية ، وبعضهم عن علم وسوء نية . وكل مقصودهؤلاءأن يشوهوا جمال المثل الإسلامية العليا التي أوحاها الله ويهدموا من واقعها المشرف مايهدمون ليصرفوا عنها عقول الناشئة الغضة الصافية التي تدين بالاخلاص لله والعلم .

والشيخ القصيمي خلط بين القضيتين ، وخلط بين القضيتين عامداً سترى في عبارته الآتية جملة أخطاء : سترى انه اعتبر ان أجنة الحرية والتفكير محصورة في الآراء التي تهدف لهدم العروبة والاسلام ، وسترى انه قصر الحرية والتفكير والألقاب الضخمة من جماعة سماهم باعيانهم لأمر ما ... كبشار وابن المقفع وأبي العلاء . وسترى ان له أهدافاً معينة لهـــا رجالها وان لهـــا أهدافاً معينه هي: لنا الرازي والغزالي وابن خلدون وابن تيمية والجاحظ والائمة المجتهدون... وله من سمى من الرجال الذين اعتبرهم زنادقة وإن حشر بينهم عـامداً ابن رشد وسواه من الذين عاشوا ما عاشوا لخدمة الاسلام حشرهم قصد التعمية . !!

أجل سترى كل هذه الأخطاء وسوى هذه الأخطاء قد انطوت عليها عبارته هذه — : لقد وجد كثير من كتاب العرب والمسلمين أمثال ابن المقفع وبشاروأبي العلاء وابن رشد وغيرهم سبباً للمفاخرة والايمان بان تاريخنا كان يفتح أبوابه

ومشاعرة الفكرية لهؤلاء الذين تحركت رؤوسهم في عهد مظلم باجنة الحرية والفكر وذهب فريق كبير من هؤلاء الباحثين عن الأمجاد العربية في عملية اكتشاف واسعة للتنقيب عن المفكرين الاحرار الذين استطاعوا ان يعيشوا من غير مطاردة أو قتل حتى لقد ود كثير من هؤلاء أن يجدوا أعداداً لا تحصى من الزنادقة الكبار عاشوا في حقول العربي الاسلامي ليدللوا بذلك على ان الطبيعة العربية والاسلامية صديقة أصيلة للحرية والتفكير ......

ألا ندهش قائلين .. لم يكون وجود الزندقة والزنادقة أية صداقة لطبيعة العربية والإسلامية للحرية والتفكر ولا يكون وجود البحث العلمي الشامل في مختلف ألوان المعارف ، وشتى أنواع العوالم المادية والروحية المعروفة والمجهولة؟!!

ألا نفهم من هذا التخصيص بان الكاتب لا يقصد باجنة الحرية والتفكير التوسعات الفكرية الكبرى التي زخرت بها عوالم المعارف والصناعة والاختراع في العصر العباسي الذهبي بل يقصد تطرفات المرتدين الزائغة وارائهم الطائشة المرتدين الذين يستحقون ان يطاردوا ويقتلوا ولكنهم على حد قوله: (استطاعوا أن يعيشوا من غير مطاردة أو قتل) .

وهل يطارد أو يقتل في أي مجتمع مهما يكن وضيعاً منحطاً – بله المجتمع الاسلامي المقيد بمثل وحي الله العليا إلا المرتدون عن شرائعه ، المتآمرون على هدم حكومته العاملون على تنكيسه إلى فوضى الجاهلية ودهريتها ، وإلى سوء أحقادها وشتاتها وإلى تعمد زيفها عن سبل الاستقامة الاجتماعية والفردية .

وإذا كان العهد الذي طورد فيه الزنادقة العباسية هو العهد المظلم إذن فالجاهلية تكون هي عهد النور ، لأن الذين سماهم الزنادقة الهدامين ، والأحرار المفكرين كانوا يعيشون في العصر العباسي الذهبي .

على أن أولئك الأدباء الذين سماهم الزنادقة على زعمه – لم يكونوا جميعاً في الوضع الخلقي المنحل الذي يحاول اغراء تابه ، ولنتخذه لانفسنا لباساً ولأن الوضاعين

المندسين في ذلك المجتمع قصد هدمه دسوا على السنتهم كثيراً من الأفكار الهدامة الظاهرة السخافة التي يرفض المجانين نسبها اليهم .

وإذا كان أولئك الوضاعون تمكنوا أن يضعوا على لسان رسول الله ﷺ وإلى بيته ، وصحبه الآلاف من الأحاديث والأقاصيص التي فندها العلماء الاعلام فهل يعجزون عن الوضع على السنة من ذكرهم ومع ذلك لا نستطيع أن نتجاهل أن ما يؤرثه طيش الشباب أحياناً من تسرع في اعطاء الاحكام جذافاً ، ومن غفلة عن مكايد الشعوبيين ومن زهو بغرور الانتساب إلى الجمعيات الرجعية الهدامة الكافرة ، ومن حب للظهور وكسب المال ولو بسبب من جهنم – أوقع نفراً من الكتبة في الزندقة .

ومن الرغم من ذلك فان داء هذا الوضع الرجعي الفاسد – وإن كان عنفوان طيشهم يجعلهم يرونه سلامة وتقدماً وإصلاحاً – فسرعان ما ينحسم ، إذا اتفق لهم ان يتعمقوا درس ما أوحاه الله من القرآن المجيد من مثل عليا ، وما تشتمل عليه من معجزات علمية وجمال وإنسانية سامية وإصلاح وهدى .

ومثل هؤلاء في عصرنا كمثل علماء الافرنج الذين يؤمنون بقيم العلم، ويقدسونه ويشيدون بناءه في كل بيئة ، ولكنهم مع كل ذلك ، يجافون الاسلام والثقافة العربية من بعيد ويظلون على هذا الجفاء حتى إذا أتيحت لهم فرصـــة دراسة الاسلام والثقافة العربية من قرب على نطاق واسع دراســـة بعيدة عن العاطفة والتعصب اكتشفوا العجائب من وقائع المعرفة الاسلامية ومعجزات القرآن المجيد، مما يخلد أسماءهم باعتزاز وفخر .

ولا يحط من قدرهم ان يندس بينهم العلماء المستأجرون لتنفيذ خطط استعمار مبيته إذ لا يخلو .. الحال في كل بيئة من وجود علماء نفعيين ، لا يبالون بمسؤولية الانحراف عن واقع العلم ولا يرون عار فضيحته أمراً ذا بال .

وما أشبه القصيمي بهؤلاء ، فهو يصمت دهراً ، وينطق كفراً . اما نجده في

كل كلمة يفضي بها ، إلى الناس يتعمد أن يرسل حولها اسرافاً من الجهل المصنوع ليطمس أضواء مثل الوحي العليا ، ومطالع الثقافة الإسلامية. وهيهات هيهات!! « شمس الله لا تطمس بالاكف » !!

وهذا الوضع الشاذ المتعمد في كتابة القصيمي ، هو ما جعل فئة من الناقدين يرون انه موسوي في البيئة العربية وجعل آخرين ينادون انه باجـور ، وجعل سواهم يعلنون انه مغرور مفتون بحب الظهور . على ان تحقيق وصفه فيما يكتب هو من خصائص الدوائر العلمية الرسمية المسؤولة تجاه الدولة والأمة والتاريخ عن واقع حياة الاسلام ، والثقافة العربية وذلك يقتضي مراقبة واعية أمينة صادقة مستوعبة لمداخل الكاتب ومخارجه ومصادر كسبه ، وأهداف كتاباته ، ومـا تنتجه من ثمرات هدامة ، أم بناء بالنسبة لحياة الدولة والأمة والاسلام والثقافة العربية .

ومثل هذا التحقيق الواسع النطاق لا يمكن أن يقوم به فرد على وجهه الصحيح لأن الفرد مهما كان أميناً على الصدق ، بعيداً عن أثم الدس والتحامل والافك ، فانه يفقد الامكانيات التي بها تستقيم له الدراسة المستوعبة الأمينـة ، التي تنتج الحكم العادل الفصل ، وتبين ان الجور في الحكم مسؤولياته مرعية ، فكيف إذا كان مزوراً .

يكفي الفرد أن يكشف بواعث مراد الكاتب في المسطور بين يديه ، بمـا يملك من امكان علمي يبين ضمير أساليب الإيحاء بالخير والشر .

وهذا جهد أدبي فني مشكور حتى من الخصم نفسه ، إذا كان خاليـاً من الإصرار على الزيـغ عن واقع العلم .

والواقع ان الكاتب قد توكأ على مطاردة الخلفاء العباسين للزنادقة ، فوسم عهدهم بالمظلم ، وباعثه على الجور في الحكم هو خلطه بين قضيتي « الحرية والتفكير » وعقـاب المرتدين « لكن الخلفـاء العباسيين ـ كحكام كل دولة متحضرة ـ يفصلون بـين قضية المتآمرين على سلامـة الدولة المرتدين وقضية « الحريـة

والتفكير ، واية ذلك انك تجد الخليفة المأمون الذي كان أوسع الخلفاء العباسيين حرية وفكراً وأغزرهم علماً ، وأرحبهم صدراً « هو في الوقت نفسه اعنفهم مؤاخذة ، وأشدهم بطشاً بالزنادقة المرتدين.

والزنادقة المرتدون منهم من يحاربون دولة الإسلام بالحديد والنار في وضح النهار ، ومنهم من يحاربونها بدس أفكـــار الزيغ والزندقة في حلكة الليل . ليركزوا في أنفس الشباب مقت الاسلام والعروبة . أي مقت أنفسهم ، من حيث لا يعلمون ، وهذ أخطر من الحديد والنار بمراحل .

أجل ان أولئك الخلفاء ، العلماء الأبرار لم يختلط عليهم الأمر بين القضيتين اختلاطه على الكاتب ، حتى تجرأ فوصم عهدهم بـــالمظلم ، وهو أشرق عهود الانسانية الذي ترعرعت فيه سرحة الحضارة الاسلامية المكينة ، السرحة التي انبثقت من فروعها هذه الحضارة الحديثة ، ما خلا عبادة المادة .

وفيما يلي نبسط الفارق بين القضيتين في الإسلام ، تطهيراً لما قد يكون علق ببعض العقول الصغيرة غير المتعمقة دراسة المثل الاسلامية العليا المشتملة على نويات التطور الحضاري المثالي ، وعلى كل امكانياته الخيرة العملية إلى قيام الساعة .



الحريّة والتفكير (٧١)

كلنا نعلم أن الحرية هي – « إفساح المجال الأمني المطمئن للمفكرين، لكي ينظروا باحثين عن واقع المعرفة في الأشياء التي يأخذون في درسها .

وان التفكير هو عين البحث في الأشياء .

تعمدت تقديم تعريف الحرية والتفكير إلى القراء ليعلموا أن ما قاله القصيمي في صدر مقاله أدنى بكثير مما للحرية والتفكير من اثار جليله في التطور الحضاري .

والحريـــة والتفكير لن يكونا جناحـــين يحلقان بنا لكشف واقـــع المعرفة في الأشياء ، إلا إذا استعملا في معناهما العلمي ، وإن لم يستعملا كذلـــك كانا رجعية منكرة، وانتكاساً مريراً،ومعولاً هداماً لواقع المعرفة وأداة للافساد والشر طيعه .

وكم من غرابة أن الكاتب بجد الحرية والتفكير نظرياً ، قد حط من وزنها عملياً لأنه اتخذهما معول هدم لواقع المعرفة فيما كتب .

قف معي طويلاً في العبارة الآتية من كلمة الكاتب « دفاعـــاً عن العرب والاسلام » وانعم نظرك في خفاياها .

« إذا كتب كاتب مبدياً آراء في الدين أو الثقافة العربية – وكانت هـــذه الآراء تخالف ما أطعمناه في الصغر – نهب غاضبين ونصر على اتهام ذلك الكاتب بالكفر وبالتآمر وبعداء العروبة، وننهض حاملين للمعاول كي نحطم ذلك الرأس الذي أضله الشيطان .

نحن الآن في النصف الثاني من القرن العشرين ، حيث يضع الناس الخطط لغزو الكواكب ولخلق الأقمار الصناعية بعد أن تخطى مرحلة جواز الحرية والتفكير ، بما يساوي الوقت اللازم ، للانطلاق من الايمان بمبدأ الحرية إلى القدرة على خلق الاقمار .

فإذا كنا في هذا العصر ـ عصر السفر بين النجوم ـ ننتقض فرقاً وغضباً ، كلما سمعنا نقداً لا يخضع لما ألفناه من صور العقائد والآراء والمسلمات ، وتنفجر فينا الحمية العربية . والحمية الاسلامية عاجتين بالسخط والتنادي والاتهام ..فأي وقت إذن قبل هذا كانت الحرية والتفكير فيه عملين مباحين .. »

كبير في الإثم نسبة غضب الكابتين الذين تصدوا لنقد الكاتب أنه كان من أجل أنه أبدى آراء في الدين والثقافة العربية تخالف ما أطعموه في الصغر . أين هي الآراء الجديدة التي أبداها الكاتب في الدين والثقافة العربية ، وكانت عين العلم ومع ذلك نقدها الكاتبون بغضب باعثه أنها تخالف ما أطعموه في الصغر هذا لن يكون من كتاب يؤمنون بأن الأخذ بالظنون وهجر حقائق العلم ، كفر صراح في آيات القرآن المجيد « وما لهم به من علم ، أن يتبعون إلا الظن ، وأن الظن لا يغني من الحق شيئاً » .

وهدى الاسلام يفرض الايمان بالحق ويحرم العدول عنه ، من جراء ظنون طائرة ومزاعم باطلة ومصالح خاصة ، وهوى في الانفس ، وما يعدل عن الحق بعد تبينه إلا القوم الكافرون « إن يتبعون إلا الظن ، وما تهوي الأنفس ولقد جاءهم من ربهم الهدى » .

وفي هذا الأمر يقول رسول الله ﷺ ـ « من خاصم في باطن وهو يعلم لم يزل في سخط الله حتى ينزغ » .

إذن فالاتهام والغضب وحمل المعاول مـــا كان من الكاتبين المفكرين إلا انتصاراً للحرية والفكر ، لأنهم لمسوا وراء ما قرأوا العبث والترصد والبغي على واقع المعرفة باسمهما .

أجل لقد أوهم الكاتب ناشئة المتأدبين أنه كتب دفاعه المقلوب عن العرب والاسلام من أجل كشف الحقيقة التي هي ثمرة الحرية والفكر . كما أوهمهم أن المتقدمين له جامدون مقلدون ، وأن آرائه التي صرح بها لو لم تكن تخالف ما ألفوه منذ نعومة أظفارهم من المسلمات والعقائد لما نقدوه .

وهذا يدلنا أن الكاتب يفهم من الحرية ما يفهمه الزعيم الصهيوني « هرتزل» حيث يقول – :

« أن الحرية عمل ما لا تجيزه الشرائع » طبعاً ويكون الفكر لديه أعمالقوى النفس المدركة للوصول إلى ذلك (١) .

يا صديقي لقد لمس كتابنا المفكرون الاحرار في آرائك دعوة إلى ذلك . فكتبوا ما كتبوا وهم مدركو أن صمتهم في مثل هذا الموقف يكون معونة لانحلال ناشئة المتأدبين في مجتمعنا العربي ومدركون أن مؤاخذتك في الاوساط العلمية الحرة المفكرة لن تكون يسيرة بصورةالتي تخيلتها مهما كانت الاعتبارات التي ورطتك في كتابة ما كتبت . لان الامانة العلمية وحفظ كيان الامة يفرضان عليهم ذلك .

ويكفي الناقدين الاحرار فخارا أن انقيادهم للواجب العلمي المقدس ، واستجابتهم للضمير الانساني النزيه ، وجهادهم في سبيل التقدم الحضاري ، هو آية إيمانهم الصادق .

والعجيب أن هذا الكاتب اعتاد أن يزجي في مجتمعنا العربي مثل هذه الريب المبطنة ما بين فترة وفترة تلويثاً لواقع المعرفة فيما نملك من تراث ومثل تقدمية اسلامية عليا ، دون أن ينقد مثلاً واحداً نقداً منطقياً صحيحاً مبنياً على أصول قواعد العلم .

نعم يجهد الكاتب أن ينفث في روع الناشئة أن سخط الساخطين من ناقديه

---

(١) انظر كتاب المؤامرات اليهودية للأب انطون يمين ص ٧٨ .

إنما كان لانه خالف المعروف المألوف وهو يعلم أن مخالفة المعروف المألوف مفروضة في الاسلام إذا كانت عين واقع الحق .

ولا أدري علام يخفي الكاتب هذه الحقائق المؤيدة بالنصوص القطعية في الاسلام ونظرة عاجلة في كتاب الله وصحيح السنة وما نقل عن السلف الصالح تكفي لتكشف لنا أنهم كانوا يعدلون عن آرائهم السابقة ونظرياتهم متى كشفت لهم الادلة القطعية عن آراء جديدة سواها هي عين واقع المعرفة .

هذا الامام الشافعي تلقى ثقافته التشريعية على إمام دار الهجرة مالك بن أنس فلما اجتهد في تحرير المعرفة التشريعية المستنبطة جاء مذهبه مغايراً لمذهب أستاذه . بل هو نفسه له مذهبان قديم وجديد لانه حين كان في العراق دون مذهبه القديم فلما انتقل إلى مصر تطورت معارفه واتسعت آفاقها وشاهد أحداثاً جديدة لم تكن في العراق فأعطته نظرته إليها مذهبه الجديد الذي أملاه على تلاميذه وما اتهم نفسه ولا اتهمه أحد في كلا المذهبين أنه زائغ عن واقع المعرفة أو متآمر على الثقافة الاسلامية .

وهذا الامام أبو حنيفة النعمان تلقى جل معارفه على أستاذه الامام جعفر الصادق ، وفي النهاية جاءت اجتهاداته تخالف اجتهادات استاذه ، ولم يقل عنه كاتب شرقي أو غربي أنه كافر أو متآمر على العرب والثقافة الاسلامية أومتجنى على واقع المعرفة .

والدراسة العميقة الصادقة في الأدوار التي مرت بها المعارف الاسلامية منذ فجر الاسلام إلى اليوم تكشف هذه الحقيقة العامة الشاملة المستمرة .

والواقع ان علماء الاسلام ومفكريه مفروض عليهم في كل عصر أن يكونوا أحراراً مفكرين يؤيدون الحقائق الثابتة ويحاربون الأوهام والظنون الباطلة بمقتضى ايمانهم بمثل القرآن العليا ، ودلائلها القطعية وبمقتضى ما صح من أحاديث رسول الله ﷺ ، وبمقتضى اتباعهم للسلف الصالح .

وهم في هذا العصر يجب أن يكونوا رواد المعارف الجديدة كما كان آباؤهم في العصور الإسلامية الذهبية الأولى .

وهذا موشك أن يكون متى تم للنهضة الاسلامية الحديثة في جزيرة العرب أن تأخذ مكانها الممتاز الخليق بها وبتاريخها المجيد الكبير . وليس تخلف العرب الأخير في صميم جزيرتهم عن سواهم لأنهم متمسكون بمثل الاسلام العليا - كما يحاول الكاتب أن يبثه في عقول النشىء العربي الحديث - بل لأنهم كانوا منحرفين عن لبابها ، لطول بعدهم عن العمل بها .

وما كانت صرخة بن الجزيرة البكر الإمام الشيخ محمد عبد الوهاب في أعماق جزيرة العرب إلا للعودة إليها ، والاستمساك بها وطرح الاوهام والاباطيل التي علقت بها وهذا ما يعمل له زعماء الجزيرة العربية اليوم أجمعون .

وعلى كل حال فلا يرتاب زعيم عربي واحد أو مفكر عميق باحث أو عالم محقق دقيق أو كاتب ناضج حر في وجوب العودة إلى روح مثل الاسلام العليا التقدمية كما أنزلها الله عز وجل في صميم منابعها الاولى .

إذن فيا صديقي ليس مصدر « حمية الكاتبين العربية والاسلامية الماجة بالسخط والتنادي والاتهام » لانك أتيت باراء جديدة في فهم الاسلام والثقافة العربية تخالف ما ألفه الكاتبون في الصغر بل لانك تجاوزت واقع المعرفة وشوهت وجه الحق وقصمت ظهر العلم . وقتلت الحرية والفكر .

وفي كل بلاد العالم متى كتب كاتب أو ألف وهو منحرف عن واقع المعرفة سواء كان عامداً أو غير عامد فإنه يقوم ويرشد وتعلن الحقيقة للناس خشية انتشار الجهل باسم العلم والجمود باسم التجديد والقيد باسم الحرية -

ومع هذا كله فإن الكاتب يتهم المفكرين الاحرار الذي نقدوه نقداً علمياً خالصاً بأنهم يتبعون أخلاق القطيع ، ومقصوده جمهور المجتمع الاسلامي، يقول ذلك وهو يعلم أن المسلم الذي يؤمن بالاباطيل والخرافات ليس من الاسلام في

شيء ولكن مقصوده أن يفتن المسلمين عن الارتباط الموحد بعرى المثل الاسلامية العليا التي يؤمن بها الجمهور الاسلامي بحجة أنهم يحاربون كل من يحمل فكـراً وحرية ويخفى أن المسلمين يحاربون ضد ذلك بموجب إيمانهم بالوحـي الالهي .

هذا الامر المقلوب واضـح في عباراته المسجات بالدهاء المسحور الساخر « أنظره كيف يقول » أرى مخلصاً – وأرجو أن أكون مُصيبـاً – أن هؤلاء الكتاب الفضلاء الغيارى الذين يتعبدون دائماً بشحذ أقلامهم الصالحة لتحطيم كل رأس يحمل فكراً وحرية أو تمرداً على أخلاق القطيع لا يفعلون شيئاً يفيد العرب ولا الدين ... أنظر أنظر .



هولان من القلق المرعب يتفاقمان

هولان من القلق المرعب يتفاقمان في العالم في عصرنا ..

ويرصدانه رصداً بالدمار الساحق .. وإنه على كثب منه .. بل أنه فيه ولا يدري ..!!

الهول الأول :

لا بد من نهاية لحبس طاقات الذرة والهيدرجين في ِجواء القنابل التي تزيد يوماً فيوماً سراً وعلانية لدى الأمم القادرة على صنعها والتي هي في طريق القدرة .

أتحسب أنها تظل محبوسة إلى الأبد .؟!!

.. وأجيب وتجيب معي لا لا .. لا بد أن تنطلق وانطلاقها لا بد أن يكون في أحد يومين ..

١ – إما في يوم وحشي مفترسٍ ، عابس قمطرير ، تفقد فيه إنسانية الإنسان بالمرة ..

ومتى فقد الإنسان إنسانيته .. سارع الوحش الساكن فيه إلى الطاقات المدمرة المحبوسة في قنابلها وأطلقها على الحياة والأحياء ، وأذابها ذوان الحديد في مارج النار ..

٢ – وإما في يوم قمري تتكامل فيه إنسانية الانسان ، بتصفيتهـا من كل خبائث غرائز الغاب .

وفي هذا اليوم يسارع الانسان الانسان المصفى ، إلى طاقات الذرة الهيدروجين المحبوسة في جوف القنابل ويطلقها أيضاً . ولكن بطريقة فنيـة سلمية إنسانية مقصودة لأجل الابقاء على الحياة والأحياء ومقصودة لسيـادة السلام والايمان والحق ..

والبشرية اليوم على فوهة بركان من القلق المحقون بالزلازل من فوقه وأسفـل منـه ..

ولم لا تكون الأمم على فوهة بركان من القلق ، واللهفة الظامئة لكشف أنواع الطاقات المشـاعة في الوجود .. وحشرها في جوف القنابل المدمرة بحماسـة متتابعة متربصة .. لأنها لا تأمن بطش القـدر في ضراوة ساعة مجنونة عاتية .

والامساك عن الضرب المباغت حين تضيق الأنفاس ، وتتناحر المصالـح ، وتغمس الأيدي في جفان الدم غير مضمون إلى الأبد ..

أجل إن الذي يرهب الأمم ويسوءها ، ويفاقم قلقها وسهدها ويصرعهـا بالحيرة والحذر من المستقبل الأسود . هو أن يباغتها غدرة الذرة والهيدروجين ، وهي لا تدري ..

ولولا سخرية الملاحدة من إمكان تحقق السلام بالاسلام ، لـما كنت تجدهم يسارعون في حبـس الطاقات المهلكة في ظلمات القنابل ، كلما اكتشف العلماء الباحثون ، عالماً جديداً من عوالم الطاقات المختفية في الكون ، وما أكثر عوالم الطاقات المختفية في الكون ..!!

وحجتهم الصريحة وجوب الإعداد الرادع للدفـاع عن النفس في السـاعـة الفاجعة المباغة .

وهكذا .. كلما بالغوا في حبسها بالغوا في الإعراض والسخرية من الذين يدعون إلى تصفية غرائز الغاب الشاعلة في أنفسهم ناراً وناراً لا نور لها ..

١ – ناراً من لعنة العنصرية الحقودة الملحدة ..

٢ – وناراً من النزوات الطاغية التي تعطل الاهتمام بكل هداية وإيمان ورشد ونفـــع .

ولا رجاء أن ينهض أحد من ملاحدة الحضارة الحديثة إلى روح الايمان بالخالق العظيم ويعقل مثل الاسلام العليا المبنية على أسس العلم اليقيني لهيمنة الالحاد الهدام على كل تفكيرهم .

وكل علماء الدنيا المتعمقون مدركون أن لا إمكان ولا قدرة لأية ثقافة وفلسفة في العالم تصفي خبائث الغرائز من نزعات الالحاد وطغيان الغرائز واشتعال النزوات وجواذب مفاتنها سوى ثقافة خاتم الكتب السماوية – القرآن المجيد – لأنهـــا ثقافة منبثقة من فيض علم الله المدخر في معجزاته المتحدية كل معارف العلماء في كل عصر ومصر ..

وبالتالي مد من علم الله الأزلي المكونة بمقتضياته الكائنات المادية والطاغية .

وكل ساسة الدول يجهلون هذه الثقافة اليقينية التي هي بلاغ للناس في آيات القرآن المجيد ..

ويحسبونها ثقافة عربية عنصرية إنعزالية تحجز السعادة والقوة والمعرفـــة والعدل والحرة .. لأمة دون أمة . حسب ما لقنونها محرفة في غفلات الطفولة، وطيش الشباب .. ولو علموها علم اليقين أو عين اليقين في مواطنها الرحبـــة المتسامحة الراحمة ، لأفقدوها بأنفسهم وكانوا أمثل دعاتها المخلصين في عصـــر الحضارة الحديثة .

ولكن ما يصنعون والتحريف والدس والزيادةوالنقصان والإفكوسوء الفهم هو هو الذي جعلهم يحذرون ويتربصون ويتآمرون ..

ولعنة الله والملائكة والناس أجمعين على الدساسين الآثمين،والمحرفين الأفاكين والملاحدة المعرضين عن معرفة حقائق العلم في الأشياء ..

إذ لولاهم لاهتدت أوربا بهداية القرآن المجيد ، وكانت السابقة إلى حمل لواء تبليغه للناس ، ولكانت بلا ريب سيدة أهل الأرض إنسانية ومعرفة وهداية ووحدة إلى أبد الآبدين .

يا إلهي .. أوجد فيهم طبقة من العلماء الأحرار الذين يؤمنون بيقين العلمقبل كل شيء ، ويبحثون عنه في كل شيء..

حتى إذا اكتشفوه نهضوا لتأييده والانتصار له بكل طاقاتهم ، دون تخلف بتقاليد بالية ، وزعم شخصية مخترعة موهومة .

أي اجعلهم – يا إلهي – يقدمون الايمان العملي بيقين واقع العلم على كل إيمان ، ويلتزمونه في سياساتهم . وفي كل ما يأخذون به أو يدعونه من أمور ، لا بد من الأخذ بها أو تركها ..

واجعلهم – يا إلهي – يحاربون الأساطير والاباطيل رزحوا تحتها اجيالاً وأجيالاً . وما يزالون يمارسونها في صور شتى دسّها لهم الشيطان أنها مصالح لهم ، وما هي بمصالح . إن هي إلاّ الأحقاد مزقتهم كل ممزق وجعلت بأسهم بينهم ..

ويشهد الله لو أخذوا بيقين المنزل في خاتم كتب السماء ، لكانوا اليوم في أوربا أمة واحدة لهم السيادة في العالم .

ولهم الاخوة الصادقة والروح الانساني العالي ، ولهم الإيثار الذي يولف ذات بينهم ، لا الاثرة التي توقظ الاحقاد الدفينة .

أجل لو أخذوا بأصول قواعد القرآن المجيد ، لاستطاعوا أن يناسبوا باتساق وتفاهم ومودة بين النهضة العلمية المادية التي هم فيها محلقون ، وبين نهضة الروح الكسيحة المهجورة في رموس النسيان والازدراء .

فإلى العلم وإلى النور والحق والانسانية سيروا سيروا بيقظة وحذر وانتباه .

وحرام أن يظل الانسان يطعن نفسه بالخنجر عن عمد . حرام حرام .



بسم الله الرحمن الرحيم

تقدير وتعريف

بقلم فضيلة الشيخ خليل الميس

مدير أزهر لبنان

من عرف الشيخ هاشم أو تعرف عليه لم يسعه إلا أن يجله ويحبه لأن الله تعالى قد حباه بمزايا وخصائص نفسية قلما تجتمع في رجل واحد كلها أو بعضها إلا جعلته محبباً إلى الناس .

وذلك أن فضيلة الشيخ هاشم قد استجمع في ذاته عراقة المحتد .. وزكاة النفس وصفاءها وبراءتها بحيث يبدو للجليس انه أنس من يعرف، كما جمع الله فيه من الشمائل الخلقية لتحسب انها مستقاة من مشكاة النبوة ونحن معشر الآفاقيين كنا نرى فيه ومن خلاله مسرى رسول الله ﷺ فهو المدني الذي تحلى بمناقبية أهل المدينة المنورة السامية والمعهودة فيهم عبر تاريخها الإسلامي.. على ساكنها أفضل الصلاة وأزكى التسليم ...

والجانب الكسبي في هذه الشخصية أيضاً تحصيله علوم اللغة العربية وهي اللغة الأم كيف لا وان شيخنا ما إن حصل رتبة العالمية في علوم الشريعة والعربية من الأزهر الشريف في القاهرة حتى تفجرت منه المعاني التي انقادت اليه انقيادها ليعرب ابن قحطان دون تكلف ولا عناء بحيث تراءى لمن يطالع كتبه و كأن اللغة العربية إحدى مقوماته مع الخلق، يحبها كما يحب أحدنا نفسه ولذلك لما أنيط به مهمة تدريها

في « أزهر لبنان الكلية الشرعية سابقاً » ولمدة تزيد على ربع قرن – كان شيخنا الجليل يلجأ إلى كافة الأساليب الناجحة بل وأبدعها في تقريب اللغة العربية وعلومها من اذهان الطلاب حتى غدت مادة النحو بالذات من أحب العلوم لدى الطلاب الذين تلقوا العلم على يديه ونهجوا بالتالي منهجه في التعليم الذي يمكننا تسميته « بالطريقة الهاشمية » وانه حبب إلى طلابه الشعر العربي قديمة وحديثة وان لأحمد شوقي منزلة في نفس شيخنا ترفعه إلى مصاف المتنبي لذلك كان يستظهر ربما كل ما قاله شوقي ويزود طلابه بتلك المعاني والمشاعر.. ولم لا يحبب شوقي ومن قبل المتنبي واضرابهما لنفس شيخنا الجليل الأصيل في انتمائه العربي ؟

والخبير بمدلولات الألفاظ واسرار اللغة وأساليب النظم والنثر.. وكأنه كان يشعر أن من ضروب الوفاء لتلك اللغة أن يستظهر المسلم كل ما قيل فيها.. كيف لا وقد خصها الله تعالى أن نظمت آيات القرآن الكريم من حروفها .

قال حافظ ابراهيم حكاية على لسانها ..

وسعت كتاب الله لفظاً وغاية   وما ضقت عن آي به وعظات

وللشيخ هاشم مشاركة في علوم كثيرة فقد صنف منذ مطلع شبابه كتباً عدة وشارك في بعث النهضة الأدبية الحديثة في لبنان .. فهو الأديب إذا كتب .. والخطيب إذا تكلم .. والعالم إذا صنف ..

والفقيه إذا أفتى .. وهو المجاهد في كل ميدان.. ما تكسب بعلمه ولا تزلف قط .. ، زهده الله تعالى في الدنيا والمناصب .. فرغب عنها ..وانما خاض في شبابه وشيخوخته ميدان الجهاد في سبيل الله عبر الكلمة الواعية المؤمنة المتبصرة عملاً بقول الله تعالى : (ادع إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة).

وشيخنا غير متكلف سواء في حياته الشخصية أو أسلوبه العلمي فما يؤمن به يقوله .. وما يجري على لسانه هو ما في قلبه وربما جنى عليه هذا الأسلوب بعض المتاعب .. ولكنها فطرته التي فطره الله عليها لا يتحول عنها أبداً لذلك كان

قريباً إلى النفس من خلال مقالاته وكلماته .. وهو في (هواتف) يخاطب العامة بما لا تنبو عنه أذواق الخاصة ... والفئتان يتتلمذان عليه ويفيدان منه .. دون عناء ومشقة ...

وقلم شيخنا لم يتوقف عن الكتابة في ميدان الجهاد رغم ظروفه الصحية التي ساءت لبعض الوقت ثم عافاه الله تعالى بفضله وكرمه ليتابع رسالته التي نذر نفسه لهـا (مسيرة الكفاح) عبر القلم الذي جعله تعالى وسيلة التعليم والتعلم (إقرأ باسم ربك الذي خلق ، خلق الإنسان من علق ، إقرأ وربك الاكرم الذي علم بالقلم ، علم الانسان ما لم يعلم) فلئن أعفي من مهمة التدريس اجلالا لعمره وعملا بالقوانين المرعية الاجـراء .. لكنه لم يعف نفسه من مهمة التعليم عبر المقالات وفي المجلات والصحف وحلق العلم في المساجد والمنتديات ... واتسعت مدرسة شيخنا لتشمل آلاف القراء .. يوجههم إلى تعاليم الاسلام المستقـاة من القرآن الكريم والسنة النبوية المشرفة وباسلوبه المتميز ،. وكـأنه يريد من الجميع وللجميع أن يكونوا دعاة إلى الله تعـالى وإلى رسوله المصطفى محمد ﷺ عملا بقوله تعالى (قل هذه سبيلي ادعو إلى الله على بصيرة أنا ومن اتبعني وسبحان الله وما أنا من المشركـين) وفضيلة الشيخ هاشم دفتردار المدني هو أستاذي لمـا كنت على مقاعد الدراسة في أزهر لبنان .. وهو فيما بعد شيخي لما أنيط بي مهام إدارة أزهر لبنان ... شرفت بالدراسة عليه .. ونعمت بالعمل معه فكان شيخي في الحالين ولا يزال وما أقوله فيه ليس محاباة بل هي حقيقة وكل من عرف الشيخ هاشم لا يسعه إلا أن يزيد على هذا القول ... فطال عمره في الخير ونفع بـه .. وهيا بنا إلى هواتف فقد طـال شوقنا اليها وإلى الشيخ هاشم أديباً ومعلماً ومرشداً .

بقلم الراجي عفو مولاه

خليل الميس

مدير أزهر لبنان

بطلاقة وفصاحة وبلاغـــة فكأنّ بلبل دوحة قــد غردا

بعيوننـــا وقلوبنا نصغي له ونود في ساعاته لو مـــددا

كالبحر يبدو هادئاً لكنه كالبحر يحتضن الشواطىء مزبدا

عنـــه أخذنا غيرة وطنية في سائر الارجاء ضاربة المدى

يا كاتب الاسفار أكتب قصـة عما تركت بأرضنا تبق الصدى

مهداة إلى أستاذي الجليل الشيخ هاشم دفتردار المدني

* * *

محتويات الكتاب

الصفحة

الصفحة

جدول الخطأ والصواب

صفحة	سطر	خطأ	صواب
٢٧	١٥	وفصل الحق	وفصل الخلق
٢٨	١٩	وإن ظلموا	وإن ظُلِمُوا
٢٩	٢	وانضواء	والانضواء
٣٠	٩	هو انحراف	هو انحرف
٣١	٣	ويتمرد	وبتمرد
٣١	١٦	ولكي يحلموا	يَعْلَمُوا
٣٣	١٢	العانية	العالية
٣٤	٢٠	التي يدعو بها	التي يدعون بها
٣٦	٨	لكل حشده	بكل ما حشده
٤١	٦	باسم الوامع	باسم الواقع
٤٢	١٧	الازامي	الإلزامي
٤٢	٢١	الى الرأي	إلى الرِّي
٤٢	٢٣	غرازك	غرائزك
٤٤	١٦	لدت	لدى
٤٧	٢٠	وما كتبهُ	وَمَا كَتَبْتُهُ
٥٢	٢	لا تطالُها	لا تطاولها
٥٢	٦	شتائت	أشتات
٢ -	١٣	الأصيل	الأصل
٥٥	١٦	نذيلة	نذلة
٥٥	١٧	لانقاذ	لإنْفاذِ
٥٦	٧	الساسة التي	الساسة الذين
٥٦	٩	بين جميعيا	بَيْنَهُمْ جميعا
٥٨	٧	أحسُّه أورا	أُحِسُّه أُواراً
٥٩	١٢	المعزق	المغرق
٦٦	١٨	تظهر	تُطهِّرُ
٦٩	١٠	يتضح	يَنْضحُ
٧٢	٢١	وزهق	وَزَهَق
٧٥	٥	هو تقليد	هو تقاليد
٧٥	٨	أف منطلقه	أن منطلقه
٩٠	٩	وكا عداها	وما عداها
٩٢	٢٠	له تأيد	له تأييد
٩٤	١٢	ويجنتيهم	وبدَّلْنَاهُمْ بِجَنَّتَيْهِمْ
٩٥	١٤	حالتيهما	حَالتيها
٩٥	١٤	وزيا	وريّاً
٩٥	٢٤	قد نصبت	قَدْ نَبَتْ
٩٨	١٠	غار مزدهر	غاراً مزدهراً

صفحة	سطر	خطأ	صواب
١٠٠	٤	على كل بقاع	على كل يفاع
١٠١	٥	حسن أوانه	حسن في أوانه
١٠٢	١٠	الملحق	المحلق
١٠٢	١٢	والذكرات	والذكريات
١٠٣	١	غامر وطام	غامر طام
١٠٣	٢	ظما ظماء	ظمأٍ ظِماء
١٠٣	١٢	رب سلمى	رب سَامي
١٠٤	١٦	بعفل	بفعل
١٠٤	٢٤	تأكيد	تأكيداً
١٠٥	٧	الذكرات	الذكريات
١٠٦	٧	علق	عرق
١٠٦	٩	كبير باخلاصهم	كبير إخلاصِهم
١٠٦	١٠	والذي احشر	أحشدُ
١١٢	٩	نسفت	نُسقت
١٢٦	١٠	وعيت	وغَيْثٌ
١٣١	١٤	يأكلون وفجرنا	يأكلون ، وجعلنا فيهـــا جنات من نَخيلٍ وأعنابٍ .. ٣٦ – ٢٥

صفحة	سطر	خطأ	صواب
١٣٣	٣	بعلم النبات	بِعَالم النبات
٢٣٤	٧	يعبدوها	يعبدونها
٢٩٣	١٣	تفاجئهم الضواجع	.. الفواجع
٢٩٣	١٧	وجهلتهم	وَجَعلهم
٢٩٥	١٠	إنْ عددهم	إن عدوهم
٣٠١	٤	اصيلة عليها	أصيلة عُلْيَا
٣٠٢	٨	باطباق الضم	باطباق الفَم
٣٠٢	٨	الكون بعد	الكون بمد الصوت
٣٠٢	٢٠	فرع عن المرفقة	فرع عن المُرقّقة
٣٠٩	١١	ويركر طراد	ويرتكزُ إطرادُ
٣١١	٣	وفتى عدد	وَفق عدد
٣١١	٩	ألوان	لألوانٍ
٣١٩	١٣	مَعادله	مَعاوله
٣١٩	١٧	أحيا	أحياناً
٣٢٠	١٦	فهو متطور	متطورة
٣٢٨	١١	ومنار الريبة	ومثار الريبة
٣٣٨	١٥	الذين يثقفون	الذين يسقطون